

الإعلام بسيرة الشيخ الإمام
محمد بن عبد الله السبكي

© مدار الوطن للنشر، ١٤٣٧ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السبيل، عبد المجيد محمد

الإعلام بسيرة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل رحمه الله تعالى.

/عبد المجيد محمد السبيل. - الرياض، ١٤٣٧ هـ

٣٧٤ : ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢ - ٤٦ - ٨١٧١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١ - السبيل، محمد بن عبد الله بن محمد ٢ - التراجم أ - العنوان

١٤٣٧/٢٧٨٩

ديوي: ٩٢٢، ١١٣

مُحْفُوظَةٌ
بِمَبْعِ حَقُوقِ

الطبعة الأولى

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

رقم الإيداع: ١٤٣٧/٢٧٨٩

ردمك: ٢ - ٤٦ - ٨١٧١ - ٦٠٣ - ٩٧٨



مدار الوطن للنشر

فرع الملز - مخرج ١٥ - مقابل جامع الراجحي

هاتف: ٠١١٤٤٥٤١٢٤ - جوال: ٠٥٠٦٤٣٦٨٠٤

مندوب الرياض: ٠٥٠٣٢٦٩٣١٦

مندوب الغربية: ٠٥٠٤١٤٣١٩٨

مندوب الجنوبية: ٠٥٠٣١٩٣٣٦٩

مندوب الشرقية والدمام: ٠٥٠٣١٩٣٣٦٨

مندوب الشمالية والقصيم: ٠٥٠٤١٣٠٧٢٨

مسؤول التوزيع الخيري: ٠٥٠٣١٩٣٣٦٩

لطلبات الجهات الحكومية: ٠٥٠٠٩٩٦٩٨٧

المقر الجديد

المملكة العربية السعودية

الرياض - الروضة - مخرج ١١

شارع ابي سعيد الخدري متفرع

من شارع خالد بن الوليد

هاتف: ٠١١٢٣١٣٠١٨ (٣ خطوط)

٠١١٤٧٩٢٠٤٢

فاكس: ٠١١٢٣٢٢٠٩٦

الإعلامُ بِسيرةِ الشَّيخِ الإمامِ

محمد بن عبد الله السديك

إمامٌ وخطيبُ المسجدِ الحرامِ

وعضو هيئة كبار العلماء

وعضو المجمع الفقهي الإسلامي

رحمته الله تعالى (١٣٤٥ هـ - ١٤٣٤ هـ)



إعدادُ

عبد المجيد بن محمد السبيبي

عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى

قسم الدراسات القضائية

١٤٣٧ هـ

مركز الوثائق والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

فهذه ترجمة لوالدي سماحة الشيخ العلامة محمد بن عبد الله السبيل^(١)، إمام وخطيب المسجد الحرام، وعضو هيئة كبار العلماء، وعضو المجمع الفقهي الإسلامي - رحمه الله - تشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: اسمه ونسبه ومولده.

(١) تُرجم لساحته في:

محاضرة منشورة بعنوان (ذكريات في المسجد الحرام) للوالد رحمه الله ألقاها في داره الملك عبد العزيز ونشرت في مجلة الدارة، ع ٣٤، السنة ٢٩، ١٤٢٤هـ، ص ٢٠٧-٢١٨؛ ترجمة كتبها أخي الشيخ عمر السبيل رحمه الله ونشرت في كتاب (قبسات من خطب الحرمين الشريفين) ص ٦؛ أئمة المسجد الحرام ومؤذونه، عبد الله الزهراني، ص ٤٢؛ أعلام وحدود الحرم المكي الشريف، ص ٥٢؛ البكيرية، صالح الخضير، ص ٢٣٠؛ تاريخ أمة في سير أئمة، معالي الشيخ الدكتور صالح بن حميد، ٣/١٢٦٧؛ تاريخ القضاء والقضاة، عبد الله الزهراني، ٣/٩٦؛ تاريخ مساجد بريدة القديمة وتراجم أئمتها، عبد الله الرميان، ص ٢١٧؛ المسجد الحرام في قلب الملك عبد العزيز، الشريف عبد الله العبدلي، ص ٦٦؛ موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين، ٢/٣٤؛ موسوعة أسبار ٣/١٠٧٢؛ موسوعة تاريخ التعليم في المملكة، ٥/٢٥٠؛ وسام الكرم في تراجم أئمة وخطباء الحرم، يوسف الصبحي، ص ٣٦٥ ومن مصادره: الجواهر الحسان، ترجمة رقم ٢٧٧. وكتبت ترجمة مختصرة ونشرت في: مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، ع ٢٩، ص ٤٣٧-٤٧٢.

وقد سجلت ثلاث رسائل علمية عن الوالد رحمه الله، الأولى بعنوان: (التربية الاجتماعية من خلال خطب الشيخ محمد السبيل رحمه الله بالمسجد الحرام) للباحث: رائد بن عبد العزيز الجساد، ماجستير، الجامعة الإسلامية، نوقشت، ١٤٣٦هـ. والثانية: (الشيخ محمد السبيل رحمه الله وجهوده في الدعوة إلى الله تعالى) للباحث حميد مرزوق الصليبي، ماجستير، جامعة أم القرى. والثالثة: (العلامة الفقيه محمد بن عبد الله السبيل رحمه الله ومنهجه في الفتوى) للباحث: أحمد بن عبد الوهاب الصديقي، ماجستير، جامعة أم درمان.

المبحث الثاني: نشأته وأسرته.

المبحث الثالث: حياته العلمية.

المبحث الرابع: صفاته وأخلاقه.

المبحث الخامس: حياته العملية.

المبحث السادس: جهوده الدعوية والخيرية.

المبحث السابع: وفاته وثناء العلماء عليه.

وإن الحديث عن سماحته رحمه الله حديث عن عالم من علمائنا البارزين، وفقهه من فقهاءنا المعدودين، وداعية من دعائنا المخلصين. إنه حديث عن إمام، حباه الله وشرفه بإمامة المسلمين في المسجد الحرام، مدة أربعة وأربعين عامًا، كانت له في الخطب المشهورة، والأخبار والمواقف المشهودة.

ولقد بذل رحمه الله علمه ووقته وجهده في خدمة الإسلام والمسلمين، من قاصدي الحرمين وغيرهم، من خلال جهوده العلمية، والدعوية، ومن خلال مهامه، ومسؤولياته، فقد كان رئيسًا لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، ورئيسًا للجنة أعلام الحرم المكي الشريف، وعضوًا في عدد من الهيئات الشرعية والعلمية، والجمعيات الخيرية، إضافة إلى جهوده الدعوية في مختلف دول العالم، زار رحمه الله أكثر من خمسين دولة، وأسلم على يديه خلق كثير. مع ما حباه المولى جل شأنه من رفق ولين، وخلق كريم، وحكمة وأناة، وعلم وعمل، عز نظيره اليوم.

يضاف لهذه السيرة العطرة: جهوده العلمية المباركة في التدريس

والتعليم، والتصنيف، وتحرير الفتاوى الشرعية، ومشاركاته الدائمة في أهم الهيئات، والمجامع الفقهية، وحضوره الكثير من المؤتمرات الشرعية في مختلف دول العالم.

إن مآثر الفقيه رحمه الله متنوعة عديدة، يطول تعدادها وحصرها، وفي هذه الترجمة توثيق لبعض تلك الأعمال الجليلة، وذكر شيء من سيرته العطرة، وأعماله الشريفة، وجهوده الخيرة المباركة. وسميت هذه الترجمة: «الإعلام بسيرة الشيخ الإمام محمد بن عبد الله السبيل».

أسأل الله أن يتغمده بواسع رحمته، ويسكنه فسيح جنته، ويجزيه خير الجزاء على جهوده في خدمة الإسلام والمسلمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عبد المجيد بن محمد السبيل

المبحث الأول

اسمه ونسبه ومولده

هو سماحة الشيخ العلامة، الفقيه المسند، الإمام، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن سليمان بن إبراهيم بن عثمان بن حمد بن غيهب بن محمد بن بلدي بن زيد^(١). وبنو زيد من قضاة، وقضاة من قحطان.

ولد في محافظة البكيرية بمنطقة القصيم عام ١٣٤٥ هـ. ومنطقة القصيم هي إحدى مناطق المملكة المعروفة والواقعة في نجد، يصفها الوالد رحمه الله في قصيدة جوابية كتبها عام ١٣٦٨ هـ للشيخ إبراهيم بن راشد الحديثي رئيس محاكم أمها سابقاً بقوله رحمه الله:

أهاجك أم أبكاك ذكـر ذوي البر

وذكر بلاد الأنس في أول العـمـر

منازل كانت بين سـاق وقارة

ووادي الرمة تلك القصيم لدى الذكر

أم الريح من نجد شممت نسيـمها

أم البارق النجدي ناض مع الفجر

* * *

(١) انظر الترجمة التي كتبها أخي الشيخ عمر السبيل إمام وخطيب المسجد الحرام رحمه الله للعلم الشيخ عبد العزيز، وأوردها الشيخ عبد الله السام في كتابه علماء نجد خلال ثمانية قرون ٤٦٧/٣. وانظر كذلك: (شجرة آل سبيل) والتي عملها أخي الشيخ عمر رحمه الله عام

المبحث الثاني

نشأته وأسرته

نشأ رحمه الله في مجتمع خير وصلاح، وبيت علم وفضل، فوالده ووالدته من حفظة كتاب الله تعالى، وكان جده عبد العزيز الملقب بالسبيل قد قدم من محافظة شقراء إلى محافظة عنيزة في حدود سنة ١٢٥٠هـ، وفيها ولد والده عبد الله.

والده: انتقل والده عبد الله من عنيزة إلى البكيرية مع عمه سليمان وعمره خمس سنوات في حدود عام ١٢٨٠هـ، فاستوطنها، وطلب فيها العلم، وتولى إمامة واحد من مساجدها، ورحل في طلب العلم إلى الرياض، وقرأ فيها على الشيخ عبد الله بن حسين المخضوب قاضي الخرج، وساحة الشيخ العلامة عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ، والشيخ صعب التويجري، ثم عاد إلى البكيرية، وقرأ فيها على الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم، والشيخ عبد الله بن بليهد، وكانت وفاته رحمه الله سنة ١٣٧٣هـ^(١).

وأما والدته: فهي مزنة بنت علي البكري، ولدت في محافظة عيون الجواء بمنطقة القصيم عام ١٢٩٨هـ، كانت سالحة، حافظة لكتاب الله، توفيت في مكة المكرمة عام ١٣٩٤هـ^(٢).

وأما إخوته: فمنهم: الشيخ محمد: ولد في البكيرية سنة ١٣١٠هـ

(١) نشرت له ترجمة في: الحنابلة خلال ثلاثة عشر قرناً، د/ عبد الله الطريقي، ٣٤٧/١٠.

(٢) نشرت لها ترجمة في: الحنابلة خلال ثلاثة عشر قرناً، د/ عبد الله الطريقي.

وسافر في طلب العلم والمعيشة إلى الرياض والكويت، ثم عاد إلى بلده، وعين إماماً لأحد مساجدها، ولازم دروس الشيخ عبد الله بن بليهد، وأخوه الشيخ حمد، وتوفي رحمه الله سنة ١٣٣٦ هـ^(١).

ومنهم: شقيقه الشيخ العلامة عبد العزيز: ولد في البكيرية عام ١٣٢١ هـ، وطلب العلم فيها وفي غيرها، حتى صار من كبار العلماء في نجد، قال عنه الشيخ ابن بسام رحمه الله: « كان من علماء نجد الكبار ...، وتولى قضاء البكيرية سنة ١٣٦٠ هـ، ثم انتقل إلى مكة المكرمة سنة ١٣٨٦ هـ، ودرّس في معهد الحرم المكي الشريف، واستمر فيه حتى عام ١٣٩٨ هـ، توفي - رحمه الله - في مكة المكرمة سنة ١٤١٢ هـ^(٢).

ومن قرّابته العلماء: خاله الشيخ عبد الكريم بن علي البكري، وكان ممن رحل في طلب العلم للهند وغيرها، وأقام في عجمان حتى وفاته سنة

(١) كتب أخي الشيخ عمر السبيل إمام وخطيب المسجد الحرام رحمه الله ترجمة للعلم، وقد أوردتها كاملة ساحة شيخه العلامة عبد الله البسام رحمه الله في كتابه علماء نجد خلال ثمانية قرون ٢٢٢/٦. وانظر: كتاب علامة الكويت الشيخ عبد الله الخلف الدحيان، محمد العجمي، ص ٥١، علماء الحنابلة، ص ٤٥١؛ الحنابلة خلال ثلاثة عشر قرناً ١٠/٥٩.

(٢) كتب أخي الشيخ عمر السبيل إمام وخطيب المسجد الحرام رحمه الله ترجمة للعلم رحمه الله أوردتها العلامة الشيخ عبد الله البسام رحمه الله في كتابه: علماء نجد خلال ثمانية قرون، ٣/٤٦٧. وانظر: إتمام الأعلام، د. نزار أباظة ومحمد المالح، ص ١٥٨؛ تاريخ القضاء والقضاة، عبد الله الزهراني ٣/٩٦-١٠٢؛ تنمة الأعلام ١/٣٠١؛ روضة الناظرين ٣/١٢٧ (غير محررة)؛ علماء الحنابلة، ص ٤٩٦؛ معجم المؤلفين المعاصرين، ٢/٣٥٨؛ موسوعة أسبار، ٢/٥٨٦؛ موسوعة تاريخ التعليم في المملكة، ٤/٣٠٥، ٣٠٩؛ الحنابلة خلال ثلاثة عشر قرناً، ١٢/٢٢.

١٣٧٠هـ^(١)

كما كان للوالد إخوة آخرون، توفوا وهم صغار، وكان -رحمه الله- أصغر إخوته سنًا.

أبناؤه:

رزق الوالد رحمه الله بعدد من البنين والبنات، وأكبر البنين: أخي عبد الله، عمل وكيلًا لوزارة الشؤون البلدية والقروية لتصنيف المقاولين، ويعمل حاليًا نائبًا لمدير عام المعهد العربي لإنهاء المدن، ثم أخي أحمد ويعمل مدير عام إدارة التخطيط الحضري والاستراتيجي بهيئة تطوير مدينة الرياض، ثم أخي الدكتور عبد العزيز كان وكيلًا لوزارة الثقافة والإعلام للشؤون الثقافية، ويعمل حاليًا أمينًا عامًا لجائزة الملك فيصل العالمية، ثم أخي الدكتور عمر إمام وخطيب المسجد الحرام، وعضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بجامعة أم القرى رحمه الله، وعدد آخر من البنين يعملون في وظائف متعددة في الجامعات والقضاء وغيرها. وأما البنات فكلهن متعلقات، ويعمل كثير منهن في التعليم. حفظ الله الجميع، ووفقهم لطاعته.

* * *

(١) كتب له أخي الشيخ عمر رحمه الله ترجمة مفردة، ونشرت له ترجمة في: الحنابلة خلال ثلاثة عشر

المبحث الثالث

حياته العلمية

نشأ - رحمه الله - في البكيرية، وبدأ في حفظ القرآن الكريم على والده، وقرأه أيضًا على خاله الشيخ محمد بن علي المحمود، وعلى الشيخ عبد الرحمن بن سالم الكريديس، فأتم رحمه الله حفظ القرآن الكريم كاملاً مجوداً وعمره أربعة عشر عاماً، وكان أصغر حافظ للقرآن الكريم في بلده.

يقول سماحته رحمه الله عن حفظه للقرآن وطريقته في ذلك:

« كنت إذا أردت أن أحفظ صفحتين أو ثلاث صفحات أو ثمن أو نصف ثمن أقرأه على الوالد نظراً، ويصحح لي، ثم أحفظه على ما صححه لي، ثم بعد ذلك أقرأه عليه حفظاً. وأكثر ما استفدت من وقتي أنه بعد صلاة العشاء أكون في غرفة في البيت وحدي، ثم أحفظ الحزب الذي أريد حفظه، فإذا حفظته قرأته مثلاً ست مرات أو سبع مرات إلى عشر مرات، فإذا أتقنت حفظه أضع المصحف عندي، ثم أكرره ما بين خمسين إلى ستين مرة قبل أن أنام، ثم أنام تلك الليلة حافظاً، ثم الصبح أقرأه على الوالد، ثم يكون بقية يومي قراءة حفظي من أوله إلى آخره »^(١).

ويتحدث معالي الشيخ صالح بن حميد إمام وخطيب المسجد الحرام عن هذه المرحلة من حياة الوالد رحمه الله فيقول:

« ظهر نبوغه منذ صغره، فقد حدثني معالي الشيخ صالح بن محمد اللحيان، بأن الشيخ محمداً كان يؤم المصلين في مدينة البكيرية، منذ عام

(١) تسجيل صوتي لسماحته من شريط: (ولقد يسرنا القرآن للذكر).

١٣٦٢هـ، بل قال: إنه كان يعد أصغر حافظ للقرآن الكريم في البلد آنذاك».

بعدها بدأ في حضور الحلقات العلمية بالمساجد، في فنون متنوعة في التوحيد والفقه والتفسير والحديث والنحو وغيرها، حيث كان والده يمنعه من حضور شيء من حلقات العلم قبل أن يتم حفظ القرآن الكريم كاملاً، فلما أتم حفظ القرآن أمره وحثه على حضور حلقات المشايخ في بلده، والعناية بعلوم الشريعة عموماً، وعلم الفقه خصوصاً، وأن يعتني أيضاً بعلم النحو، ولا يزهده فيه، كما هو حال بعض مشايخ عصره، وكان يقول له: أرأيت لو أن قارئاً لكتاب الله قرأ قوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ فلو قرأ بكسر اللام من كلمة (رسوله) ألم يكن القول كفراً عياداً بالله.

فبدأ رحمه الله في طلب العلم وحضور حلقات المشايخ، حيث تتلمذ على كبار علماء عصره في منطقة القصيم، ثم انتقل إلى مكة، وقرأ فيها على كبار علمائها.

شيوخه:

كان رحمه الله كثير الاشتغال والعناية بعلم الفقه خصوصاً، وعلوم الشريعة عموماً. إضافة لقراءة كتب المطولات في التفسير، والتاريخ، والأدب، وكتب الأئمة، كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وغيرها.

وقد طلب العلم على عدد من المشايخ والعلماء في القصيم، وفي مكة المكرمة.

من أشهر مشايخه في القصيم:

١ - شقيقه الشيخ العلامة عبد العزيز السبيل: كان رحمه الله يجلس منذ عام ١٣٤٩هـ، لتدريس العلوم الشرعية والعربية وغيرها، ثم انتقل من البكيرية إلى مكة المكرمة عام ١٣٨٦هـ، وكان الوالد رحمه الله ملازمًا لدروسه، ومنتفعًا من علمه، وعليه كانت أكثر قراءته، وانتفع به انتفاعًا كبيرًا.

ويذكر أخي الشيخ عمر رحمه الله: أن الوالد رحمه الله قرأ على العم في درس خاص هو والشيخ محمد عبد الرحمن الخزيم متن زاد المستقنع للحجاوي غيبًا، كما قرأ عليه المقنع لابن قدامة مرتين قراءة تفقه وتمعن، مع بيان الراجح في المذهب، واختيار شيخ الإسلام، وغير ذلك، كما قرأ عليه أيضًا مدارج السالكين، ومفتاح دار السعادة لابن القيم مرتين. كما قرأ عليه غيبًا ثلاثة الأصول وكشف الشبهات، وكتاب التوحيد للشيخ محمد عبد الوهاب، وقرأ عليه كذلك فتح المجيد، وتفسير ابن كثير ثلاث مرات قراءة إمرار، وكذا سنن أبي داود، وبعضًا من مسند الإمام أحمد من الفتح الرباني، بعد ظهور طبعته الأولى، وهذا كله في البكيرية قبل انتقاله إلى بريدة. اهـ.

ولما توفي العم - رحمه الله - عام ١٤١٢هـ رثاه سماحة الوالد بقصيدة يقول في مطلعها:

تجري الأمور على ما خطه القدر

وكل حي له من دهره غير

تطوى الدهور وفي طياتها أمم
كانت فبانست فلا عين ولا أثر
وما الحياة لحي دار ثوى
كل امرئ لحمام الموت منتظر
كم مزقت أمم في الخافقين سمت
لا الشمس أفلة عنها ولا القمر
أخنت عليها صروف الدهر واستلبت
منها ممالكها واغتالها القدر
وما قضى أحد منها لبانته
ولا استقام له ورد ولا صدر
أيامها نكد وكلها كبد
وجمعها فرقة وصفوها كدر
ذي سنة الله في الأكوان قاطبة
بها استوى الخلق أمار ومن أمروا
أما ترى العلم والإسلام قد فُجعا
بعالمٍ عامٍ لـلله مؤتمر
ويقول فيها أيضًا:

بالأمس بالمنحني نعش يسير به

سراة مكة والأحداق تنهمر

في ساحة العدل قد واره ملحه

لله من جسد في القاع قد قبروا

(غروب در) ^(١) قضى نجباً ومدته

من عمره كان (أمنأ) ^(٢) كله غرر

أستودع الله من في القاع أعظمه

أنت الإله الذي يرجى ويدخر

أنزل عليه شآبيب الرضادياً

ما امتد ظل غمام أو همى مطر

٢ - فضيلة الشيخ محمد بن مقبل المقبل (ت ١٣٦٨هـ) قاضي البكيرية

رحمه الله، وقرأ عليه في البكيرية في أول طلبه للعلم، ولازمه حتى

وفاته رحمه الله.

يقول الوالد رحمه الله: لما أتممت حفظ القرآن الكريم قدمت على

الشيخ محمد بن مقبل للقراءة عليه، فلما رأني الشيخ تبسم، وقال: أتممت

حفظ القرآن؟ فقلت: نعم، وكان الشيخ قد علم بمقالة والدي أن لا

أشتغل بشيء من طلب العلم قبل إتمام حفظ القرآن الكريم كاملاً، فبدأت

(١) تساوي بحساب الجمل ١٤١٢هـ.

(٢) تساوي بحساب الجمل ٩١.

القراءة عليه في التوحيد.

ويقول الوالد رحمه الله مبينا طريقة القراءة على الشيخ محمد بن مقبل، ثم على شقيقه الشيخ عبد العزيز رحمه الله: (وكانت طريقتنا في الدراسة عليهما على النحو التالي: نبدأ من بعد صلاة الفجر بالقراءة في علم النحو، ونقرأ فيها متن الآجرومية، وملحة الإعراب للحريري، وألفية ابن مالك، وكنا نحفظها جميعاً، ثم بعد طلوع الشمس نقرأ في زاد المستقنع في فقه الحنابلة، وكنا نحفظ منه بضعة أسطر، يسمعها الشيخ من عدد من الطلاب، ثم يقوم بشرحها، ثم نقرأ الروض المربع شرح زاد المستقنع، ويوضح الشيخ من خلاله ما يحتاج إلى توضيح، وربما ذكر الخلاف وأدلته، وبيان الراجح أحياناً.

ثم بعد ذلك تبدأ القراءة الحرة في كتب المطولات، حيث يبدأ كل طالب بالقراءة عليه في كتاب من الكتب التي يختارها، فإذا انتهى بدأ الآخر، وهكذا، فمنهم من يقرأ في صحيح البخاري، أو مسلم، أو السنن الأربعة، أو المنتقى للمجد ابن تيمية، أو بلوغ المرام، أو الشرح الكبير، أو الروض المربع، وغير ذلك.

ثم يختتم الدرس بقراءة من أحد الكتب، ككتاب ابن كثير، أو مفتاح دار السعادة لابن القيم، أو مدارج السالكين، أو غيرها من الكتب.

ويحضر القراءة عادة جمهور من الناس للاستماع والاستفادة، وكنت أقوم بهذه القراءة على الشيخ رحمه الله خلفاً للشيخ عبد الله الخليلي الذي انتقل إلى مكة المكرمة.

ثم بعد الظهر يُقرأ على الشيخ إلى قرابة العصر أحياناً، ويقرأ كل واحد من الطلاب من كتاب يختاره، وبعد العصر تكون هناك قراءة قصيرة ينصرف الناس بعدها إلى أعمالهم حتى غروب الشمس.

ثم يعودون بعد المغرب للقراءة في علم الفرائض والنحو إلى صلاة العشاء، وبهذا ينتهي اليوم الدراسي على الشيخ، وربما جلس بعض الطلاب بعد صلاة العشاء للاستذكار والتباحث إلى وقت متأخر من الليل^(١).

٣ - ساحة الشيخ العلامة عبد الله بن حميد رحمه الله^(٢):

فقيه عصره، العلامة القاضي، عضو هيئة كبار العلماء، ورئيس المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي، وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، ولد في الرياض عام ١٣٢٩هـ، تولى قضاء الرياض في عام ١٣٥٧هـ، ثم قضاء سدير في عام ١٣٦٠هـ، ثم قضاء القصيم في عام ١٣٦٣هـ بعد وفاة العلامة الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وفي عام ١٣٧٧هـ رغب من الملك سعود إعفائه من القضاء فأجيب لطلبه، وتفرغ للتدريس في القصيم حتى عام ١٣٨٤هـ حيث تم تعيينه رئيساً عاماً للإشراف الديني على المسجد الحرام، وفي عام ١٣٩٥هـ عين رئيساً لمجلس القضاء الأعلى، واستمر فيه حتى وفاته رحمه الله في شهر ذي القعدة عام ١٤٠٢هـ، وصلي عليه في المسجد الحرام، ودفن في مقبرة العدل بمكة.

(١) ذكريات في المسجد الحرام، ص ٢١٤.

(٢) كتب معالي الشيخ الدكتور / صالح بن حميد إمام وخطيب المسجد الحرام وعضو هيئة كبار العلماء ترجمة لوالده منشورة في مجلة المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي،

وقد قرأ عليه الوالد رحمه الله في بريدة منذ أن انتقل الوالد إليها عام ١٣٧٣هـ، واستمر في الانتفاع به وبعلمه حتى وفاته رحمه الله.

وبعد أن انتقل الشيخ ابن حميد لرئاسة الإشراف الديني على المسجد الحرام عام ١٣٨٤هـ رغب من الوالد أن يكون إمامًا وخطيبًا للمسجد الحرام ورئيسًا للمدرسين والمراقبين في المسجد الحرام وذلك عام ١٣٨٥هـ، فوافق على ذلك، وصدر أمر الملك فيصل رحمه الله بذلك. وقد كانت بين الوالد وبين الشيخ ابن حميد رحمهما الله مجالس خاصة، فهو محل ثقته، ومستشاره، وكان الشيخ كثيرًا ما يكلفه ببعض الأمور العلمية، ويدعوه بعد صلاة العشاء، مذ كان في بريدة للتباحث فيها وفي غيرها. وكان الوالد كثير الثناء والإجلال لشيخه، عظيم الاحتراف به، يذكر فضله وعلمه في مجالسه العامة والخاصة.

يقول الوالد رحمه الله عن شيخه سماحة الشيخ عبد الله بن حميد رحمه

الله:

« لقد كان والدنا سماحة الشيخ عبد الله بن حميد من أبرز علماء المملكة العربية السعودية، ومن أشهر قضاتها المحبين للخير، الذين يحكمون بين الناس بالعدل، وكان حريصًا على إلقاء الدروس في التفسير، والحديث، والفقه، واللغة العربية، وغيرها من المواد الدينية، التي استفاد منها كثير من الذين كانوا يحضرون دروسه.

كان يرحمه الله ذكيًا ذا فطنة ولباقة، وحضور ذهني دائم، وبديهة فائقة، وذا قدرة على معرفة الشخص بصوته، ولو مر عليه من قبل مرة

واحدة قبل عشر سنوات... يضاف إلى ذلك أنه يمتاز بالأناة والتروي، لا يندفع أبدًا في أي مشكلة، وإنما يعالجها بكل ترو؛ لكيلا يظلم أحدًا أبدًا... كان لسماحته منهج مميز في سماع أي سؤال من أي سائل، حيث إنه قبل أن يشرع في إجابة السؤال يتحقق من السائل؛ ليستوضح منه الموضوع، والتأكد منه قبل أن يجيب.

وقد درست على يدي سماحته الفقه والحديث واللغة في مدينة بريدة، واستفدت منه جدًا، ومن أسلوبه في التدريس، وإجابة أسئلة أي سائل، وأثناء ملازمتي له في مكة المكرمة بعد أن عين رئيسًا عامًا للإشراف الديني على المسجد الحرام استمرت أطلب العلم في حلقات دروسه، واستفدت من فتاويه، وتوجيهاته، وتصرفاته الحكيمة^(١).

ومن مظاهر تقدير الوالد وإجلاله لشيخه ما نشر في كتاب (المجموع من مؤلفات سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد) والذي طبعته جامعة أم القرى بمناسبة الاحتفاء بالشيخ رحمه الله حيث نشر في ص ٤١٤ خطاب كتبه الوالد وفيما يلي نصه:

« بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

(١) كتاب سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد، لشيخه معالي الدكتور صالح بن حميد، ص ٤٧، من مطبوعات جامعة أم القرى، الطبعة الأولى عام ١٤٢٦هـ، بمناسبة الاحتفاء بسماحته رحمه الله يوم الأربعاء ٢١/١٠/١٤٢٦هـ في قاعة الأمير فيصل بن فهد بجامعة أم القرى، والتي شارك فيها الشيخ عبد العزيز المسند، والشيخ صالح بن حميد، وأدار الندوة الأستاذ حمد القاضي.

فقد طلب مني فضيلة الشيخ نور أحمد مدير الدعوة والإرشاد لمؤتمر العالم الإسلامي في باكستان، وأمين عام دعوة الحق وإدارة القرآن والعلوم الإسلامية في كراتشي، أن أكتب كلمة في موضوع الاشتراكية، وما حكم الإسلام فيها، جواباً من علماء الحرم الشريف بمكة المكرمة، فأجبتته إلى ذلك.

ولما اطلعت على كتابة شيخنا ووالدنا الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى والرئيس العام للإشراف الديني على المسجد الحرام، رأيت كتابته حفظه الله في هذا الموضوع كافية وافية بالمقصود؛ لما اشتملت عليه من الأدلة النقلية والعقلية، فرأيت الاكتفاء بها، ولأن ما جاء فيها هو الذي نعتقده وندين الله به.

نسأل الله عز وجل أن يوفق المسلمين لفهم كتاب ربهم وسنة نبيهم والعمل بهما، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال ذلك وكتبه محمد بن عبد الله بن سبيل إمام الحرم المكي الشريف ونائب الرئيس العام للإشراف الديني بالمسجد الحرام. حرر في ٩/١٠/١٣٩٧هـ.

ولما توفي الشيخ ابن حميد عام ١٤٠٢هـ رثاه الوالد رحمه الله بقصيدة يقول في مطلعها:

على مثل هذا الخطب تهمي النواظر

وتذري دماء مقلّة ومحاجر

ألا أيها الناعي لنا علم الهدى

أصدقًا تقول أم مصابًا تحاذر

ويقول فيها أيضًا:

هو الجبل الراسي على كل حالة

إذا زعزت أحلام قوم أعاصر

منار على درب التقى فوق لا حب

به يهتدي الساري وتناى المخاطر

ويقول أيضًا:

سحابة علم روت الروض والربا

فأخصب منها مربع ومحاجر

فيا أسفا قد صوح النبت بعده

فأضحى هشيماً وهو بالأمس ناضر

وإن انتزاع العلم في موت أهله

كما جاء في نص الصحيحين ظاهر

فيالك من خطب جليل وحادث

به فقدت أنهار علم زواجر

كما فقدت في حندس الليل أنجم

وقد سقطت في الأفق وهي زواهر

فيا خيبة الساري إذا غاب نجمه

ويا لوعة الصادي إذا جف ماطر

ويقول أيضًا:

مضى ابن حميد بالمفاخر والتقى

فله عمر بالفضائل زاخر

(جليل)^(١) أتت في النظم أعوام عمره

وفي عام (غبت)^(٢) غيبته المقابر

ويصف معالي الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب

المسجد الحرام العلاقة التي كانت بين والده مع والدي رحمهما الله فيقول:

«نشأت صلتي بالشيخ - رحمه الله - من صلته بوالدي - رحمه الله -

حين كان قاضيًا في منطقة القصيم، فقد كنت صغيرًا في المرحلة الابتدائية،

وكان الشيخ محمد مع أخيه فضيلة الشيخ عبد العزيز العالم الفقيه من خاصة

جلساء الوالد، فكنت أراه في بيتنا في بريدة يجلس مع الوالد مع بعض

الجلساء الخاصين، الذين يأنس بهم الوالد - رحمه الله - لعلمهم، وظرفهم،

وحسن أدبهم، وحديثهم، وسعة اطلاعهم، كما كان يصحب الوالد في

بعض أسفاره ورحلاته وتنزهاته؛ لما يتمتع به من فضل وصلاح وأدب

وظرف مجلس».

(١) ٧٣ بحساب الجمل .

(٢) ١٤٠٢ بحساب الجمل .

ومن مشايخه أيضًا:

٤- فضيلة الشيخ محمد بن صالح الخزيم (ت ١٣٩٤هـ) رحمه الله: تولى القضاء في الرس، ثم المذنب، ثم عنيزة، وقرأ عليه الوالد في الحديث والتوحيد والفقه وغيرها.

٥- فضيلة الشيخ سليمان بن صالح الخزيم (ت ١٤٠٧هـ) رحمه الله، تولى قضاء نجران، ثم حوطة سدير وغيرها، وقرأ عليه في علم العروض واللغة.

٦- فضيلة الشيخ محمد بن عبد الرحمن الخزيم رحمه الله، من مشايخ البكيرية المعروفين، وقرأ عليه الوالد قراءات متنوعة.

٧- فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز الخضير (ت ١٣٩٢هـ) رحمه الله، تولى قضاء عفيف، ثم درس بالمعهد العلمي بالمدينة المنورة، وقرأ عليه الوالد قراءات متنوعة.

٨- فضيلة الشيخ صالح بن عبد الله الشاوي (ت ١٣٨٠هـ) رحمه الله، وقرأ عليه الوالد في التفسير والنحو واللغة والأدب.

٩- فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن محمد المقوشي (ت ١٤٠٥هـ) رحمه الله، وقرأ عليه الوالد قراءات متنوعة.

وأما مشايخه في مكة، فمن أشهرهم:

١- فضيلة الشيخ سعدي ياسين السلفي، من علماء الشام، وعضو رابطة العالم الإسلامي، وقرأ عليه الوالد القرآن الكريم كاملاً، وأجازه الشيخ بقراءة حفص عن عاصم، ولما أتم قراءة القرآن كاملاً عليه

كتب له الإجازة في ٨ / ٨ / ١٣٨٨ هـ قائلاً فيها: « وإني قد أقرأت تلميذي وخريجي فضيلة الأستاذ العالم الألمي اللوذعي التقي النقي الشيخ محمد العبد الله السبيل، إمام وخطيب المسجد الحرام بمكة المكرمة حرسها الله، وصانها، وحماها، وإني قد أجزته بالقراءة والإقراء لكتاب الله العظيم، الذي هو حياة القلوب، وشفاء الصدور، ونور الأبصار، وسبب كل عزة ورفعة؛ لما شاهدت فيه من الاقتدار على الأداء، والإقراء، والإفادة، وأن يميز بذلك من يراه من المستفيدين والآخذين... وأخبرته أنني قرأت على أستاذي وشيخي شيخ المقرئين الشيخ محمد توفيق البابا، سبط واحد زمانه، وغرة أقرانه، عالم الشام الهمام، سيدي الشيخ بكري العطار رحمه الله... ».

وبعث بهذه الإجازة للوالد، فأرسل له الوالد رحمه الله جواباً وضمنه أبياتاً نظمها، منها قوله:

قد حقق الله ما قد كنت آمله أيام أتلو كتاب الله في البكر

وتارة سحرًا أتلو عليك به بين المقام وبين الحجر والحجر

٢ - فضيلة الشيخ / أبو محمد عبد الحق بن عبد الواحد بن محمد الهاشمي، وقد أجاز الوالد في القرآن الكريم وكتب السنة والمد النبوي عام ١٣٩٠ هـ.

٣ - فضيلة الشيخ / أبو سعيد محمد بن عبد الله نور إلهي، وقد أجاز الوالد في القرآن الكريم وكتب السنة.

وقد حفظ الوالد رحمه الله خلال فترة دراسته العديد من المتون العلمية منها: زاد المستقنع، وعمدة الأحكام، وبلوغ المرام في أحاديث الأحكام، والرحبية في الفرائض، والبيقونية في مصطلح الحديث، وملحة الإعراب للحريري، وألفية ابن مالك في النحو، ونظم المفردات في الفقه، وجزء كبير من منظومة ابن عبد القوي، إضافة إلى كثير من المنظومات العلمية والقصائد الأدبية.

مصنفاته:

صنف - رحمه الله - الكثير من الكتب القيمة، والرسائل العلمية النافعة في موضوعات شتى، وقد طبعت كلها بحمد الله وفضله، وهي:

- ١ - من منبر المسجد الحرام (أربعة أجزاء).
- ٢ - الإيضاحات الجليلة في الكشف عن حال القاديانية.
- ٣ - حد السرقة في الشريعة الإسلامية.
- ٤ - الأدلة الشرعية في بيان حق الراعي والرعية.
- ٥ - حكم التجنس بجنسية دولة غير إسلامية.
- ٦ - حكم الاستعانة بغير المسلمين في الجهاد.
- ٧ - الخط المشير إلى الحجر الأسود في صحن المطاف، ومدى مشروعيته.
- ٨ - رعاية الحرمين الشريفين منذ صدر الإسلام وحتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز.
- ٩ - رفيق الطريق في الحج والعمرة.
- ١٠ - الإجازة بأسانيد الرواية.

- ١١- نبذة وجيزة عن عمارة الحرمين الشريفين.
- ١٢- من هدي المصطفى ﷺ.
- ١٣- فتاوى (ثلاثة مجلدات).
- ١٤- دعوة المصطفى ﷺ ودلائل نبوته ووجوب محبته ونصرته.
- ١٥- المختار من الأدعية والأذكار.
- ١٦- شرح بعض مسائل الجاهلية.
- ١٧- فضائل الصحابة.
- ١٨- فضل الدعوة إلى الله تعالى وصفتها.
- ١٩- خطبة الجمعة وأهميتها في الإسلام.
- ٢٠- فضل مكة ووجوب الأدب فيها.
- ٢١- حكم السعي ركباً.
- ٢٢- من منهج التربية الإسلامية.
- ٢٣- مجالس رمضان.
- ٢٤- مجالس الحج.
- ٢٥- حكم الصلح على أكثر من الدية في قتل العمد.
- ٢٦- حكم مشاركة المسلم في الانتخابات مع غير المسلمين.
- ٢٧- ديوان شعر^(١).

(١) قام أخي الدكتور / عبد الملك بحصر القصائد والأبيات التي نظمها الوالد - رحمه الله -

وجمعها في ديوان مستقل عام ١٤١٦هـ.

يتحدث معالي الشيخ الدكتور صالح بن حميد، إمام وخطيب المسجد الحرام عن مؤلفات الوالد رحمه الله، فيقول:

« للشيخ رحمه الله مدونات علمية تعنى بإبراز أثر الكتاب والسنة، ومقامهما في الارتقاء بحياة الناس، على تعددها، وتنوعها، وتهذيب النفوس، وتقريب منهج التربية الإسلامية، وبيان الحق فيما يجب على الخلق في حق الله سبحانه، ثم حق الغير والنفوس... ومن فضل الله أن جميع هذه المنشورات العلمية قد جمعت في هذه الأسفار المتسلسلة لتبرز جهد الشيخ رحمه الله، ومجهوداته»^(١) اهـ.

الإجازات العلمية:

١ - إجازة القرآن الكريم:

للوالد رحمه الله إجازة في القرآن الكريم أجاز بها عددًا من طلاب العلم والمشايخ، ونصها:

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، أنزله كتابًا مباركًا معجزًا بيانه، شاملاً تبيانه، ساطعًا برهانه، وجعله نورًا يهدي به من يشاء إلى الطريق المستقيم، وأصلي وأسلم على سيد الورى إلى يوم الدين، سيدنا محمد الهادي الأمين، القائل: «الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة» اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن القرآن الكريم خير كتاب أنزل على أشرف رسول إلى خير أمة أخرجت للناس، بأفضل الشرائع، وأسمحها، وأكملها، وهو كلام

(١) من مقدمة الشيخ للمجموعة الكاملة لمؤلفات الوالد رحمه الله.

الله المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين، بواسطة روح القدس جبريل عليه السلام، المتلو بالألسنة، المحفوظ في الصدور، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، قال تعالى: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾ أنزل القرآن؛ ليتدبر المسلم آياته، ويتفكر في معانيه، وأوامره فيمتمثلها، ونواهيها فيجتنبها.

ولما اختص الله تبارك وتعالى هذه الأمة ببقاء اتصال الأخذ والإسناد، حفظاً للشريعة المطهرة إلى يوم التناد، وقد قال عبد الله بن المبارك: الإسناد من الدين.

فإني قد أقرأت... ولما شاهدت فيه من الاقتدار على الأداء والإقراء والإفادة، وأن يجيز بذلك من يراه من المستفيدين والآخذين، أجزت له بذلك؛ طلباً لمرضاة العزيز الغفار، إنه غفور ستار. وأخبرته أنني قرأت على أستاذي وشيخي شيخ المقرئين، عالم الشام الهمام، الشيخ محمد سعدي ياسين، رحمه الله، وبل بالرضوان ثراه، وجعل الجنة مأواه ومثواه، وقد أخبرني أنه قرأ على شيخه شيخ المقرئين، الشيخ محمد توفيق البابا، سبط واحد زمانه وغرة أقرانه الشيخ بكري العطار رحمه الله، وهو على أستاذ المقرئين وقدوة المحققين، الإمام أبي الحسن الشيخ عبد الله بن سليم المنجد الدمشقي الشافعي رحمه الله، وقد أخبره بأنه قرأ على شيخه المقرئ المحقق والقدوة المدقق، الشيخ حسين بن موسى شرف الدين المصري الأزهري، وهو على شيخه علامة زمانه وقارئ أوامره، السيد أحمد خلوصي بن السيد

على الإسلامبولي، المدعو بحافظ باشا، في المعسكر السلطاني في مدينة دمشق الشام، وهو على شيخه الإمام الأول بجامع نور عثمانية بدار السلطنة العلية، الشيخ الحاج مصطفى، الشهير بموقت أفندي، هو على الشيخ عمر البلوي، المدعو بقرا حافظ بستاني، وهو على الشيخ الحاج حسن فهمي الوديني الخطيب بجامع با يزيد، وهو على رئيس القراء صاحب المسلك، الشيخ أحمد أفندي الصوفي القسطموني، وعلى صاحب المسلك الثاني، الشيخ الحاج محمد النعيمي الشهير بابن الكتاني، وهو على الشيخ الحاج حسين بن الحاج حسين بن الحاج مراد الأضرومي، وهو على شيخ القراء والمحدثين الشيخ علي المنصوري بقسطنطينية، وهو على أئمة الهدى وأعلام الدين، شيوخ مشايخ القاهرة الشيخ محمد البقري، والسلطان المزاحي، وأبي النور علي الشبراملسي، وقرأ الشيخ سلطان المزاحي على الشيخ سيف الدين الفضالي، وهو على الشيخ شحاذة الياني، وقرأ الشيخ محمد البقري والشبراملسي على عبد الرحمن اليمني، وهو على والده الشيخ شحاذة اليمني، وقرأ الشيخ أحمد الصوفي صاحب المسلك على الشيخ محمد أفندي الشهير بحلبي إمام أفندي، وهو على الشيخ شعبان أفندي، وهو على الشيخ محمد بن جعفر المعروف بأوليا أفندي، وهو على الشيخ أحمد المسير المصري صهر ناصر الدين الطبلاوي، وقرأ الشيخ أحمد المسيري والشيخ شحاذة على ناصر الدين الطبلاوي، وهو على القاضي زكريا الأنصاري، وهو على العقبي والنويري وفخر الدين الضرير، وهم على إمام القراء والمحدثين شمس الدين محمد بن محمد الجزري، وقرأ ابن الجزري على أبي عبد الرحمن البغدادي، وهو على الإمام أبي عبد الله محمد ابن عبد الخالق المصري، وهو على الإمام الشيخ أبي الحسن علي بن سجاج العباسي، وهو على الإمام

القاسم بن فيره الشاطبي الرعيني، وهو على أبي الحسن علي بن هذيل، وهو على أبي داود سليمان ابن أبي القاسم الأموي، وهو على إمام القراء أبي عمرو الداني، وقرأ الداني على أبي الحسن طاهر بن غلبون، على أبي الحسن علي بن محمد بن صالح بن داود الهاشمي، على أبي العباس أحمد بن سهل الفيروزاني الأشناني، وقرأ الأشناني على أبي محمد عبيد بن الصباح، وقرأ عبيد على أبي عمرو حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي، وقرأ حفص على إمام الكوفة وقارئها أبي بكر عاصم بن أبي النجود، وقرأ عاصم على أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمى الضرير، وعلى أبي مريم زر بن حبيش الأسدي، وعلى أبي عمرو سعد بن إياس، وقرأ هؤلاء الثلاثة على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وقرأ السلمى وزر على عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وقرأ السلمى أيضًا على أبي بن كعب وزيد بن ثابت رضي الله عنهما، وقرأ ابن مسعود وعثمان وعلي وأبي زيد على رسول الله سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم عن أمين الوحي جبريل عليه السلام عن رب العزة سبحانه جل جلاله، وعظمت آلاؤه، وبقية أسانيد حفص رضي الله عنه مبسوطة في النشر فليراجع ثمة.

وأوصيته فيما قرأ وتلقاه مني، بشرط أن لا يتخطاه، وأن لا يخلطه بسواه، وأن لا ينشر العلم إلا لله، وأن لا يجعل اعتماده إلا على الله، وأن لا ينساني من صالح دعواته في خلواته وجلواته، ولمشايجي ولوالدي ولإخواني المسلمين، أحياء ومنتقلين، إجازة صحيحة مقروءة بالنية والتلفظ، مشحونة بالتحرز والتحفظ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل،

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

محمد بن عبد الله بن سبيل

٢ - الإجازة بأسانيد الرواية:

وهي إجازته رحمه الله لمروياته الكثيرة في السنة وغيرها، والتي أجازها فيها الشيخ عبد الحق بن عبد الواحد الهاشمي، والشيخ أبو سعيد محمد عبد الله نور إلهي، وقد طبعت هذه الإجازة برسالة مستقلة. وقد أجاز سماحته عددًا من المشايخ وطلاب العلم، ونص هذه الإجازة:

« بسم الله الرحمن الرحيم

الإجازة بأسانيد الرواية

الحمد لله الذي هدانا إلى سبيل الحق والرشاد، ومن علينا باتباع هدي خير العباد، وخص أمة محمد ﷺ بفضيلة الإسناد، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك به، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المعاد، أما بعد:

فإن الله عز وجل قد منَّ عليَّ بجوده وكرمه بسلوك سبيل العلم الشرعي، والنهل من معينه، وقد شرفني الله عز وجل بالتلمذ على عدد من علماء نجد الأعلام، أمثال الشيخ محمد بن مقبل آل مقبل، والشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن سبيل، والشيخ عبد الله بن محمد بن حميد، والقراءة

على بعض علماء المسجد الحرام، أمثال الشيخ عبد الحق بن عبد الواحد الهاشمي، والشيخ أبي سعيد محمد عبد الله نور إلهي، وذلك في مختلف علوم الشرع. وقد تحصلت ممن يعتني بالإسناد من أولئك العلماء على إجازات عديدة:

منها إجازة من الشيخ / عبد الحق الهاشمي المدرس بالمسجد الحرام وبارد الحديث بمكة المكرمة في القرآن الكريم، والموطأ، والصحيحين، والسنن الأربعة، وسنن الدارمي، وسنن الدارقطني، وسنن البيهقي، ومسند الإمام أحمد، وصحيح ابن خزيمة، وصحيح ابن حبان، وصحيح الحاكم، وتفسير الطبري، وتفسير ابن كثير، وتفسير الجلالين.

وإجازة من الشيخ / أبي سعيد محمد عبد الله نور إلهي المدرس بالمسجد الحرام وبارد الحديث بمكة المكرمة في الصحيحين، والسنن الأربعة بأسانيد متصلة منها إلى أصحاب الكتب المذكورة...^(١).

٣- إجازة المد النبوي:

وهي إجازة بسند المد النبوي الذي كان رسول الله ﷺ يكيل به. وقد أجاز سماحته عددًا من المشايخ، وطلاب العلم، ونص الإجازة:

(١) أورد بعدها رحمه الله السند عن الشيخين بالكتب المذكورة، وقد طبعت عام ١٤٢٢هـ وأجاز الوالد بها جمعًا من العلماء والمشايخ منهم: الشيخ عبد الله بن عقيل رحمه الله، والدكتور أحمد بن حميد، والشيخ محمد ناصر العجمي إضافة إلى أبنائه وغيرهم من طلبة العلم والمشايخ، وكانت آخر إجازة كتبها الوالد للدكتور علي الغامدي بتاريخ ٢٦/٣/١٤٣٢هـ.

« بسم الله الرحمن الرحيم »

سند المد النبوي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فقد عدل... مده بمدي وأنا عدلت مدي بمد شيخنا العلامة الشيخ أبي محمد عبد الحق الهاشمي المدرس بالمسجد الحرام، وهو عدل مده بمد الشيخ عبد الودود، وهو عدل مده بمد الشيخ أحمد الله، وهو عدل مده بمد الحافظ محمود، وهو عدل مده بمد محمد أيوب، وهو عدل مده بمد الشاه إسحاق، وهو عدل مده بمد الشاه رفيع الدين، وهو عدل مده بمد محمد حياة، وهو عدل مده بمد أبي الحسن بن محمد، وهو عدل مده بمد أبي الحسن بن أبي سعيد، وهو عدل مده بمد أبي يعقوب، وهو عدل مده بمد الحسن بن يحيى، وهو عدل مده بمد إبراهيم بن عبد الرحمن، وهو عدل مده بمد أبي علي منصور بن يوسف، وهو عدل مده بمد أبي جعفر أحمد بن علي، وهو عدل مده بمد أبي جعفر أحمد بن أخطل، وهو عدل مده بمد خالد بن إسماعيل، وهو عدل مده بمد أبي بكر أحمد، وهو عدل مده بمد أبي القاسم إبراهيم بن الشنظير، وبمد أبي جعفر بن ميمون، وهما عدلا مديهما بمد زيد بن ثابت الأنصاري، الذي كان يؤدي به الفطر إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وكتبه

محمد بن عبد الله بن سبيل

الإمام والخطيب والمدرس بالمسجد الحرام

وعضو هيئة كبار العلماء

تلاميذه:

تلمذ عليه رحمه الله الكثير من طلاب العلم في القصيم ومكة المكرمة:

من أشهر تلاميذه في منطقة القصيم:

- ١ - معالي الشيخ / صالح بن محمد اللحيدان رئيس مجلس القضاء الأعلى سابقاً وعضو هيئة كبار العلماء.
- ٢ - معالي الشيخ / صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.
- ٣ - معالي الشيخ / عبد الرحمن بن عبد العزيز الكلية رئيس المحكمة العليا سابقاً وعضو هيئة كبار العلماء.
- ٤ - معالي الشيخ / عبد الرحمن بن عبد الله العجلان رئيس محاكم القصيم سابقاً والمدرس بالمسجد الحرام.
- ٥ - معالي الشيخ / يوسف بن منصور اليوسف رئيس محكمة القطيف سابقاً.
- ٦ - معالي الشيخ / محمد بن عبد الله العجلان القاضي بالمحكمة الكبرى بمكة سابقاً والمدرس بالمسجد الحرام.
- ٧ - معالي الشيخ / صالح بن محمد بن عبد الله النجدي القاضي بمحكمة الاستئناف بمكة.

٨ - معالي الشيخ / صالح بن عبد الرحمن القرعاوي القاضي بمحكمة الاستئناف رحمه الله.

٩ - معالي الشيخ / عبد الله بن عبد العزيز التويجري القاضي بمحكمة الاستئناف رحمه الله.

١٠ - فضيلة الشيخ / علي بن محمد الريش القاضي في المحكمة المستعجلة بريدة سابقاً.

١١ - معالي الشيخ / عبد الله العثمان القاضي بمحكمة الاستئناف.

١٢ - معالي الشيخ / سليمان بن علي الدخيل القاضي بمحكمة الاستئناف بالرياض.

١٣ - معالي الشيخ / علي بن عبد الله السديس القاضي بمحكمة الاستئناف.

١٤ - فضيلة الشيخ / إبراهيم بن حمد اللحيان القاضي بديوان المظالم.

١٥ - فضيلة الشيخ / صالح بن حمود اللحيان رئيس محكمة الخبر.

١٦ - معالي الدكتور / محمد بن ناصر الخزيم نائب الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام.

١٧ - معالي الدكتور / علي بن مرشد المرشد الرئيس العام لتعليم البنات سابقاً.

١٨ - فضيلة الشيخ الدكتور / صالح بن ناصر الخزيم عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بالقصيم رحمه الله.

- ١٩ - فضيلة الشيخ محمد بن علي المحمود، من رجالات التربية والتعليم.
- ٢٠ - فضيلة الدكتور / عبد الحلیم بن إبراهيم العبد اللطيف عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- ٢١ - فضيلة الدكتور / عبد الكريم بن محمد اللاحم، عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- ٢٢ - فضيلة الدكتور / عبد الله الديخي عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وغيرهم كثير ممن استفاد من علمه في القصيم.

وأما في مكة فمن تلاميذه فيها:

- ١ - ابنه الشيخ الدكتور / عمر السبيل إمام وخطيب المسجد الحرام وعميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى رحمه الله (ت ١٤٢٣هـ)^(١).
- ٢ - فضيلة الشيخ المحدث / مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله (ت ١٤٢٢هـ).
- ٣ - فضيلة الشيخ الدكتور / سعود بن مسعد الثبيتي، عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بجامعة أم القرى، والمدرس بالمسجد الحرام.

(١) كتب أخي الدكتور عبد الملك ترجمة لأخي الشيخ عمر رحمه الله، كما صدر كتاب في ترجمته عنوانه: (الغيث المجلل في ترجمة الشيخ عمر السبيل) للشيخ سلمان المشعل، الطبعة الأولى، عام ١٤٣٠هـ.

- ٤ - فضيلة الشيخ الدكتور/ محمد بن سليمان المنيعي عضو هيئة التدريس بكلية الدراسات القضائية بجامعة أم القرى.
- ٥ - فضيلة الشيخ الدكتور/ إبراهيم بن ناصر البشر عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بجامعة أم القرى.
- ٦ - فضيلة الشيخ الدكتور/ محمد بن إبراهيم السعيدني عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى.
- ٧ - فضيلة الشيخ الدكتور/ ناصر بن عبد الله الميمان عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى وعضو مجلس الشورى سابقاً.
- ٨ - فضيلة الشيخ الدكتور/ بدر الماص عضو هيئة التدريس بجامعة الكويت.
- ٩ - فضيلة الشيخ الدكتور / عبد الله بن ناصر عسيري المدرس بمعهد الحرم المكي الشريف.
- ١٠ - فضيلة الشيخ / نصير البركاتي من رجالات التعليم في مكة.
- ١١ - فضيلة الشيخ الدكتور/ جبريل بن المهدي بن علي ميغا عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى.
- ١٢ - فضيلة الشيخ / محمد ريال محمد السيلاني وكيل معهد الحرم المكي الشريف.
- ١٣ - فضيلة الدكتور / محيي الدين إمام النيجيري حاصل على الدكتوراه في العقيدة من جامعة أم القرى رحمه الله.

١٤ - فضيلة الشيخ زاهد رشيد الأمريكي، خريج جامعة أم القرى، ورئيس جمعية القرآن والسنة بنيويورك.

١٥ - أبناءؤه: وقد تخصص بعضهم في دراسة الفقه، وهم: علي، وعبد الملك، وعبد اللطيف، وعبد المجيد (كاتب هذه الترجمة)، وكلهم حاصلون على الدكتوراة في الفقه، ومن أحفاده الذين تتلمذوا عليه: عبد اللطيف بن دخيل الدخيل، وأنس بن عمر السبيل، وياسر بن عبد الرحمن السديس وأخيه محمد السديس، وغيرهم كثير ممن استفادوا من علمه في مكة المكرمة.



المبحث الرابع

صفاته وأخلاقه

الحديث عن أخلاق الوالد وسجاياه، وشأئله وآدابه، والمواقف والأخبار في ذلك، حديث لا ينتهي، وما أعذبه من حديث، وما أصعبه من بيان.

كان رحمه الله مثلاً نادراً في الأخلاق الكريمة، والصفات النبيلة، والخصال الشريفة.

ولولا أن يظن القارئ المبالغة فيما أذكر، لسردت من أوصافه ما يليق به رحمه الله، لكنني تركت ذلك اكتفاء بما ذكره عارفوه من أصحاب الفضيلة العلماء والمشايخ، ممن لا تربطه بهم قرابة ولا نسب.

يقول معالي الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب المسجد الحرام:

«عرف الشيخ - رحمه الله - عالماً راسخاً في علمه، ونبيلاً راقياً في أدبه وحسن تواصله وإحسانه، وتخلقه بآداب الشريعة، وسمت حملتها، حمل العلم، فتعلم وعلم، واستبطن الخلق، فتأدب وأدب».

ويقول معالي الشيخ الدكتور عبد الرحمن السديس إمام وخطيب المسجد الحرام:

«كان بمثابة الوالد الحاني، والمعلم الباني، وهو مدرسة في العلم

والفضل والحكمة وحسن الخلق، وموسوعة في معارفه وآدابه، وحسن معشره وملاطفته».

ويقول فضيلة الشيخ الدكتور أسامة بن عبد الله خياط إمام وخطيب المسجد الحرام:

«كان رحمه الله تُقبَلُ عليه، فيلقاك هائِثًا هائِثًا بأحسن لقاء، وأجمل عبارة. وتصغي إليه، فتجد في كلامه نُصْحًا رقيقًا، وإرشادًا وتوجيهًا حكيمًا. كان - رحمه الله - متصفًا بأحسن الصفات وأجملها: من سلامة الصدر، وحسن الخلق، ولين الجانب، وحب الإحسان إلى عباد الله: ببذل المعروف، والسعي إلى الإصلاح، والإكرام لهم، وكثرة التودد إليهم».

ويقول فضيلة الشيخ الدكتور / سامي خياط عضو هيئة التدريس بجامعة شقراء:

«كان شيخنا الراحل من أهل القرآن وخاصته، وقد خالط القرآن الكريم روحه، وجسده، وعقله، وفكره.. لذا كان خلقه، وسمته، متمثلاً بالقرآن، وكل من كان خلقه القرآن الكريم، فقد جمع مكارم الأخلاق، ومحاسن الخلال، ومحامد الصفات...» اهـ.

كان الوالد رحمه الله حييًّا، يمنعه حياؤه من الوقوع في القبيح، أو التقصير في الواجب، كان كريماً، سخياً، معطاءً، كريماً بنفسه، وكريماً بماله، وجاهه، كثيراً ما يستضيف الناس في بيته، ويبالغ في إكرامهم، ويحتفي بضيفه احتفاءً كبيراً، يستقبله في مجلسه عند أول قدومه، مرحباً مهلياً، وإذا جلس على مائدته قرب له طعامه، ولو كان من بسطاء الناس وعوامهم.

كان طليق الوجه، عف اللسان، يألف ويؤلف، يستقبل الناس في كل يوم بمكتبته في الرئاسة، ويستقبلهم في المساء بالمسجد الحرام بمكتبته عند باب الملك عبد العزيز، وفي خلوته عند باب الفتح، ويستقبلهم بعد العصر في منزله، لم يحتجب عنهم أو يستنكف عن أحد منهم.

كان رحمه الله ورعاً، زاهداً، عفيفاً، معرضاً عن الدنيا وملذاتها، مقبلاً على أمر دينه، والاستعداد لآخرته رحمه الله.

يصف ذلك فضيلة الدكتور إبراهيم البشر، عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى، فيقول:

« تعجز وأنت تتحدث عن سجايه، فهو من طبع الناس على محبته بما رزقه الله من كريم السجايه، والتلطف مع كل من يقابله، وهي موهبة ربانية، لا يستطيع أحد تصنعها... وكان ورعاً يعف يده عن المشتبهات، بل وبعض المباحات، عرفت ذلك عن قرب، وقد مات رحمه الله وحاله من أواسط الناس؛ لأنه كان يتعفف عن العطايا والمنح... وأما كرمه فحدث ولا حرج، لا رياء فيه ولا سمعة، كان يطلب للزيارة من بلاد كثيرة من العالم الإسلامي، ويلتقي بالآلاف الناس في كل البلاد، ثم إذا قدموا إلى مكة فلا يعرفون إلا بيت الشيخ محمد السبيل رحمه الله، فكان يكرمهم غاية الإكرام، مع كثرتهم وتكرر الزيارة، ويجدون منه طيب خاطر واستفادة من مجلسه رحمه الله »^(١).

كان مجلسه ملتقى لكبار القوم من العلماء، والوجهاء، وغيرهم،

(١) من مداخلته في البرنامج التلفزيوني (يوم جديد)، صفر ١٤٣٤هـ.

فيعطي كل إنسان حقه، وينزل كل إنسان منزلته. يأتيه الرجل للسلام عليه، ويأتيه السائل ليستفتيه، ويأتيه المحتاج لحاجته فلا يكاد أحد يخرج من عنده إلا راضي النفس شاكرًا وداعيًا.

يعامل الجميع باللطف واللين، والحلم والصفح، ويستقبلهم بالبشر والترحيب، ويقوم للسلام عليهم ومصافحتهم ويظهر احتفاء ومودة، يشعر معها القادم بمودته ومحبته.

يقول معالي الشيخ صالح بن حميد إمام وخطيب المسجد الحرام حفظه الله:

« كان بيته عامرًا بالزوار من جميع شعوب العالم الإسلامي، يدفعهم لذلك كرم الشيخ ولطفه وحسن استقباله ودماثة خلقه، بل لقد ظهر ذلك في يوم جنازته رحمه الله، فقد كان يومًا مشهودًا في المشيعين من العلماء، والغرباء، والوجهاء، والفقراء، وكل الفئات، والطبقات، فرحمه الله رحمة واسعة.»

ويقول معالي الدكتور محمد الخزيم نائب الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام:

« وقد كان منزله في بريده رحمه الله مفتوحًا لطلاب العلم والمحتاجين والقادمين من البكيرية وغيرها، منهم من يسكن فيه لطلب العلم، ومنهم من يأتي للعلاج، وفيهم الغني والفقير والمحتاج، وكان رحمه الله يستقبل الجميع، ويكرم الزائر، ويهيئ الأسباب المريحة للمقيم عنده، لا يظهر مللاً، ولا يستثقل أحدًا، وهذا شأنه في منزله في مكة المكرمة؛ لأن الكرم سجيته

رحمه الله» .

كان الوالد رحمه الله من أبعد الناس عن التكلف في حديثه أو هيئته أو جلسته أو غير ذلك، كان متواضعًا ورعًا زاهدًا، لا يأبه بالمظاهر، ولا يستنكف عن مباشرة أعمال الخير والإحسان بنفسه.

يقول الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن حسين آل إسماعيل:

« زرت سماحة شيخنا الشيخ عبدالله بن حميد حين كان الرئيس العام للإشراف على الحرمين الشريفين، وكان استقباله استقبال الأب لابنه رحمه الله، وأمر لي بكتب، ووجدت في مكتبه رجلاً، يذهب، ويجيء، ويباشر الزوار، بتهيئة الكتب بنفسه، وصرف لي مجموعة من الكتب، منها: كشف القناع، والمحرر، وغاية الأماني، وغيرها، وأظن ذلك كان عام ١٣٨٦هـ.

ولما انصرفت أخبرني أحد الإخوة بأن هذا الرجل الذي كان يباشر الزوار هو الشيخ محمد بن سبيل، عندها تذكرت الخليفة عمر بن عبدالعزيز رحمه الله الذي أشعل السراج حين انطفأ، ولما قيل له قال: قمت وأنا عمر وعدت وأنا عمر» .

كان الوالد - رحمه الله - حازمًا صارمًا فيما حقه الحزم، ولا يتوانى في عزمه، ولا يتأخر في أمره، بل يذهب إلى ما أراد حتى يحققه ويفعله، كان متغاضياً متغافلاً عن الهفوات والزلات، التي لا يسلم منها أحد، وكثيراً ما يذكر القول المأثور: تسعة أعشار العقل في التغافل.

كان رحمه الله من عقلاء الرجال وحكائهم، يضرب به المثل في ذلك، وهي حكمة يعملها مع الكبير والصغير، والرئيس والمرؤوس، والموافق

والمخالف، والعالم والعامي، والقريب والبعيد.

يزن الأمور بميزان الشرع، ويوازن بين المصالح والمفاسد، بصيرًا بأعراف الناس وعاداتهم، فاستقامت أحواله، وحمد الناس سيرته، وعرفوا قدره وفضله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

يقول معالي الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب المسجد الحرام:

«الشيخ رحمه الله في كل ما تولاه من أعمال وتعليم ودعوة وإدارة وتوجيه كان متأنياً في قراراته، متروياً في إجراءاته، يعالج الأمور بحكمة، سالكاً مسالك الوسطية، حريصاً على كسب الرضا، وحفظ الود، ولا سيما العاملين معه، حسن الإنصات، في علم وصبر وأناة وحكمة».

كان بعيداً عن الإعلام والشهرة، زاهداً فيهما، لا يتحدث عن نفسه، ولا يجب أن يظهر أعماله الصالحة لأحد من الناس حتى المقربين منه.

يحكي الأستاذ محمد المشوح موقفاً له مع الوالد في ذلك فيقول:

«أذكر أنه في سنة ١٤١٩ هـ كنت أقدم برنامجاً إذاعياً معروفاً في إذاعة القرآن الكريم «في موكب الدعوة» وزرته في مكة، وطلبت منه رحمه الله لقاء مطولاً عن حياته وسيرته بعد أن انصرفنا سوياً من صلاة العشاء في المسجد الحرام. فاحتفى بي كثيراً كعادته مع الآخرين بما وهبه الله من خلق كريم وسجايا حميدة أجمع الناس عليها، وابتسم لي ابتسامة الوالد لابنه، معتذراً بأن ليس لديه ما يحسن قوله وبيانه.

وقال: عليك بالعلماء الكبار الذين يستفيد الناس منهم، مع أنه عضو في هيئة كبار العلماء وغيرها من المجمع الفقهي الكبرى، لكنه التواضع الذي طالما التحف به في حياته رحمه الله.

ويقول الدكتور فهد السنيدي: « عندما طلبت من الشيخ ابن سبيل رحمه الله لقاء في « صفحات من حياتي » قال لي: يا فهد، الظاهر للناس لا تريدونه، والمخفي بيني وبين ربي لن أخرجه ».

كان الوالد رحمه الله أبعد الناس عن المخاصمة، ويرى بيان الحق دون الخوض في المراء والمجادلة.

كان حافظاً للسانه، يصون عرضه عن الوقوع في أعراض الناس، وكان أبعد الناس عن الغيبة، وعن أذية أحد منهم بلسانه أو فعله، بل يعفو ويصفح عمن أساء إليه، ويحسن الظن بمن أخطأ في حقه، ويتغافل عن ذلك كله.

كان الوالد - رحمه الله - محباً للخير، محسناً للناس، يتودد إليهم، ويتلطف معهم، وكان يكن لأهل البلد الحرام كل مودة ورحمة، وإجلال وتقدير، يستقبلهم في داره، ويلبي حاجاتهم، ويزور مريضهم، ويتفقد غائبهم، ويواسي مصابهم، ويشفع لصاحب الحاجة منهم.

يذكر لأهل الفضل فضلهم، وينصح برفق ولين مخطئهم، كانت مودته صادقة، ومحبته ظاهرة، فوجد منهم مثل ذلك، وقد توافدوا عليه أفواجا يعزونه في ابنه الشيخ عمر رحمه الله، فكان المصاب مصابهم، جاءوا يواسون الأب، ويدعون للابن رحمهما الله.

يقول الدكتور عبدالله حريري عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى سابقاً:

« إمام عالم، أحب مكة وأهلها حباً جماً، فأحبه، يواسي فقراءهم، ويلبي الدعوات، ويحضر أحزان وأفراح أهل هذه المدينة المباركة . له المكانة العليا لدى القيادة في إسداء النصح، وتقبلهم منه ذلك، والمقام لا يسمح في سرد تلك المواقف العظيمة .

هذا الإمام العالم منذ ارتبطت به كإمام للمسجد الحرام، وأسندت إليه المناصب التي يراها تكليفاً لا تشريفاً، لم يتغير في تواضعه أو سلوكه أو معاملته، بل يقبل ما فيه خير قاصدي الحرمين، قبل وبعد إبان رئاسته لخدمة الحرمين الشريفين .»

ويتحدث الشيخ رويح السلمي مستشار الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي فيقول:

«كان رحمه الله والدًا للجميع من حين المقابلة ولو لأول وهلة، وكأنه يعرفك، ولا ينزع يده من يدك، وتلك من أخلاق النبوة التي اتصف بها معالي الشيخ محمد السبيل، وكان هيناً قريباً سهلاً وقريباً من الناس، يقف مع الصغير والكبير، سواءً كان موظفًا وفي مجال العمل أو كان محتاجًا، أو كان صاحب مسألة، يستفسر ويسأل عنها في مجال العلم وطلابه ورواده من العلماء، فكان مورده عذبًا، والمورد العذب كثير الزحام، علاوة على ما كان ينصح به من يعرفه، ومن لا يعرفه، بأن يرفق بهذه الأمة، وأن يرفق بالمحتاج، وأن يكون صابراً محتسبًا، نصب عينيه مساعدة الشخص، وقضاء

حاجته ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، بعيداً عن التكلف، كما هو معروف عنه، زاهدٌ مقتصدٌ عاملٌ مدرسٌ معلمٌ مربىٌ أجيال، عالمٌ ووالدٌ لعلماء».

ويقول الدكتور سعيد أحمد، المدرس بالمدرسة الصولتية:

«كان الشيخ محمد بن عبد الله السبيل مستأنساً بأهالي أم القرى، ومحبباً لديهم، حينما عين إماماً بالمسجد الحرام،... كان دائم الاتصال مع الأحبة من طلبة العلم وكان يرد على اتصالاتهم عاجلاً أو آجلاً بكل اهتمام، ومن تواضع سماحة الشيخ السبيل أنه حينما يأتي إلى الحرم لإمامة الصلوات كان يجلس مع عامة المصلين في الصفوف الأولى، فنجده وهو يرد على المستفسرين أو يكون مشغولاً في صلاته وأذكاره وأوراده في حجر إسماعيل أو في الحصوة، وهذا قبل التوسعة الجديدة في المطاف، وبعد تعيينه كرئيس لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف كان مرجعاً في مكتبه في الرئاسة للزوار والشخصيات الدينية، وكان سهل الوصول إليه، أما في المساء فيجلس في مكتبه في باب الملك عبد العزيز أو في حجرته في باب الفتح، فيستقبل جميع المراجعين وطلبة العلم والضيوف الوافدين من خارج المملكة من شتى أنحاء العالم».

رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه فسيح الجنان.



المبحث الخامس

حياته العملية

المطلب الأول

الإمامة والخطابة بالمسجد الحرام

- كان الوالد رحمه الله قبل أن يتولى الإمامة والخطابة في المسجد الحرام قد تولى إمامة عدد من المساجد في منطقة القصيم، وكانت أول إمامه له بالناس في صلاة التراويح في (المسجد التحتي) بالبكيرية عام ١٣٦٠ هـ بعد أن أتم حفظ القرآن الكريم، وعمره خمس عشرة سنة، واستمر على ذلك ثلاث سنوات يصلي بالناس التراويح في شهر رمضان المبارك.
- وفي عام ١٣٦٣ هـ عين إمامًا للمسجد التحتي، ويقوم بالخطابة في جامع البكيرية نيابة عن أخيه الشيخ عبد العزيز السبيل قاضي البكيرية حينها، واستمر على ذلك حتى عام ١٣٧٣ هـ حيث انتقل إلى بريدة. وكانت أول خطبة ألقاها من خطب الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، بعدها بدأ يخطب من خطب الشيخ المخضوب، كما هي عادة الخطباء في ذلك الزمن، ثم صار يخطب من كتاباته رحمه الله.
- وفي عام ١٣٧٧ هـ أنشئ (مسجد الدييب)^(١) بريدة، فعين إمامًا لهذا المسجد، واستمر فيه حتى عام ١٣٨٢ هـ، حيث عين إمامًا وخطيبًا

(١) انظر: تاريخ مساجد بريدة القديمة، د. عبد الله الرميان، ص ٢٧٥.

- لجامع الأمير عبد الله الفيصل (جامع ابن فيصل)، وهو أول جامع تقام فيه الجمعة بعد الجامع الكبير.
- واستمر في جامع ابن فيصل إمامًا وخطيبًا حتى عام ١٣٨٥هـ، حيث انتقل للإمامة والخطابة في المسجد الحرام بترشيح من سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد - رحمه الله - رئيس الإشراف الديني على المسجد الحرام.
- وكان انتقاله رحمه الله إلى مكة عام ١٣٨٥هـ قبيل شهر رمضان المبارك، فكان يقوم بمساعدة أئمة المسجد الحرام في ذلك الوقت وهم: معالي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن حسن آل الشيخ، والشيخ عبد المهيمن أبو السمح، والشيخ عبد الله خياط، والشيخ عبد الله الخليلي، والشيخ عبد الرحمن الشعلان رحمهم الله جميعًا.
- وكانت أول صلاة له رحمه الله إمامًا في المسجد الحرام هي صلاة التراويح سنة ١٣٨٥هـ. وأول فرض صلاه إمامًا صلاة الفجر، وقرأ فيها آخر سورة الفرقان. وكان الذي يصلي بالناس التراويح في تلك السنة هما: الشيخ عبد المهيمن أبو السمح، والشيخ عبد الله الخليلي، وكان الوالد يصلي التراويح أو القيام بعض الليالي نيابة عن أحدهما.
- ويذكر أخي الشيخ عمر رحمه الله:
- أنه منذ عام ١٣٨٧هـ حتى عام ١٤٠١هـ والوالد رحمه الله الذي يصلي الخمس الأولى من صلاة التراويح.
- ثم في عام ١٤٠٢هـ كان سماحة الوالد يصلي التسليبات الأربع الأولى،

ثم يصلي بعده فضيلة الشيخ الدكتور علي جابر رحمه الله مثلها، ثم يكمل فضيلة الشيخ عبد الله الخليلي رحمه الله التراويح، ويوتر بالناس.

- وفي عام ١٤٠٣ هـ كان الوالد رحمه الله يصلي الخمس الأولى، وفضيلة الشيخ عبد الله الخليلي يصلي الخمس الأخيرة، ويوتر. وفي العشر الأواخر من هذه السنة (١٤٠٣ هـ) صلى سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخمس الأخيرة من التراويح، بدلاً عن الشيخ عبد الله الخليلي، الذي كان يتولى الإمامة في صلاة القيام.

- وفي عام ١٤٠٤ هـ مرض الوالد في آخر شهر شعبان فلم يصل التراويح في تلك السنة. وفي عام ١٤٠٥ هـ كان يصلي التراويح خمسة من الأئمة كل واحد يصلي تسليمتين، وهم: سماحة الوالد أولاً، ثم يصلي بعده فضيلة الشيخ الدكتور علي الحذيفي، ثم معالي الشيخ الدكتور صالح ابن حميد، ثم معالي الشيخ الدكتور عبد الرحمن السديس، ثم فضيلة الشيخ عبد الله الخليلي، الذي يوتر أيضاً بالناس، لكن بعد مضي ثمانية أيام من شهر رمضان صار يصلي كل ليلة اثنان فقط من أصحاب الفضيلة، ويتولى الشيخ عبد الله الخليلي رحمه الله صلاة الوتر.

- وفي عام ١٤٠٦ هـ كان سماحة الوالد والشيخ علي جابر يصليان يوماً واليوم الآخر يصلي الشيخ علي الحذيفي والشيخ عبد الرحمن السديس بالتناوب. وكانت هذه آخر سنة يصلي فيها الوالد صلاة التراويح إماماً بالناس. (انتهى).

- وكان الوالد في العشر الأواخر من رمضان هو الذي يصلي الوتر في

- صلاة التراويح، والشيخ عبد الله الخليلي يصلي الوتر في صلاة القيام، وذلك في السنوات التي انفرد فيها الشيخان بصلاة التراويح والقيام.
- ومنذ عام ١٣٩٠هـ تقريباً والوالد - رحمه الله - يصلي بالناس في مسجد الخيف بمنى في يوم التروية وأيام التشريق وفي المشعر الحرام بمزدلفة من كل عام، واستمر على ذلك قرابة عشرين عاماً.
- وفي عام ١٣٨٦هـ أصبح رحمه الله الإمام الراتب لصلاة الفجر وصلاة العشاء في المسجد الحرام، واستمر على ذلك الحال حتى عين معالي الشيخ صالح بن حميد عام ١٤٠٤هـ إماماً للمسجد الحرام، حيث أصبح الشيخ صالح الإمام الراتب لصلاة الفجر واكتفى الوالد بإمامته الراتبة لصلاة العشاء، واستمر على ذلك حتى اعتذر الوالد رحمه الله عن الاستمرار في الإمامة والخطابة بعد أن أمضى أربعة وأربعين عاماً إماماً وخطيباً للمسجد الحرام فصدرت موافقة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز على ذلك بتاريخ ٢٤ / ٢ / ١٤٢٩هـ.
- وكانت أول خطبة للجمعة ألقاها الوالد رحمه الله في المسجد الحرام يوم ١٢ / ١٢ / ١٣٨٥هـ نيابة عن الشيخ عبد الله خياط، وكان سماحة الوالد كثيراً ما ينوب عن الشيخ عبد الله خياط - رحمه الله - في الخطابة وذلك في أوقات مختلفة على مدار العام، حيث لم يكن الشيخ عبد الله خياط ينيب أحداً غير الوالد - رحمه الله - وبعد اعتذار الشيخ عبد الله خياط عن الخطابة في المسجد الحرام، أصبح سماحة الوالد المنفرد بالخطابة حتى عين عدد من أصحاب الفضيلة العلماء والمشايخ أئمة في المسجد الحرام عام ١٤٠٤هـ فأصبحوا يشاركون في الخطابة في المسجد

الحرام.

- ظل ساحة الوالد منفردًا أكثر من عشرين عامًا بخطبة عيد الفطر المبارك، واستمر على ذلك حتى عام ١٤٢٣هـ، حيث كانت خطبته في هذا العام هي آخر خطبة لعيد الفطر يلقيها رحمه الله. بعدها اعتذر رحمه الله عن خطبة العيد، وتولاها من بعده معالي الشيخ الدكتور صالح بن حميد، ولا يزال حفظه الله، وكان الذي يتولى خطبة عيد الفطر المبارك قبل الوالد الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن حسن آل الشيخ إمام وخطيب المسجد الحرام رحمه الله.

* * *

لقد أمضى الوالد رحمه الله في الإمامة والخطابة والتدريس في المسجد الحرام أربعة وأربعين عامًا، كما شرفه الله بالعمل في رعاية الحرمين، وخدمة قاصديهما من الزوار والحجاج والمعتمرين مدة ستة وثلاثين عامًا.

فما أعظمه من شرف، وما أعظمها من مسؤولية، قام بها خير قيام، وأداها أحسن الأداء.

يصلي خلفه في كل عام الملايين من الناس، جاؤوا من كل فج عميق، تختلف أجناسهم وألوانهم ومشاربهم، ويتعامل في كل يوم وليلة

مع جمع منهم بخلق كريم، وحكمة وأناة، وحزم وعزم.

يصف معالي الشيخ عبد الرحمن السديس تلك المرحلة، وعلاقة
الوالد بأئمة المسجد الحرام ومنسوبي الرئاسة فيقول:

«شرفت بالعمل معه - رحمه الله - منذ تعييني إماماً وخطيباً
للمسجد الحرام، ووجدت منه كل محبة وعون وتوجيه.

وأذكر له ويذكر غيري كثير خيره وفضله علينا جميعاً في الحرم،
ومنسوبي الرئاسة، فكان منذ أن وطئت قدمي مكة، لنيل شرف
الإمامة في الحرم الشريف، استقبلني بكل حفاوة، وشجعني على القيام
بهذه المهمة العظيمة».

ويقول فضيلة الشيخ الدكتور أسامة خياط: « كان لسماحته الأيادي
البيضاء التي لا تنسى، والفضائل الجمّة، والمناقب العظيمة، التي يذكرها له
كل من ائتم به في صلاة، أو استمع إليه في خطبة، أو جلس إليه في درسٍ من
دروسه في المسجد الحرام طوال مدة جاوزت الأربعين عامًا من عمر الزمن،
كان فيها - رحمه الله - الإمام القدوة، والخطيب المؤثر، والداعية الصادق،
والعالم المتمكن، والناصح المخلص، والإداري الناجح. أحسبه كذلك،
ولا أزكيه على الله.

وقد كان والدي - رحمه الله - وهو الذي كان وثيق الصلة به رحمه الله؛
لاشتراكهما في الخطابة في المسجد الحرام ردحًا من الزمن - كان كثير الثناء
عليه، عظيم المحبة له، موصول الدعاء له، رحمهما الله. وأحسب أن سماحته
- رحمه الله - ممن جمع الله له الخصال الواردة في الحديث: « إذا مات ابن آدم

انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

فقهه في الإمامة:

كان الوالد رحمه الله متأسيًا بالنبي ﷺ في أحواله وسيرته وخصوصًا في صلاته، وكثيرًا ما يذكر قوله ﷺ: «أيكم أم الناس فليخفف، فإن فيهم الصغير، والكبير، والضعيف، والمريض، فإذا صلى وحده فليصل كيف شاء» رواه البخاري ومسلم.

وكانت أكثر قراءته من سور المفصل، ولم تكن قراءته في الصلاة مرتبطة بأي حدث يقع في ذلك اليوم في بلاده أو غيرها، بل كان يرى أن ما يقرأ في الصلاة لا ينبغي أن ينزل على حادثة معينة أو شخص معين، ولم يكن رحمه الله يظهر شيئًا من الخشوع أو البكاء في الصلاة.

فقهه في الخطابة:

كان - رحمه الله - في خطبه متبعًا للهدى النبوي، سائرًا عليه، متمسكًا به، يورد في خطبه الآيات والأحاديث والموعظة والنصيحة، والكلمة الجامعة الهادفة، يراعي حال مجتمعه ومخاطبيه، يخاطبهم بما يناسبهم بعبارة واضحة، ونصيحة لطيفة، وموعظة رقيقة، فيها ترغيب وترهيب، وحث وتذكير، وكان يؤكد دوماً على أن الخطبة مقام شرعي، وهدى نبوي، ينبغي أن يكون النطق فيه بلسان الشرع وأدلته، وحكمه وأحكامه، لا ما تبثه الصحف والإذاعات، أو ما ينشده الشعراء في المجالس والمنتديات، فإن هذا المقام ينزه عن ذلك كله ويجل.

وكانت خطبه جامعة، قصيرة، لا تزيد عن عشرين دقيقة، وصلاته طويلة، كما كان هدي النبي ﷺ، وغالبًا ما يقرأ فيها بسبح والغاشية، وربما قرأ في أوقات الزحام بقصار المفصل، تخفيفًا على الناس، ومراعاة لأحوالهم.

وكان يناقش في خطبه عمومًا قضايا الأمة الإسلامية والمجتمع والفرد المسلم بأسلوب حكيم، ومنهج قويم، يتبع في خطبه هدي المصطفى ﷺ، وسيرة السلف الصالح رضوان الله عليهم.

يقول سباحته في رسالة له عنوانها: « خطبة الجمعة وأهميتها في الإسلام » قدمها في الدورة الثانية للملتقى العالمي لخطباء الجمعة المنعقد في مدينة مراكش بالمملكة المغربية عام ١٤١٣ هـ رحمه الله:

« حري بالخطيب أن يكون أسلوبه في خطبته أسلوبًا عربيًا فصيحًا، واضح الدلالة على المعنى المراد، بعيدًا عن الإغراب في الكلام، وتكرار المعاني، والحشو في الألفاظ، فيتخير من الألفاظ أجزؤها، ومن العبارات أسلسها، بحيث لا يخفى على ذوي الأفهام العادية والمعرفة المحدودة، المراد من كلامه ولا يستهجن العالم والمثقف عباراته وأسلوبه.

كما ينبغي للخطيب أن يعنى برفع صوته أثناء الخطبة؛ لسمع الحاضرين، وأن يلقيها بحماس واهتمام، فإن لحسن الإلقاء أثره الكبير في جذب انتباه المستمعين وإصغائهم.

وقد كان من هديه ﷺ في خطبته أنه إذا خطب احمرت عيناه، واشتد غضبه، وعلا صوته.

هذا وإن الإيجاز في الخطبة والاختصار فيها أحرى بإدراك السامعين لها، وتأثرهم بما يلقي فيها... كما ينبغي للخطيب أن تكون مواضيع خطبه في تقرير أصول الإيمان بالله تعالى وتوحيده وتعظيمه في النفوس، وتذكير الناس بالمبدأ والمعاد والجنة والنار... مع الاهتمام بقضايا المجتمع على اختلاف أنواعها، وبيان موقف الإسلام منها، مدعماً أقواله بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الصحيحة... وأن يكون حذراً من الاستدلال بأحاديث ضعيفة، ومبتعداً عن إيراد القصص والحكايات، وإنشاد الأشعار، فترك هذه الأمور في الخطبة أولى، والبعد عنها أجدر؛ لأن إيراد ذلك لم يكن من هدي السلف الصالح رضوان الله عليهم.

وبالجملة فإن على الخطيب أن يراعي في اختيار موضوع الخطبة اختلاف الزمان والمكان والمناسبة... هذا وإن من المواضيع التي ينبغي على الخطيب اجتنابها والبعد عن التحدث عنها في الخطبة - مما هو واقع بعض خطباء هذا العصر - التعرض في الخطبة لقضايا خاصة، أو نقد لتصرفات شخصية فردية، أو الكلام في بعض المسائل الخلافية، التي قد يؤدي الكلام عنها نزاعاً، أو تحدث خلافاً وشقاقاً، أو الكلام عن منكرات خفية، أو التحدث عن قضايا وأحداث لا تهم المخاطبين، بل قد لا يعلم أكثرهم عنها شيئاً؛ لكونها في مجتمعات أخرى غير مجتمعاتهم.

وأسوأ من ذلك أن يعتمد موضوع الخطبة على ما قد تنشره بعض المصادر غير الموثوقة، كالاتماد على ما تذكره بعض الصحف والمجلات،

خصوصاً الأجنبية من آراء وأفكار»^(١).

يتحدث فضيلة الشيخ الدكتور سامي خياط عضو هيئة التدريس بجامعة شقراء عن خطب الوالد فيقول:

«تميز هذا الإمام -رحمه الله- بإتباعه للسنة في خطبه، فتحلت بالأصالة، والوجازة -وفقاً للسنة النبوية المطهرة- جاء في صحيح مسلم، قوله صلى الله عليه وسلم: «إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئة من فقهه، فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة، وإن من البيان لسحراً». فخطب الشيخ من أروع الخطب الشرعية، المدعمة بالأدلة من الكتاب والسنة، وأقوال السلف رحمهم الله، مع ملامستها لما يحتاجه الناس من أمور دينهم في الأحكام، والآداب، والأخلاق، وتحذيرهم مما يخالف الشريعة في عقائدهم، وعباداتهم، وأخلاقهم، وتعاملاتهم، وسلوكهم».

نماذج من خطب الوالد رحمه الله:

وأذكر هنا بعض خطبه لمعرفة منهجه رحمه الله وهي خطب مشهورة كان لها صدى واسع، وأثر كبير، ونفع الله بها خلائق من الناس، منها:

[خطبته في غزو الكويت]:

خطبته في حادثة الكويت عام ١٤١١هـ، ومما قاله فيها:

« إن الاستعانة بالجيوش الإسلامية وغير الإسلامية أمر يحنه الواقع، وتقتضيه الحال، وتقره شريعة الإسلام، ولنا بذلك أسوة بفعل

(١) بحوث ورسائل شرعية، ص ٣٦٢.

المصطفى ﷺ في غزواته ومعاهداته، وفي حربه وسلمه.

فلقد استعان ﷺ بعبد الله بن أريقط، عندما تكالبت عليه قريش لإرادة الفتك به، فأعطاه النبي ﷺ رواحله، وأتاه بعد ثلاث، وذهب به إلى المدينة مع طريق خفي، حتى وصل إلى المدينة بسلام، وقد كان عبد الله بن أريقط في ذلك الحين مشركاً.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ استعان بناس من اليهود يوم خيبر. رواه الشافعي وأبو داود والترمذي وسعيد بن منصور في سننه.

وقد وادع النبي ﷺ يهود المدينة، وكتب صحيفة بينهم وبين الأنصار، وجاء فيها: وأن بينهم النصر على من دهم يشرب.

وفي غزوة حنين خرج صفوان بن أمية مع النبي ﷺ وهو مشرك، وأسهم له في الغنيمة، وقد استعار منه كمية من الدروع كثيرة، وزعها ﷺ على المقاتلة.

وقد اتفق علماء المذاهب الأربعة على أن للإمام الاستعانة بغير المسلم عند الضرورة، بناء على تلك الأدلة وغيرها، كما هو معلوم لدى العلماء من كتب الإسلام.

وإنه يا عباد الله يجب على كل مسلم عندما يأمر إمام المسلمين بالجهاد أن يبادر إلى ذلك بنفسه وباله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم

وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه
حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعده من الله فاستبشروا ببيعكم
الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴿﴾».

[خطبته عن حادثة مسجد بابري]:

خطبته في حادثة مسجد بابري بالهند عام ١٤١٣ هـ، ومما قاله فيها:

« إن أعداء الإسلام على اختلاف مللهم، وتعدد نحلهم من اليهود
الظلمة المعتدين، والنصارى الصليبيين الحاقدين، والوثنيين الملحدين، لا
يألون جهدا في الوقيعة بالمسلمين والتنكيل بهم، وإلحاق أنواع الأذى بهم،
والتسلط عليهم في دمائهم وأعراضهم وأموالهم، والاعتداء على مقدساتهم
وحرماتهم، والاستهانة بشعائهم وعباداتهم، وكما هو واقع الآن على
إخوانكم المسلمين في بلاد شتى من بلاد المسلمين، وأنحاء مختلفة من
المعمورة.

وإن من أحدث ما وقع ما جرى في هذه الأيام من جرائم بشعة،
واعتداءات سافرة حاكمة على إخوانكم المسلمين في الهند، واستهانة
بمقدساتهم، ومساجدهم، بهدمها، وتلويتها، والعبث فيها من قبل أولئك
الوثنيين الحاقدين، وبتواطؤ من حكومتهم الكافرة الظالمة، التي تزعم
الصدقة للبلاد الإسلامية، وهي من ألد أعداء الإسلام والمسلمين.

إن جرائم الاعتداء على المساجد في الهند وهدمها، والاستهانة
بالمسلمين الوطنيين في تلك البلاد، وبمشاعر المسلمين عموما في شتى
أنحاء العالم، ليس هو بأولى جرائمهم، ولا بأبشع اعتداءاتهم على المسلمين،

فهم منذ أزمنة طويلة وتاريخ قديم يلحقون بالمسلمين أنواعاً من العذاب والاضطهاد، وأصنافاً من البطش والاستعباد، دون مراعاة لحقوقهم الوطنية، ومشاعرهم الإنسانية.

وما جرى منذ سنوات عديدة وحتى الآن على إخوانكم في كشمير من مصائب شتى، وفجائع عظيمة، على أيدي أولئك الوثنيين الحاقدين، لما تقشع منه جلود المسلمين، وتتفطر له قلوب المؤمنين، أسى وحرزناً، وحسرة وألماً، فكم في كشمير من أرواح للمسلمين قد أزهدت، وأعراض انتهكت، وأموال سلبت، وحقوق اغتصبت، ومساكن دمرت على مرأى من العالم، دون حياء ولا خجل، ولا رأفة إنسانية، أو رحمة بشرية، فأين أنتم أيها المسلمون من هذا البغي والعدوان المستديم على إخوانكم المسلمين ومقدساتهم؟ أين غيرتكم الدينية أيها المسلمون؟ وأين حميتكم الإسلامية لإخوانكم أولئك المستضعفين؟ أليس المؤمنون كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى!!

إن على أمة الإسلام دواً وجماعات وأفراداً مسؤولية عظيمة نحو نصرة إخوانهم أولئك، والوقوف معهم، ورفع الظلم عنهم، والعمل على استرجاع حقوقهم، والمحافظة على كرامتهم، وحماية مقدساتهم وأماكن عباداتهم.

وإن الواجب الأكبر والمسؤولية العظمى تقع على الدول الإسلامية وقادتها المخلصين، في اتخاذ الإجراءات العملية الصادقة ضد تلك الدولة الوثنية الظالمة، بما يكفل للمسلمين فيها حقوقهم، ويحفظ عليهم دينهم،

وأنفسهم، ومحارمهم، ومقدساتهم».

[خطبة عيد الفطر]:

من خطبة عيد الفطر المبارك عام ١٤١٦هـ:

« إنه لمن المؤسف في واقعنا اليوم ما نرى من أناس يتظاهرون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله، ولكن أعمالهم تخالف أقوالهم. كيف يدعو للإسلام من يخالف تعاليم الإسلام بما يرتكبه من منكرات؟! هل من تعاليم الدين الإسلامي ما يفعله بعض من يزعمون أنهم يريدون الإصلاح، أو يريدون تغيير المنكر في بعض البلاد الإسلامية أو غيرها، بما يقومون به من أعمال لا يقرها دين من الأديان، ولا شريعة من الشرائع، بل ولا يرتضيها ذو عقل سليم ومنهج رشيد؟ هل من الدعوة إلى الإسلام القيام بإحراق الممتلكات وإحداث التفجيرات في أماكن يكون فيها الرجال والنساء والأطفال، من المسلمين وغير المسلمين، ما ذنب هؤلاء وما جرمهم حتى تفعل بهم تلك الأفعال؟ وترتكب في حقهم تلك الفجائع والأهوال؟ هل هم مستحقون لذلك شرعاً؟! »

أليس رسول الهدى ﷺ نهي عن قتل شيوخ المشركين وأطفالهم ونسائهم حتى في حالة الحرب. فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان). وفي حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (انطلقوا بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، لا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً صغيراً، ولا امرأة، ولا تغلوا وضموا غنائمكم، وأصلحوا، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين). وفي

حديث ابن عباس: (لا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع). فكيف يسوغ للمسلم أن يقتل النساء والصبيان وغيرهم من المسلمين أو غير المسلمين من دون ذنب أو جريمة ؟ وإنما يفعل ذلك لأجل إغاية قوم آخرين، أو تحقيق هدف ينشده، ألم يقرأ قوله تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً﴾ ألم يسمع قول المصطفى ﷺ: (من قتل نفساً معاهدة لم يرح رائحة الجنة).

إن الذين يزعمون أنهم يريدون الإصلاح، وأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بهذه الطريقة، فإن فعلهم هذا هو المنكر بعينه، إنه ليس من الإسلام في شيء، ولكنه من أعمال الجاهلية، ومن الإفساد في الأرض بغير حق، ألم يسمعوا قول الله عز وجل: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل، والله لا يحب الفساد وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبس المهاد﴾ .

[خطبة عيد الفطر]:

من خطبة عيد الفطر عام ١٤٢٣هـ:

« أيها المسلمون إن من أبرز ما عانت منه الأمم عبر القرون ما وجد من غلو وتنطع لدى بعض أتباع الأنبياء والمرسلين، على مدى الأزمان والأديان، ولا يزال الغلو والتنطع موجودًا في كثير من الأمم والشعوب في عالم اليوم. وقد جاء التحذير الإلهي لأهل الكتاب من التنطع والغلو في

قوله تعالى: ﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل ﴾ وهذا أبرز أسباب الانحراف عن الطريق السليم والمنهج القويم. وحين بعث الله سبحانه نبيه محمدًا عليه أفضل الصلاة والسلام، خاتمًا به الرسالات، جاء التأكيد الإلهي على منهج الوسطية في الدين، بعيدًا عن الإفراط والتفريط، يقول سبحانه: ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا ﴾ فحري بالأمة أن تحقق ذلك وأن تبتعد عن الغلو والتنطع، وتعمل على تحقيق الإيمان بالله، وتطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتحقيق لها الخيرية الحقة ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ .

[خطبته بعد وفاة الملك خالد]:

خطبته بعد وفاة الملك خالد عام ١٤٠٢ هـ رحمه الله، ومما قاله فيها:

« أيها المسلمون: إن مصيبتنا ومصيبة الأمة الإسلامية اليوم بموت فقيدها إمام المسلمين الناصح لرعيته البار بها الذي أقام العدل فيها وحكم شريعة الله على عباد الله لقد كان إمامًا عادلاً وأبًا رحيمًا فرحمه الله وأسكنه فسيح جناته وأحسن عزاء المسلمين فيه، ونقول كما قال عباد الله الصابرون: ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ .

أيها المسلمون: إن الله سبحانه لطيف بعباده، فكم من مصيبة كبرى وفجيرة عظمى أعقبها الله بمنه فضلًا وعوض عباده بها نعمة أخرى، إن مما أثلج صدور المسلمين، وطمأن نفوسهم، وأزال عنهم كآبة الحزن ومرارة المصيبة، ما من الله به من تولى زمام الأمور بعد الملك الراحل رحمه الله،

والقيام بأعباء أمور المسلمين، ولي عهده الميمون، القوي الأمين، فهو أهل للقيام بأعباء الأمور، وجدير بالملك وحسن التدبير، جعله الله خير خلف لخير سلف.

اللهم أيده بالإسلام، وأيد الإسلام به، اللهم وفقه بتوفيقك، وأيده بتأييدك، وأصلح له شأنه كله، وأصلح له البطانة، وأسبغ عليه نعمك، ووفقه لشكرها، وأعنه على ما تحمله...».

[خطبته وصلاته على الشيخ ابن باز]:

خطبته بعد وفاة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله عام ١٤٢٠هـ، ومما قاله فيها:

« أيها المسلمون، إن من أعظم المصائب وقعاً وأشدّها خطباً فقد العلماء العاملين وحملة الشرع البصيرين، فإن فقدهم ثلثة في الإسلام لا تسد، فقد قال بعض المفسرين على قول الله تعالى: ﴿ أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها ﴾ قال: نقصها من أطرافها هو بموت العلماء والصلحاء.

وقد أصيبت أمة الإسلام اليوم بوفاة عالم الأمة، وإمام أهل السنة والجماعة في هذا العصر، علامة زمانه، وفقهه أوانه، الداعية إلى الله تعالى على علم وبصيرة، المجاهد في سبيل الحق والهدى، سماحة العلامة الجليل الشيخ عبد العزيز بن باز، فإن فقدته مصاب أليم وحادث جليل، على أمة الإسلام، تغمدته الله بواسع رحمته، وأسكنه فسح جناته، وبوأه منازل الأبرار مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وجزاه عما

قدم للإسلام والمسلمين خير الجزاء، وعوض الله المسلمين بفقده خيرًا.

وإن مما يهون وقع المصاب ومرارة الحزن أن الله تعالى مكن لهذا الدين وقيض له علماء مخلصين وفقهاء بصيرين، ولا سيما علماء هذه البلاد المباركة، يحملون رسالة الإسلام، ويدعون إلى دين الله على علم وبصيرة، فبارك الله تعالى في حياتهم، وسدد على طريق الحق خطاهم، ومن على الجميع بالصبر والاحتساب في الفقيد العظيم.

وإن مما يسلي المرء عند المصيبة ما روي عنه ﷺ أنه قال: (إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبتيه بي، فإنها من أعظم المصائب) .

[آخر خطبة جمعة ألقاها بالمسجد الحرام]:

خطبته بتاريخ ٧/٥/١٤٢٥ هـ وهي آخر خطبة جمعة ألقاها في المسجد الحرام حول التفجيرات الإرهابية التي وقعت في بعض مناطق المملكة:

«عباد الله: أين عقول من يدعون الإسلام؟!، أين دينهم؟!، أين خوفهم من الله؟!، ما هذا التساهل في أمر الدماء والقتل، أهان عليهم الأمر حتى صار بعضهم يفتي لنفسه بحل دماء الناس، ثم يستحلها، ولقد أخبرنا الصادق المصدوق خبرًا يوجب الحذر والخوف من الله فقد جاء في الحديث عنه ﷺ أنه قال: « إن بين يدي الساعة الهرج، قالوا: وما الهرج؟ قال: القتل، إنه ليس قتلكم المشركين، ولكن قتل بعضكم بعضًا، حتى يقتل الرجل جاره، ويقتل أخاه، ويقتل عمه، ويقتل ابن عمه، قالوا: ومعنا عقولنا يومئذ؟ قال: إنه لتنزع عقول أهل ذلك الزمان، ويخلف له هباء من الناس، يحسب أكثرهم أنهم على شيء، وليسوا على شيء ».

كيف يقدم القاتل على القتل وهو يعلم بشاعة جرمه، وفضاعة فعله، فقد نصب له خصمًا يوم القيامة، ففي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت نبيكم ﷺ يقول: «يجيء المقتول متعلقًا بالقاتل، تشخب أوداجه دمًا، يقول: يا رب، سل هذا فيم قتلتني؟».

أفلا يتذكر القاتل كم نفس آذى، وكم قلب أفرع، فهذان الوالدان المكلومان عصر الألم قلوبهما، وأذاقهما القاتل كؤوس العلقم والصبر، فحنى الحزن ظهورهما، وهد قوامهما، وأطفال صغار، فقدوا عائلهم ومربيهم، ينشدون الرحمة في قلوب الناس، وربما تشتت أحوالهم، وتغيرت أخلاقهم.

في أي حفرة أردى القاتل فيها نفسه، وأي ورطة تورط فيها، يقول ابن عمر رضي الله عنهما: «إن من ورطات الأمور التي لا تخرج لمن أوقع نفسه فيها: سفك الدم الحرام بغير حله».

عباد الله: لقد شدد الإسلام على أمر القتل، وعظمه، ولم يعصم دم المسلم فحسب، بل عصم أيضًا دم الكافر، فحرم الاعتداء على من أمنه المسلمون؛ لأن المسلمين يد واحدة، يسعى بدمتهم أذناهم، فمن قتل من أمنوه، فقد خانهم، واستحق عقاب الله تعالى، فقد أخرج البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «من قتل معاهدًا، لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا» قال ابن حجر رحمه الله: «والمراد به من له عهد مع المسلمين، سواء كان بعقد جزية، أو هدنة من سلطان، أو أمان من مسلم» انتهى.

ولقد لقيت هذه الخطبة وغيرها من خطبه - رحمه الله - الصدى الواسع، والأثر البالغ، والقبول الكبير لدى عموم الناس.

لقد حباه الله تعالى شرف الخطابة في أعظم المساجد، وخير البقاع، وبتت خطبه لكافة أرجاء المعمورة، يستمع لها ملايين الناس، وتنشر في العديد من بقاع العالم.

كما كانت له الكثير من الخطب في الأخلاق الإسلامية، والآداب الشرعية، وقد طبعت خطبه في أربعة مجلدات أشير إلى بعض عناوينها:

هجرة المصطفى ﷺ - وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية - الدعوة إلى الله - الجهاد في سبيل الله - حول شهر رجب وما جاء فيه - مجاهدة النفس - التحذير من اختلاط الجنسين - التمسك بالسنة - التحذير من الظلم - حرمة البلد الحرام - الحث على مساعدة المجاهدين - طاعة ولي الأمر - نقل الإشاعات المغرضة - حقيقة التقوى - حفظ الجوارح - أداء الأمانة - فضيلة الصبر - اختيار المجلس الصالح - وجوب العدل - الإحسان إلى الجيران وكف الأذى عنهم - مجاهدة النفس - من آفات اللسان - الأخوة الإيمانية والوحدة الإسلامية - التخلق بأخلاق القرآن الكريم - المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، وغيرها.

ومن أخبار الوالد ومواقفه في المسجد الحرام:

[حادثة جهيمان]:

كان الوالد - رحمه الله - رابط الجأش، ثابتاً في الشدائد، ذا حكمة وحلم، وأناة وصبر، لا يكدره السفهاء، ولا تستخفه الغوغاء، كم مر به من المواقف والشدائد، وكم نزل به من الكرب والمحن، فكان فيها مسدداً موقفاً بتوفيق الله، يزن الأمور بحكمة وعقل، يراعي المصالح والمآلات، ويعطي الأشياء قدرها، فلا تعظم عنده الصغائر، بل تصغر عنده الكبائر،

ويضع الأمور في نصابها.

ومن أشهر ما وقع له في ذلك ما ذكره -رحمه الله- عن دخول جهيمان وأتباعه المسجد الحرام، وزعمهم أن المهدي معهم، وكان ذلك في فجر يوم ١/١/١٤٠٠هـ، وكان رحمه الله الذي يصلي بالناس صلاة الفجر، يروي رحمه الله ما حصل في ذلك اليوم فيقول:

« من أبرز الأحداث التي مررت بها حادثة جهيمان التي حدثت في الأول من المحرم سنة ١٤٠٠هـ، في ذلك الوقت كنت إمامًا لصلاة الفجر، وبعد الانتهاء من الصلاة، وحين انصرفت إلى المأمومين، إذا بعشرات الأشخاص قادمين نحو الكعبة ومعهم أسلحتهم. وكانت هناك جنازة فوقفت للصلاة عليها، وإذا بشخص يريد أخذ (الميكروفون) فأمسكت به، فأخرج خنجرًا، ورفع علي، وطلب مني ترك (الميكروفون)، فقلت له: اتق الله، ودعنا نصلي على الجنازة، فانصرف، وصلينا عليها، ثم رُفِعَ (الميكروفون) سريعًا، واختلط الناس، فاختمت بينهم، ثم اتجهت إلى غرفة لي في الحرم، واتصلت مباشرة بالشيخ ناصر بن حمد الراشد، رئيس شؤون الحرمين آنذاك رحمه الله، وأخبرته بالأمر، وأسمعتة طلقات الرصاص، وعلمت فيما بعد أنهم يسمحون للحجاج بالخروج من الحرم، ويمنعون خروج السعوديين؛ إذ يطلبون منهم مبايعة مهديهم المزعوم، وبعد قرابة أربع ساعات قررت الخروج من الحرم، فتركت المشلح والشاغ، ونزلت إلى باب القبو القريب من الغرفة، وتوسطت المسلحين اللذين كانا في الباب، حافضًا رأسي متخفيًا بين الحجاج، وأغلبهم من الإخوة الأندونيسيين،

حتى سلم الله تعالى، وخرجت من بينهم، وقد أشاعت بعض الإذاعات الخارجية أن إمام المسجد الحرام قد قتل، وبعضهم ذكره بالاسم، مما أقلق الكثير من الأقارب والمحبين، ونحمد الله أن سلمنا، وأطفأ تلك الفتنة^(١).

وفي شهر ربيع الثاني عام ١٤٠٠هـ سافر سماحته للهند في زيارة دعوية حضر فيها حفل الجامعة المحمدية في مدينة بومباي وألقى كلمة بهذه المناسبة ثم سأله الحضور عن حادثة الحرم والمهدي المزعوم وكانت حديث المسلمين في ذلك الوقت فكان مما قاله رحمه الله:

« إنه في صباح يوم الثلاثاء الأول من شهر محرم عام ١٤٠٠هـ والناس يؤدون صلاة الفجر في المسجد الحرام وفي الركعة الأولى من الصلاة دخل مجموعة من الناس متسلحين فأغلقوا الأبواب والناس في الصلاة ولم يصلوا معهم وبعد سلام الإمام مباشرة (وكان سماحته هو الإمام) رفعوا أصواتهم بالتكبير والمناداة بقولهم: المهدي خرج، وقدموا أحدهم يزعمون أن اسمه محمد بن عبد الله القرشي والمعروف عند الناس أن اسمه محمد بن عبد الله القحطاني، ولقب القحطاني نسبة لبني قحطان وسكناه عندهم، فهو ليس قرشي النسب، ثم إن هؤلاء روعوا الناس وقتلوا الأبرياء، وقد قتلوا جنود الحرم العزل من السلاح، ومن عامة الناس قبل مجيء الجيش السعودي قرابة سبعة عشر نفساً، وهذه المجموعة يتسمون بالسلفية، وهم بعيدون من السلفية، ولهم آراء شاذة ومخالفة لما عليه السلف الصالح، وهم أشبه شيء بالخوارج الذين خرجوا عن طاعة الإمام علي رضي الله عنه، ثم إنهم بفعلهم هذا قد خلعوا بيعة إمام المسلمين،

(١) ذكريات في المسجد الحرام، ص ٢١٧.

وقتلوا الأبرياء، واستحلوا حرمة البيت الحرام، وفي الشهر الحرام، وأحدوا فيه، والله سبحانه يقول: (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) « انتهى.

وبعد انتهاء هذه الحادثة ألقى رحمه الله في شهر محرم من هذه السنة (١٤٠٠هـ) خطبة الجمعة في المسجد الحرام وكان مما قاله فيها:

«إن هذه الفتنة الكبرى، وهذه الفجيرة العظمى، وهي انتهاك حرمت الله، وسفك الدماء ببيته الحرام، في البلد الحرام، في الشهر الحرام، إنها لمن أدهى الأمور، ومن أعظم الشرور، إنها لم تحصل قط على هذه الكيفية، لا في جاهلية ولا في إسلام.

لقد حصل شبيه بها في عام سبعة عشر وثلاثمائة من الهجرة على يد أخبث خلق الله أبي طاهر القرمطي في اليوم الثامن من ذي الحجة، الذي قتل الحجيج وألقي جثثهم في بئر زمزم، وتحدى الله وعباد الله، ولكن لم يحصل ذلك إلا في برهة وجيزة.

أما هذه الفتنة الكبرى والفعلة الشعاء فقد استمرت كما تعلمون خمسة عشر يوماً، أياماً حسوماً، فرى القوم فيها صرعى، يا للفجيرة!! أناس مسلمون طوافون مصلون ببيت الله الحرام، آمنون مطمئنون، لا يمكن أن يتصور أحدهم أنه يفزع أو يروع وهو يعرف من نفسه أنه لا يستطيع أن يروع طيراً من طيور الحرم، أو يكسر غصناً من غصون شجر الحرم، احتراماً لحرمت الله، وحرمت رسوله ﷺ، وامتنالاً لأمر الله، وأمر رسوله ﷺ. هل يقع في خلد عبد مؤمن أن تراق الدماء أمام هذا البيت

الشريف، وتحت أعتابه!! وهل يمكن أن يطرأ على قلب بشر أن تخرج أجسام الحجاج والعباد فيه بالدماء، وتمتلاً جنباته من الجثث الصرعى!! يا لها من خطيئة كبرى، ويا له من جرم عظيم، ويا له من إلهاد في الحرم، ما أعظمه!! إلهاد في أقدس بقعة على وجه الكرة الأرضية، في أشرف مكان، في شهر من أفضل الأزمان. أين الخوف من الله؟ أين الوازع الديني؟ أين التصديق بكتاب الله؟ أين الضمير الإنساني؟ أما يتذكر من أقدم على هذه الجريمة النكراء قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفُ فِيهِ وَالْبَأْدُ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ يُظَلِّمِ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

إن هذه الطائفة التي تزعم أن المهدي معها، وتدعو لمبايعته قد أقامت دليلاً واضحاً على تكذيب نفسها بما حملته من هذا السلاح الفتاك، وبما فعلته من سفك الدماء. إن المهدي لا يسفك في حرم الله دمًا، ولا يوقظ نائمًا، كما جاء في حديث أبي هريرة الذي رواه نعيم به حماد، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «يباع المهدي بين الركن والمقام لا يوقظ نائمًا ولا يهريق دمًا»^(١). وهل المهدي يبدأ عمله بالإلهاد في الحرم، وإراقة دماء المسلمين؟! حاشا لله إن المهديين من عباد الله براء من هذه الجريمة. إن دعوى هذه الطائفة في المهدي أو هي من بيت العنكبوت. إنها تنكبت طريق الصواب والصراط السوي. أين علامات المهدي التي أخبر بها نبي الإسلام؟ إنه لم يحصل منها شيء، إنما هي مجرد تمن أو تضليل على السذج من حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام. لقد ضلوا وأضلوا، ولم يأتوا بدليل. إنما هي منامات ورؤى تروها

(١) رواه أحمد في مسنده (٣١٢/٢).

العجائز والأطفال، فجعلوها كأنها نصوص شرعية، وعملوا بمقتضاها واطمأنوا إليها. وإنما هي كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، فنتج عن ذلك سباب العلماء والمسلمين من الأحياء والأموات وتقتيل الأبرياء والأمينين.

لقد قال ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»^(١). فإننا لله وإنا إليه راجعون» انتهى^(٢).

وجاء في كتاب (قصة وفكر المحتلين للمسجد الحرام) ص ١٤: «في ٥/١/١٤٠٠هـ الموافق ٢٥/١١/١٩٧٩م أدلى إمام وخطيب المسجد الحرام الشيخ محمد السبيل للصحافي خالد الحسيني في صحيفة البلاد ببعض التفاصيل عن قصة الاقتحام، يقول السبيل الذي قدر المسلمين الموجودين في الحرم وقت الحادثة بمئة ألف:

« كان هؤلاء (المسلحون) بعد انتهاء الصلاة يقومون بالدوران، ويخترقون الناس بعجلة، وإذا رأوا شخصاً وتبين لهم أنه مواطن قالوا له: اذهب وبائع المهدي، وقد تسلل نفر منهم إلى غرفة مكبرات الصوت، وقاموا باستعمالها في مبايعة من سموه بالمهدي» ثم روى السبيل قصة هروبه من الحرم: «خرجنا بين التسلل وبين غير ذلك مع الجمهور الذي خرج من النفق بعد أن تم إقفال كامل الأبواب من قبل هؤلاء المجرمين وعند

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، رقم (٤٨) ومسلم أيضاً في كتاب الإيمان، رقم (٦٤).

(٢) من منبر المسجد الحرام (ديوان خطب سباحتته)، ١٨/٣.

خروجي مع مجموعة من الحجاج بعد أن تركت مشلحي (عباءتي) أقبلت على الباب وإذا بي أقف أمام ستة مسلحين وخرجت من وسط الناس دون أن يلاحظوا من أنا وإلا كان الأمر غير ذلك « انتهى.

وجاء في الكتاب نفسه أيضًا ص ٩٦:

« بعد أن سلم الإمام وقام ليصلي صلاة الميت، بادر مجموعة من الإخوان إلى الميكروفون، وسيطروا على الوضع، وسط هتافات التكبير والحمد، وحاول الشيخ محمد السبيل إمام الحرم صيحتها أن يعظهم، فلم يسمعوا له، بل اقتيد هو وبضعة عساكر إلى إدارة الحرم، حيث تحفظوا عليهم في إحدى الغرف».

والحقيقة أن الوالد ذهب وحده إلى غرفته الخاصة في المسجد الحرام، القريبة من باب الفتح، ولم يكن معه أحد من أولئك المسلحين، وأجرى اتصالاته ببعض المسؤولين في الدولة، بعد أن عرف حقيقة الوضع من الموظفين في الرئاسة، وفي شرطة الحرم، وغيرهم، كما تقدم في حكاية الوالد رحمه الله للقصة، ثم خرج بعد ساعات قليلة سالمًا بحمد الله، متجهًا من الحرم إلى مبنى الرئاسة مباشرة، مؤديًا عمله فيها، ولو كان اقتيد إلى إحدى الغرف لما خرج من الحرم على هذا النحو المذكور، ولكن الله سلم.

ويتحدث معالي الشيخ الدكتور صالح بن حميد إمام وخطيب المسجد الحرام عن هذه الحادثة وموقف الوالد فيها فيقول:

« من مظاهر حكمته وحسن تصرفه ما حصل له حين اقتحم جهيمان وأتباعه المسجد الحرام فجر اليوم الأول من المحرم عام ١٤٠٠ هـ، فقد كان الشيخ رحمه الله هو الإمام في الصلاة، فلما فرغ من الصلاة تقدم بعض

هؤلاء الاتباع، مدججًا بالسلاح؛ ليتحدث من مكبر الصوت، فحاول الشيخ منعه بحكمته وحزمه، وكان المنادي قد نادى لصلاة الجنازة، واستطاع الشيخ أن يصل على الجنازة، ثم تكاثر هؤلاء، وبدأوا في تعديهم، وتجاوزاتهم، فبقي الشيخ داخل المسجد الحرام، وذهب إلى خلوته، وصار يتصل بالمسؤولين، ويطلعهم على الأوضاع أولاً بأول، ويتلقى منهم ما يوجهون به، جلس على ذلك قرابة ساعة ونصف الساعة، وبعد تفاهمه مع المسؤولين رأوا مناسبة خروجه من المسجد، ولكن المعتدين قد بدأوا بإغلاق الأبواب، وتفتيش الخارجين، فرأى الشيخ بحكمته وهدوئه خلع مشلحه الذي كان يرتديه، وحسب تعبير الإذاعة البريطانية في حينه قالت: (إنه خلع ملابسه الدينية) فخرج الشيخ بحسن تصرفه، ولم يستطيعوا أن يلحقوا به الأذى».

[السبيل العظيم]:

ومن ذكرياته - رحمه الله - في المسجد الحرام أيضاً:

السبيل العظيم الذي دخل المسجد الحرام، يقول رحمه الله: (ومن الذكريات في الحرم ذلك السبيل العظيم، الذي دخل المسجد الحرام سنة ١٣٨٧هـ؛ حيث وصل الماء إلى منتصف باب الكعبة، وارتفع منسوب الماء في الجهة الغربية من الحرم، حتى وصل الماء في الأروقة إلى المراوح المعلقة في السقف، وحين عمل مشروع تصريف السيول أصبح المسجد الحرام في مأمن منها والحمد لله) ^(١).

(١) ذكريات في المسجد الحرام، ص ٢١٧.

[صلاة الجنازة]:

ومن المواقف أيضًا:

في إحدى المرات أتى بالجناز، وجاء الشخص المسؤول عن مكبر الصوت (الميكرفون) فوضعه بجوار الوالد كالمعتاد فكبر الوالد، لكن صاحب الميكروفون نسي أن يفتح الجهاز، فلم يسمع المبلغ ولا أكثر الناس التكبير الأولى، ففطن الموظف بعد ذلك وفتح الجهاز، فسمع الناس التكبير الثانية وما بعدها، فزاد الوالد تكبيرة، لتكون خمس تكبيرات كما كان ذلك من هدي النبي ﷺ أحياناً، ولم يشعر الناس بشيء.

[فضل الصحابة]:

ومن أخباره أيضًا:

أن نفرًا من زوار المسجد الحرام جاء يسأل الوالد رحمه الله، وهو متجه للصلاة بالناس، قالوا: قوله ﷺ: «تفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الناس إلا واحدة» أليس المراد بهذا أهل البيت، فهم أحق الناس بذلك؟! فأجابهم الوالد رحمه الله وهو يواصل طريقه للإمامة: أحق الناس بهذا هم من ذكرهم النبي ﷺ في بقية الحديث: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»، وخير أصحابه ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين. فبهت القوم، وانصرفوا صامتين.

[سؤال نحوي]:

ومن أخباره رحمه الله:

أن رجلاً من المعتمرين التقى سماحة الشيخ عبد الله بن حميد في المسجد الحرام عام ١٣٨٧ هـ وذكر له سؤالاً نحوياً ونظمه في أبيات فطلب سماحة الشيخ ابن حميد من الشيخ صالح الغصن أن يكتب هذه الأبيات، وقال للسائل: لعلك تأتينا في المساء وتجد الجواب، يقول سماحة الوالد: ولم أكن حاضرًا ذلك المجلس لكن سماحة الشيخ عبد الله بن حميد أمر أن أعطى صورة من هذه الأبيات فلما عدت في المساء للشيخ قرأت عليه أبياتاً كتبتها جواباً لهذا السؤال أقول فيها:

أياسائلاً حلاً للغزك قائلاً

بلفظ رصين زين بالسبك والرصف

«أرى لفظة أعياء على انفهامها

لأنى حديث في الدراسة والصف

هي اسم وحرف وهي فعل وفاعل

خصوصاً إذا جاءت فرادى على حرف

ثنائية تبنى وتعرب دائماً

على أنها ليست بممنوعة الصرف»

فدونك (في) حرفاً واسماً لواحد

من الستة الأسماء حقاً بلا خلف

ومر زينباً قل: ف لعمر بحقه

فذا فاعل والفعل جاءك بالكشف

فمبنيها حرف ومعربها سـ

وتبنى بفعل الأمر في مفرد الحرف

فاستحسنها الشيخ واحتفظ بنسخة منها، وقال: سنعطيهما السائل إذا
جاء إن شاء الله.

* * *

وكان الوالد - رحمه الله - يحث كل مسؤول في مكة على الرفق بالناس
والتلطف لهم، ويقول: إن المسؤول في مكة ليس كالمسؤول في غيرها، وعليه
أن يحذر من عاقبة الإساءة إلى الناس فيها، وظلمهم فإن العاقبة فيها أشد،
وقد قال تبارك وتعالى: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾.

لقد ارتبطت جوانب كثيرة من حياته بالمسجد الحرام، وعرفه القاضي
والداني من زوار البلد الحرام وساكنيه معرفة تامة عرفوا علمه وفضله،
وإحسانه ونصحه، فكان مرجعاً لهم ومقصداً لحاجاتهم، يصف ذلك معالي
الشيخ الدكتور عبد الرحمن السديس إمام وخطيب المسجد الحرام فيقول:

«وكان شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - يجله ويعتبره
مرجعية معتبرة في مكة المكرمة لعلمه وفضله».

ويقول الدكتور سامي خياط عضو هيئة التدريس بجامعة شقراء:

« رأيت كيف أصبح مكتبه وخلوته بالمسجد الحرام مؤثلاً للعلماء والوزراء والأمراء... يستقبل المقترحات والآراء المتعلقة بتطوير مرافق المسجد الحرام من الجميع كتابة ومشافهة من المواطنين والمقيمين والزوار والحجاج من جميع أنحاء العالم، بل ومن وزراء وسفراء الدول الإسلامية كذلك بلا استثناء... بل رأيت كيف يتحاور مع الكثير من طلبة العلم والوجهاء حول العديد من شؤون المسجد الحرام... بسعة أفق وبعد نظر.. ورحابة صدر... دون تأفف أو تذمر أو امتعاض ».



المطلب الثاني

التدريس

عين رحمه الله مدرسًا عند افتتاح أول مدرسة في محافظة البكيرية (المدرسة العزيزية) عام ١٣٦٧هـ، بطلب من الشيخ محمد بن مانع مدير المعارف آنذاك رحمه الله، وكان الوالد رحمه الله يدرس فيها العلوم الشرعية والعربية، بالإضافة إلى قيامه بتدريس الفرائض والنحو في المسجد التحتي في البكيرية، وشقيقه الشيخ عبد العزيز كان يقوم بتدريس باقي العلوم في المسجد.

وقد قام الشيخ محمد بن مانع - رحمه الله - بزيارة للبكيرية عام ١٣٧٢هـ، وألقى الوالد قصيدة بهذه المناسبة، ومما جاء فيها:

سرتم كشمس الضحى عمت أشعتها

شعوب نجد فأضحى الكل في طرب

إن المدارس من مسعاكم ازدهرت

كالروض مزدهر من وابل السحب

كما سمت فيكم فوق السها وبدت

معاهد العلم في أثوابها القشب

كم في الحجاز وفي نجد وفي يمن

من المدارس فيها خالص الكتب

وفي بكيرية من ذاك مدرسة

قد طاب مغرسها في معشر نجب

(للجد خذ)^(١) إن ترد تاريخ مدرسة

فيها تبث أصول العلم والأدب

[المعهد العلمي ببريدة]:

وفي عام ١٣٧٣ هـ افتتح المعهد العلمي ببريدة فرشحه سماحة الشيخ عبد الله ابن حميد رحمه الله؛ ليكون مدرساً فيه لما رغب منه الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ مدير المعاهد العلمية آنذاك ترشيح مدرس للفرائض فيها، فعين رحمه الله مدرساً في المعهد منذ افتتاحه حتى انتقاله إلى مكة المكرمة عام ١٣٨٥ هـ، وكان يدرس في المعهد الفرائض، والفقه وأصوله، والقرآن وتجويده، والتوحيد، والتفسير، والحديث ومصطلحه، والنحو، والبلاغة، والعروض، وقام بتدريس هذه العلوم في فترات مختلفة بحسب حاجة المعهد والطلاب.

وكان مدير المعهد في ذلك الوقت معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي، وكان من المدرسين فيه: سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، وفضيلة الشيخ عبد القادر شيبية الحمد، وفضيلة الشيخ صالح البليهي وغيرهم.

يصف معالي الشيخ محمد العبودي علاقته مع الوالد في تلك المرحلة

(١) وهي تعني بحساب الجمل ١٣٦٧.

فيقول:

« لقد كان الشيخ محمد السبيل مدرسًا ناجحًا بالنسبة إلى عمله مع طلابه وزملائه، وكان لي أخًا وزميلًا وصديقًا لا أذكر أنه تسبب في مشكلة واحدة لإدارة المعهد العلمي أو طلابه، بل على العكس من ذلك كان يسعى إلى حل أي إشكال يحدث، وكان هو المدرس الذي جمع بين العلم والعمل، البشاشة في الوجه، وحسن البهجة .

وكان على ذلك محبًا للبحث العلمي، حريصًا على جمع الفوائد والكتب.

أما في حب النادرة والغوص على النكتة الرصينة؛ فإنه كان المثال الجيد على ذلك، إذ كان يحفظ شعرًا كثيرًا من شعر المتقدمين، ويتذاكر فيه، ويستشهد به مع زملائه، وله إلى جانب ذلك شعر جيد، نقلت منه ما يكفي في معجم أسر البكيرية، الذي لا يزال مخطوطًا .

[قصيدته في الملك سعود]:

ومن أخباره - رحمه الله - في المعهد:

إلقاؤه قصيدة ترحيبية بالملك سعود بن عبد العزيز - رحمه الله - لما زار مدينة بريدة لافتتاح المبنى الجديد للمعهد العلمي عام ١٣٧٧ هـ يقول في مطلعها:

أيامك الغر للأيام تيجان

وفي اسمك المرتضى للسعد عنوان

إن السعادة في لفظ السعود بدت
لفظاً ومعنى وفي الأسماء إيدان
حييت من ملك يفدى بطارفنا
وبالتليد ومن عزوا ومن هانوا
ويقول فيها أيضاً:
أدم كفعلك للإسلام نصرته
بل زد عليه فإن الشر فتان
وانصر أولي سنن واقمع ذوي بدع
واعمر بجهدك ما يرضاه رحمان
[قصيدته في مجلة راية الإسلام]:

ولما صدرت مجلة (راية الإسلام) والتي يرأس تحريرها سماحة الشيخ
صالح بن محمد اللحيان رئيس مجلس القضاء الأعلى سابقاً وعضو هيئة
كبار العلماء، وكان حينها رئيساً لمحكمة الرياض، كتب الوالد -رحمه الله-
قصيدة نشرت في العدد الثاني للمجلة في محرم عام ١٣٨٠هـ يقول في
مطلعها:

قد أشرقت (راية الإسلام) والأدب
فحيها معلناً بالشعر والخطب
واهجر سبيل الألى جادوا بشعرهم
لمنزل دارس الأطلال من نوب

يشـجـيهم ذكـر آراـم نعمـن به
 تسـوم نبت الربـى في مأمن خصب
 وذكر عين لها في القلب منزلة
 تلقي قلوب أولي الأحلام في كرب
 كمثل ريم يمين الرند قد عرضت
 ألفت إليّ سهام الحزن والشجب
 عين المهاة رمتني وهي معرضة
 فصـرت ذا حيرة في كف مستلب
 لما تولت بقلبي قلت واأسفني
 هل من جناح فأقفوا منتهى طلبي
 لولا التجلد ما أمسيت في سكن
 وصرت في البيد بين الوحش لم أثب
 لعل ريح الصبا تأتي برائحة
 من نفح عنبرها يشفي لذي الوصب

ما كنت أعرف قبل اليوم ما وصفت
 أهل النسب من الأشجان والكأب
 لما بليت أقمت العذر دونهم
 عذر الخبـير بسهم الفاتك الأرب

كان الوالد رحمه الله في تدرسه معلماً متميزاً، محباً لتلاميذه، مشفقاً عليهم، رفيقاً بهم، مجتهداً في نصحتهم وتعليمهم، يحترمهم ويجلونه، ينصح لهم ويستنصحوه، ما كان غليظاً ولا جافياً رحمه الله.

يقوم بتدرسه على أكمل وجه، ويستقبل تلاميذه في بيته، ويجلس لهم في مسجده، ويعيد على بعضهم ما أشكل عليهم من درس أو غمض عليهم من مسائل، كان دافعاً لتلاميذه للتحصيل والتفوق، مشاركاً لهم في أنشطتهم، حريصاً على تنمية وصقل مواهبهم.

وكانت له - رحمه الله - طريقة متميزة في تدرسه لطلابه، حيث يشرح الدرس شرحاً مفصلاً، ويتحقق بالسؤال من فهمهم، ويورد لهم من الشواهد والقصائد الشعرية والأخبار واللطائف والطرائف، ما يحصل به تسليتهم، وشحنهمهم، وإزالة السامة عنهم، مع ما فيها من تهذيب للنفوس والأخلاق.

[من أخباره مع تلاميذه]:

ومن أخباره مع تلاميذه: أن طلاب المعهد عملوا نادياً للعلم والثقافة فكتب لهم الوالد قصيدة شعرية فيها تشجيع ونصح لهم، يقول في مطلعها:

تقوى الإله سـفينة الأبرار

وهي الرُّقي ومطمح الأنظار

وهي الصراط لطالب سبيل العلى

وهي المنار لمهتد بمنار

وهي السعادة إن حللت رحابها
وهي الفخار تفوق كل فخار
ويقول فيها أيضًا:
طلب التكائر والتفاخر بيننا
أردى الحكيم وثاقب الأفكار
حب الرئاسة والمظاهر داؤنا
كم أكسبنا من ذلة وصغار
كم ناقص متبصر في دينه
متورع في الجهر والإسرار
لما امتطى متن المناصب وارتدى
ثوب الرياسة عشى عن إبصار
أفٍ لذيها كلما ازددنا غنى
زدنا افتقارًا خشية الإقتار
ومن أخباره مع تلاميذه:

كتب رحمه الله لطلابه عند انتهاء العام الدراسي سنة ١٣٧٣هـ:
هذا وداع الذي أضحي يلقتكم
ما اختار من فائق المعلوم والحكم
يرجو نجاحًا وتوفيقًا لأجمعكم
يا رب واجعلهم في الناس كالعلم

ورأى حسن خط أحد طلبته، ويلقب (المزيني) فكتب بيتين يقول
فيهما:

أعجبت بالخط إن الخط ذو عجب

لله درك ما أسماه مجهودا

أنت المزيني وحذف الميم ملتزم

إذ كان فعلك مقبولاً ومحمودا

وكتب لهم حين أراد مغادرة المعهد العلمي والانتقال إلى مكة المكرمة
سنة ١٣٨٥هـ أبياتاً يقول فيها:

هذا الوداع وما نفسي تطيب به

وهل يطيب فراق الفتية النجب

كيف السلو عن الصحب الذين همو

قد أحرزوا السبق في علم وفي أدب

* * *

[التدريس في المسجد الحرام]:

وفي عام ١٣٨٥هـ انتقل رحمه الله إلى مكة المكرمة، حيث عين إماماً
وخطيباً للمسجد الحرام، وفيه عقد دروسه العلمية في مختلف العلوم
الشرعية.

وبدأ التدريس في المسجد الحرام عام ١٣٨٦هـ في أحد جنباته، ثم بدأ التدريس تحت المكبرية، ويلقي دروسه بمكبر الصوت الذي يصل مداه إلى أجزاء كبيرة من المسجد الحرام، ولم يكن يدرس في ذلك المكان سوى كبار المشايخ والعلماء. وكان تدرسه بعد صلاة المغرب، وبعد صلاة الفجر، وتارة يكون بعد صلاة الظهر بحسب وقته رحمه الله، وكلها كانت تحت المكبرية، وكنت ممن يحضر دروسه بعد المغرب، وبعد الظهر، وممن قرأ عليه رحمه الله، ومن الكتب التي قام بتدريسها وشرحها: فتح المجيد، وقرة عيون الموحدين، بلوغ المرام، صحيح البخاري، الأدب المفرد، التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح للزيدي، الروض المربع، هداية الراغب، مختصر زاد المعاد، إعلام الموقعين، وغيرها.

[دروسه في بيته]:

كما كان يعقد رحمه الله في بيته بحي العوالي دروسًا في العقيدة وغيرها يحضرها جمع من الطلاب من جنسيات مختلفة. وكانت آخر دروسه في منزله في شهر جمادى الآخرة عام ١٤٢٩هـ. ودرس فيها كتاب: من هدي المصطفى ﷺ (وهو من مؤلفاته رحمه الله)، وكتاب قرة عيون الموحدين.

بعدها لم يكن نشاطه يساعده على مواصلة الدروس العامة، فتفرغ رحمه الله للعبادة، والمطالعة، والتصنيف، والدروس الخاصة.

يتحدث معالي الدكتور محمد الخزيم عن تدرسه رحمه الله، وصلته

بطلابه فيقول:

« وسأحته من رواد التعليم الأوائل ذوي الأثر الطيب، والتأثير الملموس وقد أحبه طلابه رحمه الله، وكانوا يتنافسون إلى حضور دروسه،

بدون كلل، أو ملل، وذلك لغزارة علمه، وحسن أسلوبه، وقدرته على إيصال المعلومة، وبشاشته، وساحته، فتخرج على يديه عدد من الطلاب، وكنت واحداً منهم، وقد عشت في منزله في بريده ردحاً من الزمن، وأفتخر بذلك؛ لأنه كان لي نعم الأب، والمعلم، والمربي، والصديق، ثم الرئيس».



المطلب الثالث

العمل في الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي

في شهر رمضان من عام ١٣٨٤ هـ أمر الملك فيصل رحمه الله (ت ١٣٩٥ هـ) بتشكيل جهاز خاص بالمسجد الحرام، سمي (الرئاسة العامة للإشراف الديني على المسجد الحرام)، وعين سماحة الشيخ العلامة عبد الله بن حميد رئيسًا له واستمر رحمه الله في رئاسة هذا الجهاز حتى عام ١٣٩٧ هـ.

وفي شهر ذي القعدة من عام ١٣٩٧ هـ صدر الأمر الملكي المتعلق بتطوير الرئاسة لتشمل أعمالها الإشراف على شؤون المسجد النبوي إضافة للمسجد الحرام وعين معالي الشيخ ناصر بن حمد الراشد رئيسًا لها بمرتبة وزير.

وفي شهر محرم عام ١٣٩٨ هـ صدر تنظيم جديد للرئاسة سميت بموجبه: (الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين) واستمر معالي الشيخ ناصر الراشد رئيسًا لها حتى شهر شعبان عام ١٤٠٠ هـ حيث عين معالي الشيخ سليمان بن عبيد العبيد رئيسًا لها. وفي شهر جمادى الآخرة عام ١٤٠٧ هـ صدر الأمر السامي بتعديل مسمى الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين لتصبح (الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي).

واستمر معالي الشيخ سليمان العبيد رئيسًا حتى عام ١٤٠٩ هـ حيث أعفي معاليه من منصبه، وكلف سماحة الوالد رحمه الله برئاسة هذا الجهاز

حتى شهر جمادى الأولى عام ١٤١١هـ، حيث صدر الأمر الملكي بتعيين سماحة الوالد رئيسًا عامًا لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي بمرتبة وزير واستمر في منصبه هذا حتى شهر ذي القعدة عام ١٤٢١هـ، حيث تمت الموافقة على استقالته من منصبه.



كان الوالد رحمه الله في أول قدومه إلى مكة وتعيينه إمامًا وخطيبًا للمسجد الحرام عام ١٣٨٥هـ عين بالإضافة إلى ذلك رئيسًا للمدرسين والمراقبين في رئاسة الإشراف الديني على المسجد الحرام.

ويتولى إلى جانب ذلك إدارة معهد الحرم المكي، ووضع المناهج، والإشراف على التدريس والمدرسين فيه، واستمر المعهد تحت إشرافه المباشر، حتى عين فضيلة الشيخ صالح المقوشي - رحمه الله - مديرًا للمعهد عام ١٣٨٨هـ، وبقي المعهد تحت متابعة الوالد رحمه الله.

يتحدث الوالد رحمه الله عن هذا المعهد في كتابه «رعاية الحرمين»

المطبوع عام ١٤١٩هـ فيقول:

« وفي عام ١٣٨٥هـ صدرت الموافقة السامية بتأسيس معهد نظامي بالمسجد الحرام سُمي معهد الحرم المكي ووضع له منهج متكامل في علوم الشريعة والتاريخ الإسلامي واللغة العربية ولوائح للقبول والدراسة

والامتحانات والإجازات، وكان ذلك تحت إشراف سماحة الرئيس العام للإشراف الديني بالمسجد الحرام، فالتدريس في المسجد الحرام على نوعين: الأول: في معهد الحرم وموقعه داخل أروقة المسجد الحرام، والغرض من كونه داخل المسجد الحرام زيادة عدد الدروس في المسجد الحرام، وليكون المسجد عامراً بالدروس العلمية في الفترة الصباحية، وليستفيد من هذه الدروس إضافة إلى الطلاب المنتظمين به مرتادو المسجد في هذه الفترة. ويضم المعهد حالياً القسم الإعدادي ومدة الدراسة فيه ثلاث سنوات يحصل الطالب بعد النجاح فيها على الشهادة المتوسطة.

والقسم الثانوي ومدة الدراسة فيه ثلاث سنوات يحصل الطالب بعد النجاح فيها على الشهادة الثانوية التي تمت معادلتها بشهادات المعاهد العلمية بالمملكة من قبل وزارة المعارف.

ويصرف للطلبة المنتظمين مكافأة شهرية قدرها (٤٥٠) ريالاً وهناك سكن للطلبة العزاب من غير أهل مكة، كما أن المعهد يقبل الطلبة المنتسبين وهؤلاء يحضرون فترة الاختبارات فقط.

وقد بلغ عدد طلاب المعهد في العام الدراسي (١٤١٨ - ١٤١٩ هـ) (١٠٦١) طالباً منتظماً ومنتسباً.

وللمعهد جهاز إداري وتعليمي كامل، ومستوى الدراسة في المعهد عال بفضل الله، ويؤهل الطالب تأهيلاً شرعياً جيداً، يُدرس فيه القرآن الكريم والتجويد، والفقه وأصوله، والتفسير وأصوله، والحديث وأصوله مع علم الفرائض، والسيرة، والتاريخ، والبلاغة، واللغة العربية، ويؤهل خريجيه للالتحاق بالجامعات في كلياتها النظرية، وقد نفع الله تعالى بهذا المعهد نفعاً عظيماً، وتخرج فيه منذ إنشائه عدد كبير من جنسيات مختلفة عاد

كثير منهم إلى بلادهم مشتغلين بالدعوة إلى الله تعالى»^(١) .
 وفي عام ١٣٩٠ هـ عين الوالد نائباً لرئيس الإشراف الديني على
 المسجد الحرام للشؤون الدينية، ثم في عام ١٣٩٣ هـ عين نائباً عاماً لرئيس
 الإشراف الديني على المسجد الحرام.

وفي عام ١٣٩٧ هـ أعيد تشكيل رئاسة الإشراف الديني، فكان الوالد
 رحمه الله نائباً للرئيس العام لشؤون الحرمين الشريفين بعد المسمى الجديد
 لها.

وفي عام ١٤٠١ هـ عين رحمه الله على المرتبة الممتازة نائباً للرئيس العام
 لشؤون الحرمين الشريفين.

وفي عام ١٤٠٩ هـ كلف رئيساً عاماً لشؤون المسجد الحرام والمسجد
 النبوي.

وفي عام ١٤١١ هـ عين رئيساً عاماً لشؤون المسجد الحرام والمسجد
 النبوي بمرتبة وزير.

واستمر في هذا المنصب حتى شهر ذي القعدة عام ١٤٢١ هـ، حيث
 صدر الأمر الملكي بالموافقة على طلبه إعفائه من منصبه، مع استمراره
 بمهام الإمامة والخطابة بالمسجد الحرام.

* * *

وكان الوالد - رحمه الله - دائم الثناء على الجهود التي يبذلها ولاية أمر هذه البلاد - حفظهم الله - تجاه الحرمين الشريفين. وكان دائم الدعاء لهم بالتوفيق لما فيه خير الإسلام والمسلمين.

[مرثيته في الملك فيصل]:

وحين توفي الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله (ت ١٣٩٥ هـ) كتب الوالد - رحمه الله - مرثية في الفقيه يقول في مطلعها:

هول جسيم وخطب فادح جـلل
تجرعت كأسه الأملاك والدول
رزية هزت الدنيا وسـاكنها
وماد منها سهول البيد والجبل
أنست مصيبة كل مكلوم وذو أسف
ورققت هول من ماتوا وقد رحلوا
ويقول فيها أيضًا:

أشبهت فيها أبا حفص خليفتنا
لما دعا الله ذاك السيد البطل
وقال يا مؤلي سؤلي وأمني
نيل الشهادة لا ملك ولا خول
في دار هجرتنا حيث الحبيب بها
تلك السعادة هل يرضى بها بدل
وقال قوله مشـتاق لها وهـا
أنى تنال وهل تأتيك يا رجل

وأنت في طابة والأسد حارسة
والضد ناء وفينا الأمن مكتمل
فجاءت البشرية والأقدار حاملة
تزفها وشقاء العليج والأجل
والمؤمنون صفوفًا خلف قائدهم
إذا سطا قدر ضاقت به الحيل
وخلال توليه لمنصب الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد
النبوي أنجزت الرئاسة عددًا من المشاريع والتنظييات، أشير في هذه
العجالة إلى شيء منها:

أولاً: ما يتعلق بالشؤون الدينية في المسجد الحرام:

١ - الاكتفاء بوتر واحد في العشر الأواخر من رمضان، حيث كان الأئمة
يوترون في صلاة التراويح، ويوترون في العشر الأواخر وترًا آخر في
صلاة القيام، فتم الاكتفاء بوتر واحد؛ وكانت أول سنة اكتفي فيها
بوتر واحد عام ١٤١٤ هـ، وكان ذلك باقتراح منه رحمه الله، وموافقة
من هيئة كبار العلماء، برئاسة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه
الله، واستمر العمل على ذلك. وكانت صلاة القيام تبدأ الساعة
(١٢.٣٠) فأخرها رحمه الله نصف ساعة لتبدأ في تمام الساعة الواحدة
توسعة للناس، ورفقًا بهم، واستمر العمل على ذلك حتى اليوم.

٢ - أن يكون ختم القرآن في شهر رمضان في ليلة السابع والعشرين، فتم
ذلك في عام ١٤١٤ هـ واكتفي في هذا العام بختمة واحدة حيث

كانت قراءة صلاة القيام امتدادًا لما يقرأه الأئمة في صلاة التراويح، لكن في العام الذي يليه رجع الأمر إلى ما كان عليه سابقًا، وهو أن تكون الختمة في ليلة ٢٩، واستمر العمل عليه.

٣- تعيين عدد من أصحاب الفضيلة المشايخ أئمة للمسجد الحرام، وتعيين أئمة آخرين للمسجد النبوي:

فقد تعين في المسجد الحرام كل من:

أ - فضيلة الشيخ الدكتور / سعود بن إبراهيم الشريم عام ١٤١٢هـ.

ب - فضيلة الشيخ الدكتور / عمر بن محمد السبيل رحمه الله عام ١٤١٣هـ.

ج - فضيلة الشيخ الدكتور / أسامة بن عبد الله خياط، عام ١٤١٨هـ.

وعين في المسجد النبوي كل من:

أ - فضيلة الشيخ الدكتور / عبد الباري بن عواض الثبتي، عام ١٤١٤هـ.

ب - فضيلة الشيخ الدكتور / حسين بن عبد العزيز آل الشيخ، عام ١٤١٨هـ.

ج - فضيلة الشيخ الدكتور / عبد المحسن بن محمد القاسم، عام ١٤١٨هـ.

د - فضيلة الشيخ / صلاح البدير، عام ١٤٢٠ هـ.

كما تمت الاستعانة في بعض السنوات بعدد من أصحاب الفضيلة المشايخ لأجل صلاة التراويح والقيام في المسجد النبوي، وهم: فضيلة الشيخ علي بن عبد العزيز السديس، وفضيلة الدكتور عبد الودود مقبول حنيف، وفضيلة الدكتور عبد الله بن عواد الجهني (إمام المسجد الحرام حالياً)، بالإضافة إلى الأئمة السابقين الذين كان يستعان بهم من قبل، وهم: فضيلة الشيخ إبراهيم الأخضر، وفضيلة الدكتور محمد أيوب.

٤ - تغيير موعد غسل الكعبة من ليلة النصف من شعبان إلى أول يوم منه.

٥ - قيامه رحمه الله بإلقاء كلمات مختصرة بعد صلاة العشاء ينبه فيها على بعض الأمور التي تحصل من بعض المصلين في شهر رمضان وغيره، كاختلاط النساء بالرجال، ومضايقه الناس بعضهم لبعض، وانحراف بعض المصلين عن القبلة، ورفع الأصوات، وغير ذلك.

٦ - تعيين عدد من أصحاب الفضيلة العلماء والمشايخ مدرسين في المسجد الحرام ومنهم: أصحاب الفضيلة أئمة المسجد الحرام، وسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ مفتي عام المملكة، وسماحة الشيخ عبد الله الغديان عضو هيئة كبار العلماء رحمه الله، وسماحة الشيخ صالح الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء، وفضيلة الشيخ عبد الرحمن الكلية عضو هيئة كبار العلماء، وفضيلة الشيخ محمد العجلان، وفضيلة الشيخ الدكتور محمد عبد القادر العروسي عضو هيئة كبار

العلماء، وفضيلة الشيخ الدكتور علي بن عباس الحكمي عضو هيئة كبار العلماء، وفضيلة الشيخ جابر الطيب ابن علي، وفضيلة الشيخ الدكتور سليمان بن وائل التويجري، وفضيلة الشيخ الدكتور سعود ابن مسعد الثبيتي، وفضيلة الشيخ الدكتور وصي الله عباس، وفضيلة الشيخ الدكتور أحمد نور سيف.

٧- نقله مكان الإمام في صلاة التراويح من صحن المطاف إلى تحت المكبرية والسماح للناس رجالاً ونساءً بالطواف بالبيت وقت التراويح خلافاً لما كان العمل عليه قبل ذلك من منع النساء من الدخول إلى صحن المطاف قبل أذان العشاء بنصف ساعة تقريباً ويستمر منعهن حتى انتهاء الناس من صلاة التراويح، وكان في ذلك القرار تيسير على الناس عمومًا، وعلى المعتمرين منهم على وجه الخصوص، وقد تم هذا الأمر عام ١٤١٦هـ.

ثانيًا: ما تم في فترة رئاسته رحمه الله مما يتعلق بالإنشاءات والمشاريع:

١- في شهر صفر من عام ١٤٠٩هـ وضع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد حجر الأساس للتوسعة الثانية للمسجد الحرام، وانتهى العمل منها في عام ١٤١٣هـ.

٢- في عام ١٤١١هـ أحدثت ساحات كبيرة محيطة بالمسجد الحرام مهياً للصلاة.

٣- في شهر ذي القعدة عام ١٤١٤هـ تم الانتهاء بالكامل من التوسعة الثالثة للمسجد النبوي الشريف، والتي أمر بها خادم الحرمين

الشريفيين الملك فهد رحمه الله.

٤ - في عام ١٤١٤هـ تم تكييف المسعى.

٥ - في عام ١٤١٤هـ صدر الأمر الملكي بضم مصنع كسوة الكعبة المشرفة إلى الرئاسة العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، بعد أن كان تابعاً لوزارة الحج والأوقاف سابقاً، وصدر الأمر من سماحته بعمل الترميمات والإصلاحات للمصنع، وتم الانتهاء منها في أواخر عام ١٤١٥هـ.

٦ - في عام ١٤١٥هـ تم توسعة الصفا في الطابق الأول، تسهيلاً للساعين، وذلك بتضييق دائرة فتحة الصفا الواقعة تحت قبة الصفا.

٧ - في شهر محرم من عام ١٤١٧هـ حصل الترميم الكبير للكعبة المشرفة، والذي لم يحصل مثله منذ عام ١٠٤٠هـ، وانتهى العمل فيها في آخر يوم من شهر جمادى الآخرة عام ١٤١٧هـ.

٨ - في عام ١٤١٧هـ تم توسعة المروة بإزالة بعض المباني حولها، كما تم توسعة الممر الداخل من جهة المروة إلى المسعى في الطابق الأول، وأحدثت أبواب جديدة في الطابق الأرضي والأول؛ للدخول والخروج من جهة المروة.

٩ - في عام ١٤١٨هـ تم إنشاء جسر الراقوبة الذي يربط سطح المسجد الحرام بمنطقة الراقوبة جهة المروة، كما تم توسعة الممر الملاصق للمسعى الذي يستعمل للطواف بالطابق الأول في أوقات الزحام من

منطقة الصفا إلى ما يقابل منتصف المسعى؛ حيث تمت توسعته، كما تم أيضًا تجديد غطاء مقام إبراهيم عليه السلام، ووضع غطاء من الزجاج البلوري المقاوم للحرارة والكسر.

١٠ - في عام ١٤١٩هـ تم إنشاء متحف خاص بالحرمين الشريفين مجاور لمبنى كسوة الكعبة المشرفة.

١١ - في شهر شوال من عام ١٤٢١هـ انتقلت الرئاسة العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي إلى المبنى الحكومي الجديد في أجياد بعد أن كانت منذ تأسيسها في مبنى مستأجر.

١٢ - عمل منبر جديد للمسجد الحرام.

وغير ذلك من المشاريع، والتي أنجز كثير منها خلال رئاسته رحمه الله، ومشاريع أخرى بدأت خلال فترة رئاسته، واكتملت بعد ذلك.



المطلب الرابع

رئاسته وعضويته لعدد من الهيئات العلمية والدعوية

أولاً: عضويته في هيئة كبار العلماء:

في جمادى الآخرة عام ١٤١٣هـ اختير - رحمه الله - عضواً في هيئة كبار العلماء برئاسة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، وقد رأس الوالد رحمه الله عددًا من اللجان المنبثقة عن الهيئة، منها: لجنة أعلام الحرم المكي الشريف، ولجنة النظر في المشاريع الجديدة للجمرات بمنى، ولجنة النظر في بعض مساجد المواقيت وغير ذلك من اللجان، كما قدم عددًا من الأبحاث المتعلقة بأعمال الهيئة، منها: الخط المشير إلى الحجر الأسود في صحن المطاف ومدى مشروعيته، ومنها: حكم الصلح على أكثر من الدية في قتل العمد وغيرها، وقد استمر في عضويته حتى شهر ربيع الأول عام ١٤٢٦هـ.

[قصته مع الأمير متعب]:

ومن أخباره رحمه الله في الهيئة:

أن صاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبد العزيز حفظه الله وزير الإسكان حينها، والمسؤول عن مشروع نصب الخيام الجديدة في منى ومزدلفة، قد رغب من هيئة كبار العلماء بحث موضوع الخيام، والأماكن التي يمكن أن يشملها المشروع في المشعرين، فبحثت الهيئة الموضوع، وصدر قرار بالأغلبية حول تلك الأماكن، وكان الوالد رحمه الله وبعض

المشايخ لهم رأي آخر يخالف رأي الأغلبية.

فلما كان بعد ذلك بأشهر رغب الأمير من الوالد وعدد من أصحاب الفضيلة العلماء بمكة الوقوف على الخيام وأطلعهم على الحاجة لنصب الخيام في أماكن أخرى، فبين له الوالد أنه يرى أنه لا مانع شرعاً من ذلك، فطلب الأمير أن يتم كتابة محضر، ويذكر فيه رأي الوالد وموافقته على ذلك، بناء على رأيه الشرعي في المسألة؛ ل يتم اتخاذ الإجراء المناسب، بناء على رأي الوالد، لكن الوالد رحمه الله امتنع، وقال: أمر صدر به قرار من الهيئة لا يكون لنا أن نخالفه، وإلا لما كان لقراراتها قيمة إذا لم يعتد بها أهلها، لكنني أخبر هنا عن رأيي في المسألة وفتواي فيها.

فأعجب الأمير بهذا الجواب، وسرَّ به، وقام وقبل رأس الوالد، وأثنى على حكمته وبعد نظره، مع أن فعل الوالد رحمه الله كان مخالفاً لمراد الأمير، لكن الأمير لما كان منصفاً، حكيمًا، أعجبه هذا الفعل من الوالد رحمه الله.

ثانياً: عضويته في المجمع الفقهي الإسلامي:

عين رحمه الله عضواً في المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي منذ تأسيسه، وشارك بصفته أحد أعضائه منذ الدورة الأولى التي عقدت في شعبان عام ١٣٩٨هـ، وكان المجلس يضم في عضويته كلاً من: سماحة الشيخ عبد الله بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى ورئيس مجلس المجمع، وفضيلة الشيخ محمد بن علي الحركان نائب الرئيس والأمين العام للرابطة، وسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة، وفضيلة الشيخ محمد محمود الصواف، وفضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز بن

عثيمين، وفضيلة الشيخ محمد رشيد قباني، وفضيلة الشيخ مصطفى الزرقاء، وفضيلة الشيخ محمد رشدي، وفضيلة الشيخ عبد القدوس الهاشمي الندوي، وفضيلة الشيخ أبو بكر جومي.

واستمر سماحته في عضوية المجمع حتى شهر رجب عام ١٤٣٣هـ.

وقد صدر عن المجمع الكثير من القرارات منها القرار الذي كلف رحمه الله وسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز وفضيلة الشيخ محمد محمود الصواف ببحث موضوعه وصياغة قراره والمتعلق بحكم التأمين بشتى أنواعه وأشكاله، وصدر قرار المجمع في هذا في الدورة الأولى المنعقدة في شعبان عام ١٣٩٨هـ.

كما قدم سماحته خلال عضويته عددًا من الأبحاث الفقهية كان من أولها بحثه الشهير عن حكم التجنس بجنسية دولة غير إسلامية والذي رشح رحمه الله لكتابته في الدورة الثانية عام ١٣٩٩هـ ومنها: حد السرقة في الشريعة الإسلامية والذي قامت رابطة العالم الإسلامي بطباعته، ومنها: حكم مشاركة المسلم في الانتخابات في البلاد غير الإسلامية، وهو آخر بحث كتبه رحمه الله للمجمع، وقد عرض ملخصًا لبحثه قرأه على أعضاء المجمع في جلسة مناقشة هذا الموضوع مساء يوم الاثنين ٢٤/١٠/١٤٢٨هـ قال فيه:

« إن مسألة مشاركة المسلم في الانتخابات مع غير المسلمين من المسائل المهمة التي تمس الحاجة لمعرفة حكمها، خاصة مع انتشار الدين الإسلامي بفضل الله تعالى في جميع بقاع العالم، وازدياد أعداد الداخلين فيه

بحمد الله تعالى، ولما يترتب على المشاركة أو عدمها من آثار على المجتمعات في تلك الدول.

وبعد بحث هذه المسألة والنظر فيها على ضوء الكتاب والسنة وقواعد الشريعة ومقاصدها يترجح لنا - والعلم عند الله تعالى - أنه يجوز للمسلم المشاركة في الانتخابات مع غير المسلمين بشروط وضوابط يقررها العلماء العارفون بأحوال المسلمين في تلك الدول.

ولعل من أهم هذه الشروط والضوابط: أن تكون المشاركة محققة لمصالح المسلمين المعتبرة، دارئة للمفاسد عنهم، راجحة على المفاسد والمضار، وأن تكون المشاركة لغرض صحيح معتبر شرعاً، من إقامة العدل، ودرء الظلم والجور، كما يشترط أن لا يترتب على تلك المشاركة العمل بحكم مخالف لشرع الله تعالى، من تحليل الحرام، أو تحريم الحلال، أو موالة الكفار، أو نصرتهم ضد المسلمين، أو غير ذلك من المحرمات في الشريعة الإسلامية.

فإذا توفرت هذه الشروط فإن المشاركة في الانتخابات جائزة؛ لما في ذلك من تحقيق المصالح المعتبرة شرعاً، وقد جاءت الشريعة الإسلامية بتحقيق المصالح وتكميلها، ودرء المفاسد وتقليلها، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية والعز بن عبد السلام وغيرهما من أئمة المسلمين.

وإن لم تتوفر هذه الشروط أو تخلف واحد منها فإننا لا نرى جواز المشاركة.

وقد أوردت في هذا البحث ما ظهر لي من أدلة على هذا القول من

الكتاب والسنة، وذكرت كلام طائفة من أهل العلم في هذا المعنى، والله أعلم بالصواب. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه».

وكان لبحث سماحته قبولاً كبيراً عند الفقهاء من أعضاء المجمع وصدر القرار موافقاً للرأي سماحته، وكانت عنايته بتأصيل المسألة من النظر الشرعي دون النظر القانوني، مما جعل له القبول عند عامة الأعضاء، وأثنى كثير ممن علق على الموضوع على بحثه.

زيارته لإيران:

رأس رحمه الله بعض الوفود الرسمية المنبثقة عن الرابطة ومن ذلك زيارته في حدود عام ١٤٠٠ هـ جمهورية إيران الإسلامية بعد ثورة الخميني. وزيارته لمدينة طهران ومدينة قم حيث ذهب رحمه الله وآخرين يمثلون الرابطة، منهم فضيلة الشيخ اللواء محمود شيت خطاب، والتقى الوفد بالخميني، وقدم له الوالد رحمه الله هدية الرابطة وهي نسخة من المصحف الشريف، الذي قام الصحابة رضوان الله عليهم بجمعه ونسخه، وذكره بما جاء فيه من وجوب تحكيمه، والعمل بما فيه.

ويذكر الوالد رحمه الله أنهم كانوا في مجلس الانتظار لقدوم الخميني، فلما دخل الخميني عليهم أسرع إلى ركن من أركان المجلس، وجلس على الأرض دون أن يصفح أحداً، ليسلم عليه الحضور، وهم قيام، لكننا جلسنا على الأرض أولاً، ثم صافحناه ونحن جلوس، وكان يستمع للكلام بالعربية، ويفهمه دون حاجة للمترجم، فإذا تكلم هو تكلم بالفارسية، وترجم لنا المترجم، وبعد أن استنكرنا في حديثنا معه ما حصل من قتل

وسفك للدماء، قال: نحن لا نقتل إلا القاتل، ولا نعتدي إلا على المعتدي.
وما صدق فيما قال .

كما زار الوفد نائبه شريعة مداري في مدينة (قم) وتحدث معه الوالد
عن حرمة دم المسلم، ووجوب العدل، والالتزام بالشرع.
ثالثاً: رئاسته للجنة أعلام الحرم المكي الشريف:

وهي لجنة شكلت لمهمة عظيمة تتعلق بأعظم البقاع، وأشرف
الأماكن، وأطهر المواطنين، مكة المكرمة، وقامت اللجنة بتحديد حدود
الحرم المكي الشريف؛ لما يترتب على معرفة ذلك من أحكام شرعية، وقد
شكلت لأجل ذلك لجان سابقة شارك فيها رحمه الله مثلاً للرئاسة العامة
لشؤون الحرمين منذ عام ١٣٩٧هـ تقريباً، ثم أصدرت هيئة كبار العلماء
برئاسة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله قرارها عام ١٤١٠هـ
بتشكيل هذه اللجنة من كل من: سماحة الوالد رحمه الله وفضيلة الشيخ عبد
الله بن عبد الرحمن البسام رئيس محكمة التمييز بالمنطقة الغربية، وعضو هيئة
كبار العلماء رحمه الله (ت ١٤٢٣هـ)، وفضيلة الشيخ عبد الله بن سليمان بن
منيع، عضو محكمة التمييز بالمنطقة الغربية سابقاً وعضو هيئة كبار العلماء،
وصدر الأمر السامي بتاريخ ٨ / ٥ / ١٤١٢هـ القاضي بالموافقة على قرار
الهيئة وتشكيل هذه اللجنة للقيام بهذه المهمة الشريفة. وقد استعانت اللجنة
بعدد من أصحاب الفضيلة والسعادة وأهل الخبرة، وعدد كبير من
المهندسين والفنيين من المدنيين والعسكريين يصل عددهم إلى قرابة خمسين
شخصاً.

وقد قامت هذه اللجنة ببيان حدود الحرم المكي، وتحديد أعلامه،

ورصد مسار الحد بين هذه الأعلام، وقد قامت لأجل ذلك بالرجوع إلى المصادر الشرعية، والتاريخية، بالإضافة إلى وقوفها على الأعلام القديمة، وذلك بالصعود على قمم الجبال، والنزول لبطون الأودية، وركوب طائرات الهليكوبتر للجبال الشاهقة؛ لتقف على حدود الحرم وأعلامه، وتم بحمد الله تعالى إنجاز العمل، ونصبت الأعلام الجديدة على مداخل مكة السبعة: (وهي: طريق جدة السريع، وطريق جدة القديم، طريق الهدا، طريق السيل، طريق الليث، طريق المدينة، طريق اليمن القديم، طريق الحسينية)، وانتهى العمل فيها بالكامل عام ١٤٢٤هـ. كما أن اللجنة حددت النقاط لوضع أكثر من خمسمائة علم على حدود مكة كاملة، ورصدت اللجنة أماكن الأعلام ومواقعها بالخرائط، وحددت نقاطها وإحداثياتها عبر الأقمار الاصطناعية، وكان حصيلة ما حددته اللجنة من الأعلام في جميع محيط الحرم (١١٠٤) أعلام.

وقد تم بحمد الله عمل الخرائط اللازمة لذلك، وحدد عليها مكان الأعلام، وحددت الإحداثيات عبر الأقمار الصناعية بواسطة خبراء من هيئة المساحة العسكرية، التابعة لوزارة الدفاع والطيران، وقد فرغت اللجنة من هذه الأعمال والخرائط عام ١٤٢٢هـ. كما قامت اللجنة أيضًا برسم مسار للحد بين الأعلام، وقامت بعمل الخريطة اللازمة لذلك، وتم ذلك بفضل الله تعالى عام ١٤٢٩هـ، وتتولى وزارة الداخلية تنفيذ ما توصلت إليه اللجنة حيث إنها الجهة المكلفة بذلك من المقام السامي. وقد أصبح بالإمكان تحديد جميع الأماكن في مكة المكرمة من حيث كونها داخل حدود الحرم أم خارجه. وهو أمر لم يعمل مثله من قبل على مدى التاريخ.

وكانت اللجان دائماً تجتمع في منزله رحمه الله ويصر في أكثر اجتماعاتهم أن يكون الاجتماع بعد الظهر أو بعد العشاء؛ ليتناولوا جميعاً طعام الغداء أو العشاء، وكان يعلل لهم ذلك بأن يطول المجلس، ويتم الانتهاء من العمل.

وإذا خرجوا للوقوف على الأعلام في الصباح الباكر يأخذهم بسيارته الخاصة ويحمل فيها ما تحتاجه اللجنة من طعام وشراب وخلافه حيث تضيي اللجنة عدة ساعات حتى تفرغ من عملها في ذلك اليوم. وكان سباحته وأصحاب الفضيلة العلماء أعضاء هيئة كبار العلماء يقومون بهذا العمل احتساباً، فليس لعملهم هذا أي مقابل مادي.

ومما كتبه سماحته رحمه الله عن أعلام الحرم وحدوده وعن أعمال اللجنة قوله:

« الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

فإن البلد الحرام هو أفضل البقاع، وأحبها إلى الله تعالى، شرفه الله بيته العتيق، وحرمه جل شأنه يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا ينفر صيده، ولا يختلى خلاه، ولا تلتقط لقطته إلا من عرفها، فيه نزل الوحي على محمد ﷺ، ومنه شع نور الرسالة المحمدية للعالمين، جعله الله بلدًا آمنًا، وقبلة المسلمين، ومهوى أفئدتهم، فيه تضاعف حسناتهم، وإليه يفدون من كل فج عميق.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة

مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً ﴿ ويقول سبحانه: ﴿ أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجيبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ .

وقال ﷺ: « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكة، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يحتل خلاه. فقال العباس بن عبد المطلب: يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم وليوتهم، قال ﷺ: إلا الإذخر » رواه البخاري ومسلم.

وإن من حفظ الله تعالى لهذه البلدة المباركة حفظ حدودها، فقد روى أن إبراهيم الخليل عليه السلام نصب أنصاب الحرم يريه جبريل عليه السلام، ثم جددها إسماعيل عليه السلام، ثم جددها قصي، ثم جددها رسول الله ﷺ. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ بعث عام الفتح تميم بن أسد الخزاعي فجدد أنصاب الحرم. واعتنى بهذه الحدود والأعلام من بعدهم الخلفاء الراشدون ومن جاء بعدهم من الخلفاء والولاة.

وكان من تلك العناية ما تم في عهد هذه الدولة المباركة، والتي أولى قاداتها كل عناية واهتمام بالحرمين الشريفين وحدودهما. وقد شهدت هذه العناية ولمستها من خلال لجنة النظر في أعلام الحرم المكي الشريف منذ قرابة ثلاثين عاماً، والتي شاركت فيها مع الشيخين الجليلين سماحة الشيخ

عبد الله بن بسام - رحمه الله -، وساحة الشيخ عبد الله بن منيع - حفظه الله -، وممن شارك أيضًا مع اللجنة الشريف شاكر بن هزاع، والشريف محمد بن فوزان الحارثي، وكان ذلك بمتابعة ساحة شيخنا العلامة عبد الله ابن حميد، وساحة الشيخ ناصر الراشد، ثم ساحة الشيخ سليمان بن عبيد، الرؤساء السابقين لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي رحمهم الله تعالى، واستمر عمل تلك اللجنة سنوات عديدة حتى رغب خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - تغمده الله بواسع رحمته، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء - من هيئة كبار العلماء بحث هذا الأمر فأصدرت قرارها رقم ١٦٦ وتاريخ ١٧/٨/١٤١٠هـ الذي جاء فيه: « إن المجلس يرى أن يوكل أمر وضع أعلام جديدة محيطة بحرم مكة المكرمة من جميع جهاته بجانب الأعلام القديمة إلى وزارة الداخلية، وأن يكون ذلك تحت إشراف المشايخ: محمد بن سبيل، وعبد الله بن بسام، وعبد الله بن منيع، وأن يستعين المشايخ المذكورون في ذلك بمن يرون من ذوي الثقة والخبرة، وإمداد اللجنة بما يعينها على القيام بمهمتها ».

فصدر الأمر السامي رقم ٧٠٧/م وتاريخ ٨/٥/١٤١٣هـ يقضي بالموافقة على قرار الهيئة وتشكيل هذه اللجنة.

وقد بدأت هذه اللجنة أعمالها واستفادت مما توصلت إليه سابقاً من نتائج، كما رأت أن تستعين بعدد من أصحاب الفضيلة والسعادة، وهم: فضيلة الشيخ الدكتور سعود بن مسعد الشيتي، وفضيلة الشيخ الدكتور وصي الله بن محمد عباس عضوا هيئة التدريس بجامعة أم القرى والمدرسان بالمسجد الحرام، وسعادة الدكتور خضران بن خضر - الشيتي، عضو هيئة

التدريس بقسم الجغرافيا بجامعة أم القرى، والأخوان الكريمان حامد بن عطية الله الشريف، محسن بن حسن القرشي (أبو سمن) وهما من أهل الخبرة والمعرفة، بالإضافة إلى مشاركة الكثير من المهندسين والفنيين والخبراء وغيرهم في أعمالها المختلفة.

ويمكن ذكر بعض الأعمال والمهام التي قامت بها اللجنة من خلال النقاط التالية:

١ - اعتمدت اللجنة في التعرف على حدود الحرم وأعلامه ومواقعها بما وقفت عليه من آثار هذه الأعلام وأصولها المبنية أو وجود آثار النورة عليها، كما تعرفت عليها من خلال قاعدة تقسيم مياه الأمطار والسيول، والتي مفادها أن ما سال نحو الحرم فهو حرم، وما سال نحو الحل فهو حل، وأن ماء الحل لا يدخل إلى الحرم، وماء الحرم يخرج إلى الحل.

كما رجعت اللجنة إلى الكتب المعنية بذكر تاريخ البلد الحرام وأحكامه وحدوده، واستعانت بأقوال أهل الخبرة والمعرفة من ساكني تلك المناطق العارفين بسهولة وجبالها وأسمائها.

٢ - تتبعت اللجنة هذه الأعلام بالسير في السهول، وبالصعود على قمم الجبال الشاهقة، تارة بالأقدام، وتارة بالطيران العمودي، وربما كررت الوقوف على بعض الأعلام احتياطاً وثبتاً، وكثراً نلقى بسبب ذلك الكثير من العناء والمشقة، خصوصاً مع تقدم السن، وشدة الحر في بعض الأحيان، وطول زمن الرحلة، ووعورة الطريق، فالحمد لله الذي يسر - إتمام هذا العمل.

٣ - قامت اللجنة بكتابة محضر تُبين فيه مواقع الأعلام وصفتها وعددها وغير ذلك من البيانات المتعلقة بها، كما قامت أيضًا بعمل خريطة متكاملة لكل جهة من الجهات الأربع بعد انتهائها من الوقوف على كامل أعلام الحرم في تلك الجهة، توضح عليها أماكن الأعلام، وترصد إحداثياتها بواسطة أحدث الأجهزة، ومن خلال المهندسين والفنيين المرافقين، ثم تقوم بتقديمها لسمو وزير الداخلية، حيث إن وزارة الداخلية هي الجهة التي أوكل إليها وضع هذه الأعلام تحت إشراف هذه اللجنة.

٤ - قدمت اللجنة لسمو وزير الداخلية محضر انتهائها من تحديد جميع الأعلام ورصدها على كامل محيط الحرم، وكان ذلك بتاريخ ٩/١٠/١٤٢٢ هـ وأرفق به الخريطة العامة لكامل حدود الحرم المكي الشريف من جهاته الأربع، وقد حدد عليها أعلام الحرم البالغ عددها (١١٠٤) أعلام، منها (١١٧) علمًا بالحد الشرقي، و(٣٨) علمًا بالحد الغربي، و(٢٩٩) علمًا بالحد الجنوبي، و(٦٥٠) علمًا بالحد الشمالي، وقد قامت اللجنة بعمل هذه الخرائط ورصد هذه الأعلام بإحداثياتها بالتعاون مع أمانة العاصمة المقدسة، ثم بعد ذلك استعانت اللجنة لرصد أعلام الحد الشمالي بفريق من المساحة العسكرية التابع لوزارة الدفاع والطيران، قوامه ستة عشر- فردًا؛ ليتم ضبط هذه المواقع وتحديداتها عن طريق الأقمار الاصطناعية وبواسطة أحدث الأجهزة وأدقها، فتم العمل بحمد الله وتوفيقه على أتم وجه.

٥ - قامت وزارة الداخلية بنصب أربعة عشر علمًا على مداخل مكة السبعة، بواقع علمين لكل مدخل، تحت إشراف اللجنة، وبناء على ما

قررت، والوزارة بصدد القيام بتنفيذ (٥١٨) علمًا على كامل محيط الحرم، نسأل الله تعالى أن يتم إنجازها.

٦ - قامت الدولة رعاها الله بالتعميم على الجهات الحكومية وغيرها بضرورة الاعتماد على ما توصلت إليه اللجنة من نتائج وبيانات وخرائط، واعتبارها المرجع لكل ما يتعلق بحدود البلد الحرام وأعلامه.

٧ - تم بحمد الله تعالى رسم مسار الحد بين أعلام الحرم المكي، وعمل الخريطة العامة لكامل أعلام الحرم المكي الشريف من جهاته الأربع مع رسم مسار الحد بين تلك الأعلام، بحيث يشكل البلد الحرام على الخريطة دائرة متكاملة، روعي فيها الانحرافات والمنعطفات التي توجد بين بعض الأعلام، وقد تم ذلك العمل وفق قاعدة تقسيم المياه، وبجهد وتعاون المساحة العسكرية بوزارة الدفاع والطيران، وتم اعتماد اللجنة للخرائط وتوقيعها في شهر شعبان عام ١٤٢٩ هـ. وبذلك تم تحديد كامل محيط الحرم ومساحته، ومعرفة مواقع جميع الأماكن في مكة المكرمة، من حيث كونها داخل حدود الحرم أو خارجه.

٨ - إن ما قامت به اللجنة وما توصلت إليه من تحديد الأعلام ورصد إحدائياتها يمكن بفضل الله تعالى ومنه من معرفة أماكن الأعلام، وتحديد نقاطها في أي زمن كان، ومهما تغيرت المعالم والآثار، ولا يضرها بإذن الله تعالى العوامل التي قد تؤدي لتغيير هذه الأعلام أو إزالتها، وهذا ما يبعث في النفس الطمأنينة على معرفة أماكن الأعلام وحدود الحرم المكي الشريف.

وإن هذه الإنجازات الكبيرة ما كانت لتتحقق لولا توفيق الله تعالى أولاً وآخرًا، ثم الاهتمام والمتابعة من ولاة أمر هذه البلاد - حفظهم الله -، فقد كانت اللجنة تلقى كل الدعم من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبد العزيز - رحمه الله - ثم من بعده خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز - حفظه الله -، ومن صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز ولي العهد وزير الدفاع والطيران المفتش العام - رحمه الله -، وكذا المتابعة المستمرة من صاحب السمو الملكي وزير الداخلية الأمير نايف بن عبد العزيز - رحمه الله - المشرف على تنفيذ أعمال اللجنة وتوصياتها، نسأل الله تعالى أن يجزيهم خير الجزاء على ما قدموا، وأن يوفقهم لما فيه خير الإسلام والمسلمين.

وإننا لنذكر الجهود الكبرى لسماحة الشيخ عبد الله البسام رحمه الله، عضو اللجنة، وعضو هيئة كبار العلماء، وأحد فقهاء البلاد، وقضاتها المبرزين والذي شارك في عمل المحاضر والخرائط للأعلام، ووافته المنية في شهر ذي القعدة عام ١٤٢٣هـ بعد أن انتهى العمل من نصب بعض الأعلام على مداخل مكة المكرمة، تغمده الله برحمته، وأسكنه فسيح جنته.....» الخ

وقد قام كل من فضيلة الشيخ الدكتور سعود الثبتي وسعادة الدكتور خضران الثبتي وهما ممن استعانت بهم اللجنة في أعمالها بتأليف كتاب يتحدث عن أعمال اللجنة وما توصلت إليه، عنوانه: (أعلام وحدود الحرم المكي الشريف) وتولى طباعة الكتاب: مركز تاريخ مكة المكرمة، التابع لدارة الملك عبد العزيز، وصدر عام ١٤٣٣هـ، وقدم للكتاب كل

من سماحة الوالد رحمه الله، ومعالي الشيخ عبد الله المنيع، ومعالي الشيخ صالح الحصين، ومعالي الشيخ صالح بن حميد، ومما جاء في مقدمة الكتاب ص ٢٩ عن سبب تأليفه قولها: « لقد زادنا الله شرفاً عندما دعانا فضيلة الشيخ السبيل للانضمام إلى لجنة أعلام الحرم المكي الشريف برئاسته حيث انخرطنا في العمل الميداني، ومن هنا بدأنا نفكر في القيام بعمل يخدم بلد الله الحرام، ويخدم أمة الإسلام، لا سيما ما يتعلق بمواضع أعلام الحرم المكي الشريف وحدوده، فجاءت فكرة هذا الكتاب».

وجاء فيه أيضاً ص ٣١: « يعتمد هذا الكتاب في مادته الأصلية على البيانات والخرائط التي حصل عليها بالمسح الميداني للجنة أعلام الحرم المكي الشريف...».

رابعاً: رئاسته للجمعية الخيرية للمساعدة على الزواج والرعاية الأسرية بمكة المكرمة:

تشكلت الجمعية الخيرية لمساعدة الشباب على الزواج والرعاية الأسرية في مكة المكرمة عام ١٤١٠هـ، وكان رحمه الله أحد أعضائها المؤسسين لها، وكان فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام (ت ١٤٢٣هـ) رئيساً لها، ولما مرض الشيخ ابن بسام رحمه الله رغب من سماحة الوالد أن يكون رئيساً لها، فقام بذلك منذ عام ١٤٢٢هـ، واستمر على ذلك حتى تم التشكيل الجديد لمجلس الإدارة في عام ١٤٢٥هـ، وانتخب سماحته رئيساً لمجلس إدارة الجمعية، واستمر في رئاسة المجلس حتى شهر محرم عام ١٤٣١هـ، حيث اعتذر عن الاستمرار فيها، نظراً لظروفه الصحية.

خامسًا: رئاسة اللجنة الشرعية للمشاعر المقدسة بمكة المكرمة:

لما عين - رحمه الله - رئيسًا لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي كان من مهامه الإشراف على المشاعر المقدسة: منى، وعرفات، ومزدلفة، ومراقبة الأعمال التي تتم فيها من الناحية الشرعية، وبيان الأحكام الشرعية المتعلقة به، وملاحظة التعديات والتجاوزات التي قد تحصل فيها.

سادسًا: عضويته في جمعية تحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة:

تأسست الجمعية في شهر رمضان عام ١٣٨٢هـ وانضم رحمه الله للجمعية عام ١٣٨٧هـ، وصار عضوًا رسميًا فيها عام ١٣٩١هـ، واستمر في عضويته حتى عام ١٤١٧هـ، وهي الجمعية التي تعنى بكتاب الله، وتدرسه، والإشراف على المدرسين والحافظين لكتاب الله، وعمل البرامج، والتنظيمات اللازمة لذلك، وتقوم في كل عام بتكريم الحافظين في شهر رمضان المبارك في المسجد الحرام في حفل مشهود يحضره أمير مكة والعلماء والأعيان وكان ساحة الوالد رحمه الله يلقي كلمة الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي في كل عام.

سابعًا: عضويته في هيئة التوعية الإسلامية في الحج:

عين رحمه الله عضوًا في هيئة التوعية الإسلامية في الحج منذ تأسيسها عام ١٣٩٣هـ، وهي تقوم بمهام جليلة في الدعوة إلى الله عز وجل في هذا الموسم العظيم، موسم الحج الذي يفد فيه الناس من كل فج عميق إلى البيت العتيق، فتضطلع الهيئة بالتوعية والتوجيه والإرشاد، وإقامة الدروس، وإفتاء الناس وتبصيرهم بأحكام دينهم.

ثامناً: عضويته في مجلس الدعوة والإرشاد:

لما تشكل مجلس الدعوة والإرشاد في عام ١٤١٥هـ عين سماحته وهو الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي عضواً فيه، ومن مهام المجلس التخطيط والإشراف والتنفيذ والمتابعة لكل ما يتعلق بشؤون الدعوة، واعتماد البرامج والخطط لها، وتحديد صفات الدعاة، وطريقة اختيارهم، ومتابعة أعمالهم، كما يتولى المجلس ما يتعلق بالمساجد من الناحية التوجيهية، وتحديد صفات الأئمة والخطباء، والنهوض برسالة المسجد، وغير ذلك.

تاسعاً: عضويته في المجلس الأعلى لدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة: شارك رحمه الله في هذا المجلس بصفته أحد أعضائه البارزين، ويقوم المجلس بالإشراف والتوجيه والتخطيط والمتابعة لأعمال دار الحديث الخيرية، والتي كان يرأس مجلسها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، ثم من بعده سماحة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ، مفتي عام المملكة حفظه الله.

عاشراً: عضويته في الجمعية العامة لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية: عين رحمه الله عضواً في هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية التابعة لرابطة العالم الإسلامي منذ تأسيسها عام ١٤٢٣هـ، وهي هيئة عالمية تسهم في مساعدة المسلمين في كافة بقاع العالم، ومد يد العون للمنكوبين والمعوزين والفقراء والمساكين، وتسهم في بناء المدارس والمستشفيات وغيرها من الأعمال الخيرية.

المبحث السادس

جهوده الدعوية والخيرية

أولاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لساحته رحمه الله جهوده المعروفة في هذا الميدان، وقد زال على يديه بفضل الله تعالى الكثير من المنكرات والبدع، وتم تحصيل المعروف في كثير من المسائل، وكان رحمه الله حريصاً على النصح في السر، وعدم التشهير والإعلان لما يعمله، أو يفعله في هذا الميدان، وكان يكتب أو يشافه كثيراً من المسؤولين، كباراً وصغاراً، لإزالة منكر، أو إقامة معروف ونشره.

ثانياً: جهوده الخيرية:

كانت له رحمه الله جهود كبيرة، ودعم مستمر للمحتاجين من طلاب العلم وغيرهم، يقصده ويفد إليه لأجل ذلك الكثير من داخل المملكة وخارجها من مؤسسات تعليمية وجمعيات خيرية وأفراد، ولا ينقطع السائلون عنه رجالاً ونساءً في المسجد الحرام وفي بيته وفي مكتبه يعطي لكل واحد منهم بحسب استطاعته، ولا يكاد يرد أحداً ويقول مستشهداً: « إن للسائل حقاً ولو جاء على فرس »، ولم تقتصر جهوده الخيرية رحمه الله على الدعم المادي بل كان يشفع الشفاعات الحسنة الكثيرة، فهذا يريد علاجاً في مستشفى، وذاك يريد شفاة لعمل أو دراسة أو تزكية لجمعية، أو هيئة، أو مدرسة، أو غير ذلك من حاجات الناس، فكان يرحمه الله يشفع لكل من كان أهلاً لتلك الشفاة، وكان يصف كل فرد بما هو أهله، ويتقني ألفاظه وعباراته.

وقد جعل مجلسًا مفتوحًا للناس في بيته من بعد صلاة العصر من كل اثنين يستقبل فيه العشرات من الناس من أهل العلم والمسؤولين وعامة الناس، فمنهم المستشار، ومنهم المستفتي، ومنهم صاحب الحاجة، بالإضافة إلى جلوسه للناس في مكتبه برئاسة الحرمين الشريفين صباحًا وفي غرفته بالمسجد الحرام بعد صلاة التراويح في شهر رمضان وتخصيصه بعض الأوقات صباحًا لبعض الناس في منزله آخر الأسبوع.

وفي موسم الحج يفد إليه كثير من الناس من مختلف بقاع العالم للسلام عليه وإخباره بشؤونهم وأخبارهم وأحوال جمعياتهم ومدارسهم ومراكزهم، حيث زار رحمه الله الكثير من تلك المراكز والمدارس.

كما يفد إليه الكثير من الوزراء ورؤساء البعثات، وزاره أيضًا عدد من الرؤساء.

يقول معالي الدكتور صالح بن حميد إمام وخطيب المسجد الحرام: «مجلسه عامر بكل طبقات المجتمع، بل من كل أنحاء العالم الإسلامي، وقد زاد من ذلك ووثقه رحلاته العلمية والدعوية... فكان بيته عامرًا بالزوار من جميع شعوب العالم الإسلامي يدفعهم لذلك كرم الشيخ ولطفه وحسن استقباله ودمائة خلقه».

ويتحدث الدكتور عبد الرحمن المدخلي عضو هيئة التدريس بجامعة جازان عن هذا الجانب من سيرة الوالد رحمه الله، فيقول:

«لم يغفل عن إخوانه في شتى أرجاء المعمورة، في الداخل والخارج، يتفقدهم ويواسيهم ويزورهم ويتلمس احتياجاتهم، بكل صدر رحب

وتفانٍ، وأذكر هنا إحدى زيارات معاليه كبرهان على ما أقول.

ففي أحد أيام شهر ربيع الثاني من عام ١٤٠٧هـ كان معالي الشيخ على موعد مع سيدي الوالد الشيخ عمر بن أحمد جردي المدخلي - رحمه الله وغفر له - لزيارة منطقة جازان، ولما علم أهالي المنطقة بهذا الموعد تلهفوا لملاقة معاليه واشتاقوا لرؤيته، لما يكونونه لمعاليه من محبة واحترام، وكان الهدف من هذه الزيارة الاطلاع على سير العمل في جامع كبير تم إنشاؤه على نفقة الأميرة الجوهرة، بواسطة معالي الشيخ محمد السبيل، وإشراف مباشر من سيدي الوالد....

ولمعالي الشيخ محمد السبيل أعمال خيرية في جهاتنا غير ما ذكر....

وقد زار معالي الشيخ محمد منطقة جازان غير تلك المرة، فقد دعي للمشاركة في دورة الشيخ القرعاوي التي تُقام في منطقة جازان كل عام، منذ عام ١٤١٥هـ، فأجاب الدعوة وألقى عدة محاضرات ودروسا علمية وذلك في شهر ربيع الثاني من عام ١٤٢٢هـ، وقد استفاد طلاب العلم ومحبي الشيخ من علمه».

ثالثاً: المشاركة في البرامج الإذاعية:

كان له رحمه الله العديد من البرامج الإذاعية التي تسهم في نشر العلم الشرعي وتبصير الناس بأمور دينهم، منها برنامج (من هدي المصطفى ﷺ)، وبرنامج (من منهج التربية الإسلامية)، وبرنامج (من مشكاة النبوة)، وبرنامج (حديث الاثنين).

كما تم تسجيل القرآن الكريم كاملاً مرتلاً بصوته، ويبث عبر الإذاعة

والتلفاز.

وفي مطلع عام ١٤٢٠هـ رغب منه سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز ابن عبد الله بن باز (ت ١٤٢٠هـ) رحمه الله المشاركة في البرنامج الإذاعي اليومي (نور على الدرب) والذي يجيب فيه سبعة من العلماء على أسئلة المستمعين، وقال: إنه درس الموضوع مع أصحاب الفضيلة أعضاء اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، فرأوا جميعاً ترشيحه للإجابة على أسئلة المستفتين في هذا البرنامج المهم، فوافق الوالد على ذلك، واستمر مشاركاً في هذا البرنامج حتى عام ١٤٢٧هـ، حيث اعتذر رحمه الله عن الاستمرار فيه.

وكانت طريقته رحمه الله تتسم بالوضوح والتفصيل، والبعد عن التعر والتكلف، وكان يقول: هذا البرنامج أكثر المستمعين له هم من عامة الناس فهم بحاجة إلى التوضيح والتفصيل والبيان.

وكان رحمه الله يعتني بذكر الدليل، وتارة يشير إلى الخلاف في المسألة، مرجحاً أقوى القولين دليلاً، وربما أرشد السائل إلى أحكام أخرى تهمه في مسألته وقد جعل التيسير والتخفيف على الناس المبني على الدليل منهجاً يسلكه في فتاويه وترجيحاته، ويقرره في دروسه وكتبه.

يقول الدكتور محمد السعيد، عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى ومقدم الأسئلة على الوالد في برنامج (نور على الدرب):

« كان على منهج السلف الصالح ومن تبعهم من علماء الأمة، لا يعدل بالكتاب والسنة شيئاً ويجعل العقل تابعا لهما لا متبوعاً، وكذلك لا يعدل بالإجماع بعدهما شيئاً والقياس، ويعمل بالأدلة التي كان السلف من

العلماء الكبار رحمهم الله يعملون بهما من سد الذرائع، والاستصلاح، وغيرها من الأدلة، هذا فيما يتعلق بمنهجه في التلقي .

أما منهجه في أداء العلم: فقد كان في تأليفه يستصحب منهج المتقدمين في تأليفهم الذين يستحضرون الأدلة من الكتاب والسنة في المسألة الواحدة، يجمعون أطرافها، ثم يبنون أحكامهم عليها، وكذلك ينظر في أقوال الصحابة، ويتخير منها، أما التابعون رحمهم الله فقد كان يختار من أقوالهم، وربما اجتهد رحمه الله، ولكن اجتهاداته في الغالب لا تخرج عما روي عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله .

وقد كان الشيخ محمد السبيل رحمه الله من القلائل في عصره، الذين حفظوا مذهب الإمام أحمد بتمامه، سواء المختار منه والذي جاء في كتاب الروض المربع، وكتاب منتهى الإرادات، وكتاب كشف القناع.

كان في فتواه يحرص على التيسير على المسلمين، لكنه ذلك التيسير الذي لا يخرج عن الدليل، وقد كان رحمه الله يردد قول رسول الله ﷺ: « ما شاد الدين أحد إلا غلبه » .

فكان رحمه الله ينهج منهج اليسر، كما أنه كان يحرص على استيضاح حال السائل بدقة حتى لا يفتي في مسألة وليست هي مراد ذلك السائل .

أما عندنا تطرح عليه في الإذاعة، فكان رحمه الله يذكر الأحوال بمعنى أنه إن كان مراد السائل كذا وكذا فالجواب كذا، وإن كان كذا وكذا فالجواب كذا، وذلك حرصاً منه رحمه الله على ألا تفهم فتواه على وجه أو

على غير وجهه الصحيح»^(١).

رابعاً: الرحلات الدعوية والمحاضرات في الداخل والخارج:

كان له رحمه الله الكثير من المحاضرات الدعوية والدروس العلمية في كثير من مناطق المملكة.

كما قام رحمه الله بالكثير من الرحلات الدعوية خارج المملكة ابتداءً في عام ١٣٩٥هـ برحلة إلى جمهورية غينيا في زمن رئيس الجمهورية أحمد سيكتوري.

وكانت آخر رحلاته الدعوية في الخارج لليابان عام ١٤٢٤هـ.

وتزيد عدد رحلاته رحمه الله على مئة رحلة دعوية، لأكثر من خمسين دولة من دول العالم وهي:

(سلطنة عمان، المغرب، السودان، الكويت، الإمارات العربية المتحدة، الأردن، لبنان، الجزائر، مصر، سوريا، إيران، غينيا، مالي، نيجيريا، الكامرون، غانا، غامبيا، أثيوبيا، السنغال، جنوب أفريقيا، كينيا، ألمانيا، السويد، سويسرا، فرنسا، الدانمارك، فنلندا، أسبانيا، النرويج، بريطانيا، فنزويلا، تركيا، اليابان، روسيا، أوزبكستان، طاجكستان، هونج كونج، تايلاند، ماليزيا، أندونيسيا، الصين، المالديف، الفلبين، بنغلاديش، الهند، كشمير الحرة، وكشمير المحتلة، الباكستان، نيبال، سيرلانكا، كندا، المكسيك، الولايات المتحدة الأمريكية).

(١) مداخلة في البرنامج التلفزيوني (أهم عشرة)، رمضان عام ١٤٣٤هـ.

وفيما يلي بيان تفصيلي لبعض تلك الزيارات:

م	الدولة	تاريخ زيارتها
١	سلطنة عمان	١- شوال ١٤٠٥هـ ٢- شعبان ١٤٠٨هـ ٣- ١٤٢٢هـ
٢	المغرب	١- ١٤٠٠هـ ٢- رجب ١٤٠٧هـ ٣- شعبان ١٤١٣هـ
٣	السودان	شوال ١٤٠٩هـ
٤	الكويت	رجب ١٤١٢هـ
٥	الإمارات العربية المتحدة	جمادى الثاني ١٤٢١هـ
٦	الكاميرون	ذو القعدة ١٤٠١هـ
٧	غانا	١- رجب ١٤٠٨هـ ٢- شعبان ١٤٠٩هـ
٨	غامبيا	عام ١٣٩٦هـ
٩	أثيوبيا	١- رجب ١٤٠٨هـ ١- شعبان ١٤٠٩هـ ٢- رجب ١٤١٩هـ
١٠	السنغال	عام ١٣٩٦هـ

٢ - ١٤٠٠هـ		
٣ - جمادى الثاني ١٤٠٥هـ		
شعبان ١٤١٤هـ	جنوب أفريقيا	١١
عام ١٤١٤هـ	كينيا	١٢
شعبان ١٤٠٧هـ	كشمير الحرة	١٣
رجب ١٤٠٠هـ	كشمير المحتلة	١٤
١ - صفر ١٣٩٦هـ	الباكستان	١٥
٢ - شعبان ١٣٩٨هـ		
٣ - ربيع أول ١٣٩٩هـ		
٤ - ذو القعدة ١٣٩٩هـ		
٥ - محرم ١٤٠٥هـ		
٦ - ربيع أول ١٤٠٦هـ		
٧ - شوال ١٤٠٦هـ		
٨ - شعبان ١٤٠٧هـ		
٩ - رجب ١٤٠٨هـ		
١٠ - شعبان ١٤٠٨هـ		
١١ - ذو الحجة ١٤٠٨هـ		
١٢ - صفر ١٤١٣هـ		
١٣ - جمادى الأولى ١٤١٣هـ		
١٤ - شوال ١٤١٤هـ		
شعبان ١٤٠٥هـ	نيبال	١٦

١٧	غينيا	١- رمضان ١٣٩٥هـ ٢- ذو الحجة ١٣٩٧هـ ٣- ربيع ثاني ١٤٠٤هـ ٤- رجب ١٤٢١هـ
١٨	مالي	١- ربيع أول ١٤٠٠هـ ٢- ربيع أول ١٤٠٥هـ ٣- شوال ١٤١٥هـ
١٩	نيجيريا	١- شعبان ١٤٠١هـ ٢- ربيع أول ١٤٠٢هـ ٣- ربيع ثاني ١٤٠٦هـ
٢٠	بريطانيا	١- شعبان ١٤٠٢هـ ٢- شعبان ١٤٠٤هـ ٣- رجب ١٤٠٦هـ ٤- ربيع ثاني ١٤٠٩هـ ٥- صفر ١٤١٠هـ ٦- جمادى الأولى ١٤١١هـ
٢١	فنزويلا	شوال ١٤١٣هـ
٢٢	تركيا	محرم ١٤٠٨هـ
٢٣	اليابان	رجب ١٤٢٤هـ
٢٤	روسيا	صفر ١٤١١هـ
٢٥	أوزبكستان	صفر ١٤١١هـ

صفر ١٤١١هـ	طاجكستان	٢٦
محرم ١٤٠٥هـ	هونج كونج	٢٧
ربيع الأول ١٤٠٩هـ	تايلاند	٢٨
١- ذوالحجة ١٤١٠هـ ٢- ربيع أول ١٤١١هـ ٣- ربيع أول ١٤١٤هـ ٤- جمادى الأولى ١٤١٥هـ	ماليزيا	٢٩
جمادى الأولى ١٤١١هـ	أندونيسيا	٣٠
صفر ١٤٠٥هـ	المالديف	٣١
١- جمادى الأولى ١٤٠٣هـ ٢- جمادى الأولى ١٤٠٥هـ ٣- جمادى الأولى ١٤١٣هـ	بنجلاديش	٣٢
١- ربيع ثاني ١٤٠٠هـ ٢- رجب ١٤٠٠هـ ٣- ربيع أول ١٤٠٧هـ ٤- رجب ١٤٠٧هـ ٥- ربيع أول ١٤٠٨هـ ٦- ربيع أول ١٤٠٩هـ ٧- جمادى الأولى ١٤٠٩هـ ٨- رجب ١٤٠٩هـ ٩- رجب ١٤١٨هـ	الهند	٣٣

صفر ١٤٠٥هـ	سيرلانكا	٣٤
١- ذو القعدة ١٤٠٧هـ	الولايات المتحدة الأمريكية	٣٥
٢- عام ١٤١٧هـ		
٣- جمادى الأولى ١٤١٩هـ		
٤- عام ١٤٢٢هـ		

وقد التقى خلال هذه الرحلات بكبار علماء وأعلام العالم الإسلامي من الفقهاء والمحدثين والدعاة والمشايخ ورؤساء المراكز والجمعيات الإسلامية في مختلف دول العالم التي زارها.

كما التقى بعدد من رؤساء الدول الإسلامية وغيرها، منهم: أحمد سيكوتوري رئيس جمهورية غينيا، وبعده الرئيس الجنرال لانسانا كونتي، ومحمد ضياء الحق رئيس جمهورية باكستان الإسلامية، وغلان إسحاق خان رئيس جمهورية باكستان الإسلامية، ونواز شريف رئيس وزراء باكستان، وسردار عبد القيوم رئيس وزراء كشمير، وسردار اسكندر نجاة رئيس كشمير، والسلطان قابوس بن سعيد سلطان عمان، والملك الحسن الثاني ملك المغرب، والشيخ جابر الصباح أمير دولة الكويت، والشيخ سعد العبد الله الصباح ولي العهد الكويتي، وعبد الرحمن سوار الذهب رئيس جمهورية السودان، وحسن الترابي رئيس وزراء السودان، ورئيس وزراء إثيوبيا، والخميني مرشد الثورة في إيران، والجنرال موسى تراوري رئيس جمهورية مالي، والرئيس الفا عمر كوناري رئيس جمهورية مالي، والسيد إبراهيم كيتا رئيس الوزراء فيها، والسيد حسن موسى كمر رئيس جمهورية

غامبيا، ورئيس جمهورية نيجيريا، والحاج عثمان شيخو شغري رئيس الحكومة فيها، وملك ماليزيا، ورئيس جمهورية أوزباكستان، وشكر الله مير سعيد رئيس وزراء جمهورية أوزباكستان، وتركات أوزال رئيس الوزراء التركي، وأحمد أهيجو رئيس جمهورية الكاميرون، وعبو ضيوف رئيس السنغال، والرئيس ليوبولد سنقور رئيس السنغال، وغيرهم من الرؤساء والزعماء، بالإضافة إلى عدد كبير من الوزراء، ورؤساء المراكز والجمعيات في الدول التي يزورها، بالإضافة إلى شخصيات أخرى يجتمع بها من خلال المؤتمرات التي يشارك فيها في الخارج.

كما قام بعض هؤلاء الرؤساء بزيارته رحمه الله في منزله بمكة المكرمة، منهم: الرئيس أحمد سيكوتوري رئيس جمهورية غينيا، والرئيس ألفا عمر كوناري رئيس جمهورية مالي، والرئيس محمد رفيق طرار رئيس جمهورية باكستان الإسلامية، والشيخ صقر بن محمد القاسمي حاكم رأس الخيمة، ورئيس وزراء باكستان نواز شريف، ورئيس وزراء مالي عثمان أيسوفي ميغا، وغيرهم كثير من العلماء والأمراء والوزراء ورؤساء الجمعيات والمراكز الإسلامية والدعاة من مختلف دول العالم.

وكانت زيارته الدعوية تحظى باهتمام كبير في الدول التي يزورها ويجد حفاوة وترحيباً كبيراً على المستوى الرسمي والشعبي، وقد تحدث الباحث الشيخ / عثمان حسن كانه في رسالته للماجستير عن (واقع الدعوة

الإسلامية في غينيا) ^(١) وتحدث عن الزيارة الدعوية الأولى للوالد خارج المملكة لجمهورية غينيا عام ١٣٩٥هـ والزيارات بعدها لهذه الجمهورية وأثرها في الدعوة إلى الله في جمهورية غينيا، فيقول:

« زيارة فضيلة الشيخ محمد عبدالله السبيل (إمام وخطيب المسجد الحرام المكي الشريف) لجمهورية غينيا بناء على دعوة المسؤول الأعلى للشورة نظرًا إلى مشاعر الصداقة والأخوية الحارة التي كانت تربط بينه وبين المرحوم صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز في المملكة العربية السعودية قام فضيلة إمام المسجد الحرام بزيارة إلى جمهورية غينيا في الفترة من يوم الجمعة ٢٧ رمضان إلى يوم الاثنين ٧ شوال ١٣٩٥هـ الموافق ٣-١٣ أكتوبر ١٩٧٥م ^(٢) .

خلال إقامته في غينيا تمكن فضيلة الإمام بصحبة الأمين العام للحزب الديمقراطي الغيني من الاتصال بالمسلمين المناضلين وذلك حسب البرنامج التالي:

يوم الأحد ٢٩ رمضان ١٣٩٥هـ الموافق ٥ أكتوبر ١٩٧٥م (مدينة كمسارا، ومدينة بوكي، ومدينة فريا)، يوم الاثنين ٣٠ رمضان ١٣٩٥هـ الموافق ٦ أكتوبر ١٩٧٥م (مدينة تليملي، مدينة كنديا، ومدينة فور كاريا)، يوم الثلاثاء غرة شوال ١٣٩٥هـ الموافق ٧ أكتوبر ١٩٧٥م (عيد الفطر

(١) مطبوعات: رابطة العالم الإسلامي، المعهد العالي لإعداد الأئمة والدعاة والخطباء بمكة المكرمة، رسالة ماجستير عام ١٤١٥هـ، إشراف د/ محمد ظاهر أسد الله .

(٢) ينظر كتاب : زيارة إمام الحرم المكي الشريف، الشيخ محمد بن عبد الله بن محمد السبيل، مطبعة باتريس، لوموقبا كوناكري في نوفمبر ١٩٧٦م .

المبارك بمدينة كوناكري) يوم الأربعاء ٢ شوال الموافق ٨ أكتوبر ١٩٧٥م (مدينة نزر كورى، ومدينة فرانا)، يوم الجمعة ٤ شوال الموافق ١٠ أكتوبر (مدينة دابولا، مدينة دنغيراي، ومدينة بانكو) يوم السبت الموافق ٥ شوال الموافق ١١ أكتوبر (مدينة البديرا، ومدينة كسدغو، ومدينة ماستتا، ومدينة غيكدو)، يوم الأحد ٦ شوال الموافق ١٢ أكتوبر صلاة الظهر في مسجد كورونتين - كوناكري الأولى - وأخير يوم الاثنين ٧ شوال الموافق ١٣ أكتوبر (صلاة العصر في مسجد كوناكري الثانية).

وكان الشيخ محمد بن عبد الله السبيل إمام وخطيب المسجد الحرام بمكة المكرمة قد زار جمهورية غينيا ثلاث مرات^(١). كانت زيارته الأولى في آخر شهر رمضان ١٣٩٥هـ، وزيارته الثانية في أول شهر ذي الحجة ١٣٩٧هـ، وزيارته الثالثة في شهر ربيع الثاني عام ١٤٠٤هـ.

وكان الغرض من زيارته الأولى والثانية أداء صلاة عيد الفطر في الأولى وعيد الأضحى في الثانية وإلقاء المحاضرات الدينية والوعظ والإرشاد في كل مقاطعات غينيا السالفة الذكر حيث البرنامج كان معداً من قبل حكومة غينيا. وأما الغرض من زيارته الثالثة فكان ضمن وفد من المملكة العربية السعودية وبعض الوزراء وذلك لحضور افتتاح مسجد الملك فيصل في شهر ربيع الثاني عام ١٤٠٤هـ يوماً واحداً فقط حيث كان الوصول ليلة الجمعة والمغادرة ليلة السبت فتم حفل خطابي بعد صلاة الجمعة وقد ألقى وزير الخارجية السعودية الأمير سعود الفيصل كلمة

(١) قام الوالد رحمه الله بعد ذلك بزيارة رابعة لهذه الجمهورية عام ١٤٢١هـ.

مناسبة للافتتاح، وكذلك ألقى الشيخ محمد بن عبد الله السبيل خطبتي الجمعة وصلى بهم صلاة الجمعة، وكذا ألقى الرئيس أحمد سيكو توري كلمة بمناسبة الافتتاح واستمر الاحتفال إلى صلاة العصر وصلى الشيخ السبيل بهم صلاة العصر، وقد استفاد الرئيس الراحل سيكو توري من ارشاداته حيث يقول الشيخ السبيل إنه قد لاحظ الفرق بين زيارته الأولى والثانية لغينيا، ومن أهم الفروق أنه لاحظ أن مظاهر الشيوعية ظاهرة وشعاراتها كانت واضحة في أول زيارة كانت صورة لينين معروضة في الشوارع تمجيداً له؛ وأما في زيارته الثانية فلم ير أي أثر لهذه المظاهر ولقد طرحت هذه الصورة وقد أمر الرئيس الراحل بتشكيل المجلس الإسلامي للعمل بما ورد في خطب الشيخ ومواعظه من أحكام الشريعة وكان الرئيس أحمد سيكو توري يلازم الشيخ ملازمة تامة في زيارته الأولى والثانية ولا يفارقه إلا في وقت الراحة.

وكانت زيارته داخل غينيا بواسطة طائرتين عاموديتين صغيرتين يركب الرئيس مع الشيخ في إحدهما مع كبار المسؤولين وفي الأخرى المرافقون من العسكريين والإعلاميين وكان الرئيس يحضر كل الخطب والمواظ ولا يغيب عن واحدة منها، كما كان من اهتمام الرئيس فتح الحدود لجميع الدول المجاورة لاستماع خطب الشيخ ومواعظه بدون تأشيرة كما كانت وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة تنقل مواظ الشيخ مباشرة ويقول شهود العيان أن الرئيس الراحل كان يقدم للشيخ نعله^(١).

وأشير إلى بعض الأهداف والمقاصد لهذه الزيارات:

١ - بيان العقيدة الصحيحة، والتحذير من الشرك ووسائله، وبيانه لهدي النبي ﷺ وسنته، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، والدعوة إلى التمسك بها، والعرض عليها بالنواجد.

٢ - تحذيره من الفرق الضالة والمذاهب الهدامة التي وجدت في بعض الدول كالكاديانية وغيرها.

٣ - حرصه على بيان ما خص الله به هذا الدين عن سائر الأديان، وما خص الله به نبينا محمدًا ﷺ، والذي بشر به عيسى عليه السلام، ومذكور وصفه في التوراة والإنجيل وأنه رسول للناس أجمعين وهو رحمة للعالمين وأن شريعته ناسخة لجميع الشرائع ووجوب العمل بها وتحكيمها.

٤ - بيانه جهود العلماء المخلصين في خدمة هذا الدين حديثًا وفقهًا من الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة الإسلام وبيان فضلهم وصحة مناهجهم والتحذير من التنقص من قدرهم أو التعصب لأقوالهم وترك العمل بالدليل.

٥ - الحث على تكاتف جهود الجمعيات والمراكز والمدارس الإسلامية لتحقيق المقاصد الشرعية وتحسين صورة المسلمين، والحذر من الفرقة والاختلاف والتحزب.

٦ - حث الناس على العمل الجاد، والإخلاص فيه لعمارة الأرض وعزة الإسلام والمسلمين، مبيّنًا لهم حال الأنبياء صلوات الله وسلامه

عليهم، مذكراً بقول المصطفى ﷺ: « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير » وكان يحذرهم من الكسل والخمول، والالتكال على الغير، وتضييع الخيرات، والمصالح المتوفرة في بلاد المسلمين، كما ينبه رحمه الله على أهمية العناية بالجانب الاقتصادي للدولة؛ لأنه سبب في نهوضها بإذن الله، واستغناء أهلها، واستقلالهم في قراراتهم وسياساتهم.

٧ - دعوة المسلمين للتحلي بالأخلاق الإسلامية، والآداب الشرعية، وحثهم على حسن تعامل المسلم مع إخوانه المسلمين، بل ومع غير المسلمين عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣]، وقوله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المتحنة: ٨].

ومن أخباره وذكرياته رحمه الله في هذه الزيارات الدعوية والتي توضح بعض هذه الأهداف والمقاصد:

١ - في زيارته لباكستان في شهر ذي القعدة عام ١٣٩٩ هـ ألقى رحمه الله كلمة بحضور الرئيس محمد ضياء الحق حذر فيها سماحته من التعلق بالقبور والأولياء والصالحين والتوسل بهم واستدل بالآيات والأحاديث وبيان حال الصحابة والسلف وأنهم لم يفعلوا شيئاً من هذا بل كانوا ينهون عنه وقد حصل على أهل المدينة حروب ومضايقات من الجوع والقحط فلم يكونوا يذهبون إلى قبره صلى الله عليه وسلم وهو أفضل الخلق على الإطلاق ولم يتوسلوا به وإنما كانوا يلجأون إلى الله تعالى فكيف يتوسل مسلم بأحد من الصالحين وغيرهم !!.

٢ - في زيارته عام ١٣٩٦ هـ لجمهورية السنغال ألقى رحمه الله في

هذه الرحلة خطبة الجمعة في الجامع الكبير في داكار وقام بزيارة لمدينة تيقاون وتوجه ومن معه لمسجد المدينة. يقول الوالد رحمه الله: لما دخلنا المسجد لأداء تحية المسجد رأيت بناية في القبلة في وسط المسجد فقلت: ما هذه؟ فقالوا: إنه قبر الشيخ مالك سي فانصرفت وخرجت من المسجد، فقالوا: ما السبب؟ فقلت لهم: لا نصلي في مسجد فيه قبر، إسلامنا وديننا يمنعنا من ذلك، فقال أحد الحضور: الصلاة ليست لصاحب القبر، فقلت: نعم، ولكن نصلي لله في مكان آخر، ثم التفت الوالد على الشخص الذي رتب الزيارة وعاتبه على ذلك، ثم ذهب الجميع لمكان مجاور للمسجد وألقى سباحته كلمة كان موضوعها التحذير من مشابهة أهل الكتاب وذكر الأحاديث في ذلك وشرح حديث: « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ثم ذكر حقيقة دين الإسلام وبيان التوحيد والعبادة التي أمرنا الله بها ورسوله ﷺ.

٣ - في عام ١٣٩٦هـ قام بزيارة لجمهورية غامبيا وزار مدينة (إيركاما) وألقى في مسجدها محاضرة تكلم فيها عن التوحيد، وحذر من القاديانية، واستمرت قرابة الساعتين، وفي نهايتها قام الزعيم الديني لهم وشكر الشيخ على كلمته ونادى بأعلى صوته في الحضور: لا قاديانية بعد اليوم في غامبيا، وكرر هذا مرارًا، وكان هذا بتوفيق الله سببًا في رجوع المئات أو الآلاف منهم عن معتقد هذه الفرقة الضالة.

وكان مما حذر منه سباحته في زيارته هذه التصوف الذي كان منتشرًا في جمهورية غامبيا، وكان يحذر كثيرًا من أتباع المدعو إبراهيم إيناس والذي

يزعم أنه بمنزلة الرسول أو أنه هو محمد ﷺ لقيامه مقامه.

٤ - في عام ١٤٠٩ هـ سافر لجمهورية باكستان الإسلامية لحضور مؤتمر تطبيق الشريعة الذي دعا له رئيس الجمهورية محمد ضياء الحق، وألقى الوالد رحمه الله كلمة أكد فيها على أهمية تطبيق الشريعة وأورد النصوص الشرعية الدالة على وجوب ذلك ثم صلى بالناس الجمعة في مسجد الملك فيصل بإسلام آباد والتقى بعد الصلاة بفخامة الرئيس في منزله فأهداه مصححاً وقال: هذا كتاب الله، أدعو الله أن يوفقكم لتجعلوه دستوراً لبلادكم.

٥ - في عام ١٣٩٥ هـ قام سماحته بزيارة لجمهورية غينيا وكان من ضمن المدن التي زارها في جولته في الجمهورية مدينة كنيكان وألقى خطبة جاء فيها: إننا نطلب من فخامة الرئيس أحمد سيكوتوري أن يحكم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويسير على هذا المنهج لأنه الطريق المستقيم والطريق الأقوم وطريق النبي ﷺ والصدّيقين والصالحين.

ويقول الوالد رحمه الله: لما مررنا في طريقنا من المطار إلى مكان الاستقبال مررنا بعمارة كبيرة مكونة من عدة طوابق فالتفت عليّ فخامة الرئيس أحمد سيكوتوري وقال: إن هذه العمارة فندق وقد كان مكانها سابقاً شجرة كبيرة يقصدها الناس ويتبركون بها فأمرت بقطعها فشكرته على ذلك وأخبرته بفعل عمر رضي الله عنه عندما قطع شجرة الرضوان لما رأى الناس يقصدها فسر الرئيس بذلك كثيراً.

وبعد تلك الزيارة أمر الرئيس أحمد سيكوتوري بإنشاء وزارة مستقلة تعنى بالشؤون الإسلامية، فكانت بشرى للمسلمين هناك، وتبعته دول

أفريقيا، حيث أنشأت الكثير منها وزارات خاصة تعنى بالشؤون الإسلامية في بلادها.

٦ - في زيارته عام ١٤٠٠ هـ لجمهورية السنغال التقى سماحته برئيس الجمهورية ليوبولد سنقور (نصراني) والذي رحب بسماحته وأبدى إعجابه بالدين الإسلامي واللغة العربية وأخبر أنه قرر تدريس اللغة العربية في المدارس الرسمية قبل جميع الدول الزنجية في أفريقيا وأن أخته لما ذكرت رغبتها في دخول الإسلام شجعها على ذلك. وقد شكره سماحته وشرح له قوله تعالى: (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى).

وأهداه الوالد بعض الكتب التي تتحدث عن الإسلام باللغة الفرنسية وقال له: إننا نعرف أنك من أهل الفكر والثقافة، وأرى أن أنسب هدية لمن هذه صفته هي الكتب التي يسعد بها أمثالكم. وقام الرئيس بتقليد الوالد أعلى وسام في الدولة والذي يقلد عادة لرؤساء الدول.

٧ - في عام ١٣٩٦ هـ قام الوالد بزيارة لجمهورية غامبيا، والتقى فيها برئيس الجمهورية بالنيابة السيد حسن موسى كمر (والرئيس ونائبه مسلمين) وتحدث معه الوالد طويلاً وكان مما قاله: ما دام أننا مسلمون ونعترف بإسلامنا فلا يليق بنا أن نبقي قوانين الاستعمار عندنا بعدما أبعدها عن بلادنا وإن حكم الله ورسوله ﷺ هو غاية العدل والحكمة والمساواة ولا يكمل إسلامنا إلا بذلك فقال رئيس الجمهورية بالنيابة: نعم هذا هو الصحيح، وسنسعى لذلك.

٨ - في عام ١٤٠٠ هـ زار الوالد رحمه الله جمهورية مالي والتقى برئيس

الجمهورية الجنرال موسى تراوري. وفي هذه الزيارة صلى سباحته في مسجد الأسكياة صلاة الظهر ثم ألقى كلمة وموعظة للحضور بعدها ألقى الوالي سؤالاً عن القبض والإرسال في الصلاة وأيهما أولى؟ فأجاب رحمه الله ببيان أفضلية القبض وذكر الأحاديث الدالة على ذلك لا سيما ما ذكره الإمام مالك في الموطأ والحديثين اللذين ساقهما وبين أن ذلك من سنن الصلاة الفعلية وأن الصلاة صحيحة، ولو لم يقبض، إلا أن الأفضل القبض لثبوت السنة بذلك، ثم ساق كثيراً من سنن الأقوال والأفعال في الصلاة وأنه لا ينبغي الخلاف والشقاق والنزاع في مثل هذه المسائل الفرعية التي ليست من واجبات الدين وأن الواجب على المسلمين أن تتفق كلمتهم ويتعاونوا على البر والتقوى والدعوة إلى الله والتي هي أحسن وضرب كثيراً من الأمثلة في المسائل الخلافية التي كان بعض أهل العلم يراها وبعضهم لا يراها ولم يحصل بينهم جدال ولم يعب بعضهم على بعض، وقال سباحته: عليكم أيها المسلمون أن تتمسكوا بسنة نبيكم وأن تبتعدوا عن هذه الخلافات التي لا تجدي شيئاً بل ربما كانت سبباً للفرقة والاختلاف، ثم أفاض رحمه الله في الكلام على هذا الموضوع، والحث على اجتماع الكلمة، ولما خرج من المسجد ووصل إلى مقر الإقامة جاء الوالي وكثير من المرافقين وشكروا سباحته على هذا البيان والتوضيح وقالوا نرجو أن تكون هذه الكلمة حاسمة للخلاف المنتشر في هذه الجمهورية بسبب هذه المسألة.

وأذيع هذا الجواب في الإذاعة المحلية مراراً، وانتفع به الناس كثيراً بفضل الله تعالى.

وكان لهذه الزيارات بفضل الله ثمرات عديدة:

منها: دخول خلائق كثيرة في الإسلام، ورجوع كثير من أهل الضلالات والبدع للتمسك بالسنة والسير عليها. ومنها: إصلاحه بين المسلمين في بعض الدول التي زارها وانقطاع كثير من الفتن التي كانت فيها. ومنها: مشاركته في العديد من المؤتمرات الإسلامية في العديد من دول العالم، كان لها أثرها البالغ في بيان حقيقة الإسلام، وافتتاحه لكثير من المساجد والمدارس والمراكز والجمعيات الإسلامية في دول إسلامية وغير إسلامية، ودعمها وتوجيهها للتمسك بالمنهج الصحيح، وغير ذلك كثير.

ومن أخباره وذكرياته رحمه الله الموضحة لهذه الثمرات:

١ - في عام ١٤٠٥هـ حضر الاجتماع الذي عقد في مدينة بشاور بجمهورية باكستان الإسلامية لمدة أربعة أيام من يوم ١٨ / ١ / ١٤٠٥هـ لدراسة أحوال المجاهدين الأفغان ومحاولة تصفية العلاقات بينهم والتقى سماحته برئيس الجمهورية محمد ضياء الحق والدكتور محمد خالد وزير الأوقاف والشؤون الدينية في منطقة سراحند والشيخ سياف رئيس اتحاد الأفغان وغيرهم وألقى الشيخ خطبة الجمعة في حي المهاجرين المسمى حي دار الهجرة واستمرت الاجتماعات بمقر الهلال الأحمر السعودي ببشاور.

وقد كانت للمجاهدين عدة جمعيات ومنظمات تبلغ خمسين منظمة وأمر الرئيس ضياء الحق أن تدمج في سبع منظمات فقط، ثم دمجت جميعها في اتحاد واحد وجعل أميرهم عبد رب الرسول سياف لكنهم بعد ذلك اختلفوا عليه وتفرقوا.

٢ - في عام ١٤١٤هـ حضر سماحته المؤتمر الثاني لعلماء باكستان

حول قضية أفغانستان المنعقد في بيشاور والتقى في زيارته بالشيخ صبغة الله مجددي والشيخ يونس خالص والشيخ محمد نبي محمد وألقى الوالد في المؤتمر كلمة أثنى فيها على الجهاد الأفغاني ضد السوفييت، لكنه تأسف لما وقع بين قادة الأفغان من خلافات وأوصاهم بتقوى الله وجمع الكلمة ورافقه في هذه الزيارة معالي الشيخ صالح بن حميد إمام وخطيب المسجد الحرام، وعضو هيئة كبار العلماء.

وقد ناقش المؤتمر إمكانية إرسال وفد مصالحة إلى أفغانستان وقد حضر بعض جلسات المؤتمر الرئيس الأفغاني السابق صبغة الله مجددي وكان جميع الحضور للمؤتمر من علماء باكستان وأفغانستان ولم يحضر من الدول العربية أو الإسلامية الأخرى أحد سوى سماحة الوالد ومعالي الشيخ صالح بن حميد.

وقد تم إرسال برقية إلى الرئيس برهان الدين رباني ورئيس الوزراء قلب الدين حكمتيار طالبهم فيها رئيس المؤتمر سماحة الشيخ محمد السبيل باسم المؤتمرين وقف إطلاق النار وحقن دماء المسلمين.

٣ - في عام ١٤١٥ هـ قام سماحته بزيارة لجمهورية مالي على رأس وفد يضم في عضويته معالي الدكتور أحمد محمد علي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي حينذاك، ومعالي الدكتور محمد الخزيم نائب الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام، وغيرهم.

وتم في هذه الزيارة الالتقاء برئيس الجمهورية السيد ألفا عمر كوناري ورئيس الوزراء السيد إبراهيم كيتا وعدد من الوزراء.

وكان الغرض من الزيارة هو الإصلاح بين القبائل المتقاتلة، حيث يعاني شمال البلاد من القتال والسلب في صفوف القبائل الشمالية بين العرب والطوارق والسود في منطقة (أزواد)، وقد قتل في هذه الفتنة عدد كبير من النساء والأطفال، فسعى سماحته للإصلاح بينهم، والتقى بالكثير من زعماء القبائل والوجهاء، وسافر لعدد من المناطق، وألقى الكثير من الكلمات، واجتمع بالعديد من كبارهم، فانطفأت نار تلك الفتنة، واجتمعت الكلمة بينهم بتوفيق الله، وكان هذا الأمر محل ثناء وعرفان من الحكومة المالية.

يتحدث معالي الشيخ الدكتور صالح بن حميد إمام وخطيب المسجد الحرام عن هذه الزيارة التي كان لها الصدى الواسع لدى المهتمين بالشأن الإسلامي فيقول:

« ومن دلائل حكمته وفضله وثقة المسلمين فيه أنه قام عام ١٤١٥هـ، بزيارة إلى جمهورية مالي بدعوة من رئيسها ألفا عمر كوناري، وكان يرافقه في هذه الزيارة معالي الدكتور محمد أحمد علي -رئيس بنك التنمية الإسلامي-، وطلب الرئيس من الشيخ أن يقوم بجهود الصلح بين بعض القبائل هناك وكان قد أوشكت أن تقوم بينهما حرب أهلية، فما كان من الشيخ بتوفيق الله له ثم بحكمته وعلمه وحسن تصرفه إلا أن قام بجهود مباركة أثمرت عن قبول الصلح وحقن الدماء في ذلك البلد المسلم وحمد الناس له مساعيه المشكورة.

وما يحفظ للشيخ كذلك رحمه الله أنه قال في أحد لقاءاته لبعض

رؤساء الدول التي يتكون شعبها من مسلمين وغير مسلمين والبلد يسوده الهدوء والنظام والرئيس غير مسلم قال له الشيخ مذكراً ومنبهاً: إن العدل وملاحظة حقوق الناس والنظر إليهم بالسوية هو الذي يحقق هذا الهدوء والانتظام والرضا، أما الظلم والجور فإنه عدو الشعوب وعدو الاستقرار وكان لهذه الكلمات موقعها وأثرها على ذلك الرئيس كما قال الحاضرون، فرحم الله الشيخ ما أحكمه وما أعقله».

ويقول معالي الشيخ عبد الرحمن السديس إمام وخطيب المسجد الحرام:

« وقد عني - رحمه الله - بالرحلات الدعوية فلا تكاد تمر سنة إلا وله مشاركات في الدعوة إلى الله خاصة في باكستان والهند وجاليتها في أمريكا وأوروبا وغيرهما، وله عندهم مكانة مرموقة استثمرها في حبهم للحرمين وأئمتها وعلماؤها في نشر المعتقد الصحيح والمنهج القويم».

ويقول فضيلة الدكتور محمد المنيعي، عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى:

« يذكر لي فضيلة الوالد الشيخ سليمان المنيعي أنه رافق الشيخ في أكثر من عشرين رحلة، وكان الشيخ من محاضرة لمحاضرة، ربما الصباح ثلاث محاضرات، وبعد العصر محاضرة، وبعد المغرب، وبعد العشاء، فانا أصغر سنًا من الشيخ، ولكني لا أستطيع أتجاوب مع حضور كل هذه الجلسات.. رحلاته في الخارج أكسبته أن العلماء يتواصلون معه سواء عبر الهاتف أو غيره، ولا يأت وفد للعلماء من أنحاء الدول التي سافر إليها، إلا ولا بد من زيارتهم له في بيته، ومن زيارة له في مكتبه، ويهديم كتبًا من الرئاسة، ومن

مؤلفاته، ومما عنده»^(١).

ويضيف الدكتور سعيد أحمد، المدرس بالمدرسة الصولتية فيقول:

« كان رحمه الله تعالى أول أئمة المسجدين المنيفين من سافر خارج بلاد الحرمين الشريفين، كخير ممثل للإسلام، وعالمية هذا الدين، وخير قائم بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالحسنى، سافر إلى شرق العالم وغربه وإلى شماله وجنوبه، وإلى البلاد الإسلامية في آسيا وفي أفريقيا، وزار الأقليات المسلمة في أوروبا وأمريكا، حيث تقيم فيها الجاليات المسلمة المهاجرة من شبه القارة الهندية باكستان والهند وبنجلاديش، ومن البلاد العربية .

فكان سماحته في رحلاته خير نديم لرفقائه، وأفضل خطيب لمستمعيه، مطلع على أحوال من يخاطبهم، فتكون كلمته أنسب مقال للحال والمخاطبين، فإذا سافر إلى باكستان وكان كثير السفر إليها يحسبه أهله كأنه إمامهم، ومنهم، ومرشدهم، وخطيبهم، وعظيمهم الروحي، وإذا سافر إلى الهند كان حديثه يناسب حالهم، وما يعالج قضاياهم. سافر الشيخ محمد السبيل إلى كشمير فلم ينس قضيتهم، ونصرتهم بالدعوة، والدعاء إلى آخر خطابه وخطبته، وإذا سافر إلى بلاد الغرب لزيارة الأقليات المهاجرة من إخوانه المسلمين، فكان خير ناصح وواعظ لهم، يحثهم على الثبات على دينهم، و التمسك بتقاليدهم .

(١) مداخلة في البرنامج التلفزيوني (أهم عشرة)، رمضان عام ١٤٣٤ هـ.

وكان يشارك في المؤتمرات والندوات العالمية، وشارك عدة مرات معنا في مؤتمراتنا حول عقيدة ختم النبوة، والرد على مدّعى النبوة كذبًا، وألف في موضوع ختم النبوة تصنيفًا لطيفًا، وكان كثير الاهتمام بهذه القضية».

* * *

المبحث السابع

وفاته وثناء العلماء عليه

أصيب رحمه الله بالتهاب رئوي، وضعف في القلب دخل على إثره مدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بجدة وذلك يوم السبت ٥/٧/١٤٣٣هـ وبقي في قسم العناية المركزة مدة سبعة أشهر، حيث وافته المنية فيه بعد صلاة العصر يوم الاثنين ٤/٢/١٤٣٤هـ.

وقد صدر عن الديوان الملكي البيان التالي: « انتقل إلى رحمة الله تعالى هذا اليوم الاثنين الموافق ٤/٢/١٤٣٤هـ فضيلة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل، وسيصلى عليه إن شاء الله بعد صلاة عصر يوم غد الثلاثاء الموافق ٥/٢/١٤٣٤هـ في المسجد الحرام بمكة المكرمة، وفضيلته رحمه الله كان إمامًا وخطيبًا في المسجد الحرام، وسبق أن عمل رئيسًا عامًا لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، وعضوًا في هيئة كبار العلماء، وعضوًا في المجمع الفقهي الإسلامي، تغمده الله بواسع رحمته ومغفرته، وأسكنه فسيح جناته، إنا لله وإنا إليه راجعون ».

وقد صُلي على سماحته بعد صلاة العصر من يوم الثلاثاء ٥/٢/١٤٣٤هـ في المسجد الحرام، وأمّ المصلين معالي الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب المسجد الحرام وعضو هيئة كبار العلماء، حضر الصلاة عليه سماحة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان عضو هيئة كبار العلماء، ومعالي الشيخ عبد الرحمن الكلية عضو هيئة كبار العلماء، ومعالي الشيخ عبد الرحمن السديس إمام وخطيب المسجد الحرام والرئيس العام

لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، ومعالي الشيخ عبد العزيز الفالح نائب الرئيس العام لشؤون المسجد النبوي، وفضيلة الشيخ عبد الرحمن العجلان المدرس بالمسجد الحرام وفضيلة الشيخ محمد العجلان المدرس بالمسجد الحرام، ومعالي الدكتور محمد بن ناصر الخزيم نائب الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام، وأصحاب الفضيلة أئمة المسجد الحرام: الشيخ صالح آل طالب، والشيخ الدكتور خالد الغامدي، والشيخ الدكتور ماهر المعيقلي، والشيخ الدكتور عبد الله الجهني، وعدد كبير من العلماء والأعيان، وجمع غفير من المصلين وكان يوماً مشهوداً، وجنازة مهيبة، ودفن رحمه الله بمقبرة العدل بمكة المكرمة.

وقدم خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز وسمو ولي عهده الأمير سلمان بن عبد العزيز تعازيها في اتصال هاتفي بأخي عبد الله، كما قام أمير منطقة مكة المكرمة الأمير خالد الفيصل بتقديم التعازي لأبناء الفقيد في منزل الشيخ رحمه الله.

وعزى الأمة الإسلامية بفقده من منبر المسجد الحرام معالي الشيخ الدكتور عبد الرحمن السديس إمام وخطيب المسجد الحرام والرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي في خطبة الجمعة ٨ / ٢ / ١٤٣٤ هـ قائلاً: «اللهم أحسن عزاء الأمة الإسلامية في فقيدها، فقيدها، فقيدها، فقيدها، اللهم اغفر له، وارحمه، وعافه، واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الذنوب والخطايا، كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وجزاه بالحسنات إحساناً، وبالسيئات عفواً وغفراناً، اللهم أمطر

على قبره شآبيب الرحمة والرضوان، والعفو والغفران، وأعلي منزلته في عليين، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واحشره ووالدينا وولاتنا وعلماؤنا والمسلمين أجمعين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا».

وقد أدى المسلمون في عدد من دول العالم العربي والإسلامي وغيرها صلاة الغائب على الفقيد بعد صلاة الجمعة.

وقد تتابع ثناء الناس والله الحمد على الوالد رحمه الله قبل وفاته، ولا زال ثناء الناس عليه بعد وفاته رحمه الله مستمرا متواصلًا، والناس شهود الله في أرضه، وقد جاء في الحديث: « مروا بجنائز فأتوا عليها خيرا فقال النبي ﷺ: وجبت. ثم مروا بأخرى فأتوا عليها شرا فقال: وجبت، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجبت؟ قال: هذا أثنتم عليه خيرا فوجب له الجنة، وهذا أثنتم عليه شرا فوجب له النار، أنتم شهداء الله في الأرض » رواه البخاري.

ومن ثناء العلماء والأعلام، والمشايخ الكرام، والوزراء والمسؤولين على سباحته رحمه الله:

ما قاله أمير منطقة مكة المكرمة سمو الأمير خالد الفيصل عند تقديمه العزاء لأبناء الفقيد في منزل سباحة الوالد رحمه الله:

« أنقل لكم تعازي خادم الحرمين الشريفين، وولي العهد الأمين في رحيل الشيخ الجليل والإمام الكبير محمد السبيل، الذي كان منارة للعلم، ومثالا للوسطية، والاعتدال، أحب الناس فأحبه، وكان مثالا للإمام

الصالح، خلق له مكانة عظيمة في نفوسنا جميعاً بدمائة خلقه، ولا يمكن لأي إنسان عمل معه إلا وأحبه، وهو من الرجال الذين نعتز بهم ونفخر بمثلهم في المجتمعات المباركة، والمجتمع في أصله قام على مثل هؤلاء الرجال وهذه النماذج المشرفة الذين نصروا الله ودين الله فنصرهم الله تعالى، كان -رحمه الله- يضع يده في أيدي ولادة الأمر بالتعاون على البر والتقوى فهم مثال للإخلاص» (صحيفة المدينة ٧/٢/١٤٣٤هـ).

وقال ساحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ مفتي عام المملكة:

« فقدنا عالماً فاضلاً من علماء المسلمين وفضلائهم، وقد أم الحرم لأكثر من أربعين عاماً، وكان فيه نعم العالم الفاضل، والإمام الحريص، عرف عنه رحمه الله الأمانة والخلق والتقوى والصلاح والطهارة، والنقاء والفضل، فهو رجل علم وصلاح وفضل».

وقال أيضاً: « رحل الشيخ محمد بن عبد الله السبيل عن الدنيا بعد أعمال جليلة من إمامة الحرم المكي الشريف، والخطابة، والصلاة، والجمع، والفروض، مؤدياً واجباً كبيراً، متصفاً بالخلق الفاضل، والسمت الحسن، والأدب العالي رحمه الله... ومعروف عنه الاتزان والثبات في القول والعمل، ولم ينقل عنه شيء مخالف، وكان يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة». (صحيفة الجزيرة ٦/٢/١٤٣٤هـ).

وقال ساحة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان عضو هيئة كبار العلماء:

« كان كثير الخير في عبادته ونصحه وإرشاده وعقله رحمة الله عليه... كان نعم الرجل في عقله وتعامله مع الناس...، درست عليه شهراً، وسافرت للرياض، وهو فصيح اللسان، شاعر يجيد الشعر، وينظم الشعر، وكان يُدَرِّس ابن عقيل في النحو». (تسجيل صوتي بتاريخ ٤/٢/١٤٣٤هـ).

وقال معالي الشيخ الدكتور صالح بن حميد إمام وخطيب المسجد الحرام وعضو هيئة كبار العلماء:

« فقدت الأمة العالم المسند الفقيه الإمام معالي الشيخ محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز السبيل، رحمه الله وغفر له، الذي أم الناس في بيت الله ما يقرب من ٤٥ عاماً، وعضو هيئة كبار العلماء، وعضو المجمع الفقهي الإسلامي ورئيس الحرمين الشريفين. فقد عرف الشيخ - رحمه الله - عالماً راسخاً في علمه، ونبيلاً راقياً في أدبه وحسن تواصله وإحسانه، وتخلقه بأداب الشريعة وسمت حملتها، حمل العلم فتعلم وعلم، واستبطن الخلق فتأدب وأدب...»

وكان رحمه الله مسنداً ومجيزاً للمرويات الحديثية والمدونات العلمية، وممن درس عليه الشيخ صالح الفوزان عضو هيئة كبار العلماء، والشيخ عبد الرحمن الكلية رئيس المحكمة العليا، والشيخ مقبل بن هادي الوادعي المحدث اليمني المعروف - رحمه الله رحمة واسعة...»

وقد استمر في الإمامة والخطابة في المسجد الحرام ما يقرب من ٤٥ عاماً.

الشيخ - رحمه الله - في كل ما تولاه من أعمال وتعليم ودعوة وإدارة

وتوجيه كان متأنياً في قراراته، متروياً في إجراءاته، يعالج الأمور بحكمة سالكاً مسالك الوسطية، حريصاً على كسب الرضا، وحفظ الود، ولا سيما العاملون معه، حَسَنَ الإنصات في علم وصبر وأناة وحكمة...

ومجلس الشيخ رحمه الله عامر بكل طبقات المجتمع بل من كل أنحاء العالم الإسلامي، وقد زاد من ذلك ووثقه رحلاته العلمية والدعوية، فالشيخ - رحمه الله - يكاد يكون جاب أرجاء العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه فزار المراكز الإسلامية والمدارس الدينية والأقليات الإسلامية وتوثقت بتلك الزيارات العلاقات.

والشيخ - رحمه الله - عالم متمكن في علوم الفقه والتوحيد والعربية وآدابها، والشيخ يحفظ من عيون الشعر وغرر القصائد ونوادر القصص والملح ما يعكس علم الشيخ وفقهه وفضله وظرفه وحسن حديثه وأنس مجلسه.

كما أنه سريع الاستحضار للأدلة والشواهد، وجلس الشيخ لا يمل، فمجلسه مجلس علم وفقه وأدب فيه النوادر الفقهية والملح الأدبية والمقطعات الشعرية.

وقد خلف - والله الحمد - ذرية صالحة فيهم طلبة علم متمكنون حملة لكتاب الله، وفيهم أصحاب مسؤوليات في الدولة كبرى، زادهم الله صلاحاً وإحساناً وتوفيقاً». (صحيفة الشرق الأوسط ١١ / ٢ / ١٤٣٤هـ).

وقال فضيلة الشيخ عبد الله المنيع عضو هيئة كبار العلماء:

« رحيل الشيخ السبيل خسارة للأمة، فقد كان من أهل العلم الغزير

الواسع مع الأخلاق الحميدة والتواضع والأناة». (صحيفة الجزيرة ٦/٢/١٤٣٤هـ).

وقال معالي الشيخ عبد الرحمن السديس إمام وخطيب المسجد الحرام والرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي:

« لقد فقدت الأمة الإسلامية بوفاة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل عالماً من علمائها الذين اشتهروا بالتواضع ولين الجانب وحسن الخلق والعلم الواسع، عالماً عاملاً، قضى في محراب المسجد الحرام ومنبره أكثر من أربعين عاماً، إماماً وخطيباً ومدرساً لطلاب العلم في حلق المسجد الحرام، وكان - رحمه الله - واسع العلم، ثاقب الفكر، قليل الكلام، وإماماً مشهوداً له بالفضل، يلتقي بجميع من يريد مقابله، وينظر في حاجاتهم، فيقضيها إن كانت في يده، ويشفع شفاعات حسنة لدى الآخرين... وقد استقبل العالم الإسلامي نبأ وفاته بالحزن العميق، وكم هي الاتصالات والتعزيات التي تلقتها الرئاسة من مديري الجمعيات، والمراكز الإسلامية في شبه القارة الهندية، وأوروبا، وجنوب أفريقيا، وغيرها... »

كان بمثابة الوالد الحاني والمعلم الباني، وهو مدرسة في العلم والفضل والحكمة وحسن الخلق وموسوعة في معارفه وآدابه وحسن معشره وملاطفته، وكان محل تقدير ولاة الأمر والعلماء؛ لما حباه الله من مزايا.

كان شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز يجله ويعتبره مرجعية معتبرة في مكة المكرمة لعلمه وفضله، وهو بحر في الفقه لاسيما فقه الحنابلة، وقد نلت

شرف التدريس في الحرم في عهده المبارك ووجدت منه التشجيع والدعم الكبير، وسعى لي ولزملائي الأكارم في وجود خلوات في الحرم تعين على راحة الإمام وقيامه بمسؤوليته، وقد عني بمعهد الحرم وكان من أساطينه وأعمدته ورموزه، وقد أفدت من مجالستي له كثيرًا فهو كتاب مفتوح ومدرسة متميزة لا تمل مجالسته ولطف معشره، جمع الله له بين العلم والعقل والأدب والخلق وحب الناس له.

وقد عني بالرحلات الدعوية فلا تكاد تمر سنة إلا وله مشاركات في الدعوة إلى الله خاصة في باكستان والهند وجاليتينها في أمريكا وأوروبا وغيرهما، وله عندهم مكانة مرموقة استثمرها في حبه للحرمين وأئمتها وعلماؤها في نشر المعتقد الصحيح والمنهج القويم، وهو أديب متمكن وأريب بارع وما مرثيته الشهيرة في ساحة الشيخ عبد الله بن حميد إلا دليل على علو كعبه في الشعر والأدب، وله مؤلفات كثيرة وإسهامات في أبحاث المجمع الفقهي، كما كان هو ومعالي الدكتور صالح بن حميد - حفظه الله - يمثلان لي مدرسة نهلت منها في مجالات شتى خاصة إبان قدومي إلى مكة المكرمة، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

وكنت مع أخي الصديق الصفي والخل الوفي ابنه الدكتور عمر نفيد منه كثيرًا في فنون متعددة، فرحمه الله رحمة الأبرار، وأمطر على قبره شآبيب الرحمت الدرار». (صحيفة المدينة ٧ / ٢ / ١٤٣٤هـ).

وقال معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي:

« كان لي أخًا وزميلًا وصديقًا... كان يسعى إلى حل أي إشكال يحدث، وكان هو المدرس الذي جمع مع العلم العمل، البشاشة في الوجه

وحسن البهجة. وكان على ذلك محبًا للبحث العلمي حريصًا على جمع الفوائد والكتب، أما في حب النادرة والغوص على النكتة الرصينة فإنه كان المثال الجيد على ذلك، إذ كان يحفظ شعرًا كثيرًا من شعر المتقدمين ويتذاكر فيه ويستشهد به مع زملائه، وله إلى جانب ذلك شعر جيد نقلت منه ما يكفي في معجم أسر البكيرية الذي لا يزال مخطوطًا... كان كثير الاستحضر للنصوص، وكان الذي يجلس معه لا يعدم من فائدة علمية يكتسبها، أو نكتة برئية يضحك لها، أو معلومة قيمة يستفيدها. وكان يهتم بمعرفة كتب العلماء القدماء، ويحرص على الاطلاع على ما لم يكن قد اطلع عليه» (صحيفة الجزيرة ١٢ / ٢ / ١٤٣٤هـ).

وقال معالي الشيخ الدكتور علي بن عباس الحكمي عضو هيئة كبار

العلماء:

« كان علمًا بارزًا من أعلام الأمة وعلمائها، فسيفقده البيت الحرام، والركن، والملتزم، والحجر، وحلق الذكر، كما ستفقده مجامع الفقه والعلم، وجمعيات الإحسان والبر » (صحيفة المدينة ٥ / ٢ / ١٤٣٤هـ).

وقال فضيلة الشيخ علي بن عبد الرحمن الحذيفي إمام وخطيب

المسجد النبوي:

«فقدنا علمًا من أعلام الحرمين، وركنًا من أركان العلم، وإحدى المدارس التي تخرج منها الكثير من طلبة العلم، بحكم تدريسه للتوحيد والتفسير والفقه وأصوله والفرائض والنحو والبلاغة والعروض والقوافي، ويعتبر واحدًا من أعلام التوحيد، ومن رموز الدين، فقد أم المصلين في

المسجد الحرام في مكة المكرمة لأكثر من ٤٥ عامًا، ولا نركيه على الله، من المجتهدين في الدين، والمدافعين عن أمتهم وعقيدتهم» (صحيفة عكاظ ١٤٣٤هـ / ٢ / ٥)

وقال فضيلة الشيخ الدكتور أسامة بن عبد الله خياط إمام وخطيب المسجد الحرام:

« كان رحمه الله تقبل عليه، فيلقاك هاشًا باشًا بأحسن لقاء، وأجمل عبارة، وتصغي إليه، فتجد في كلامه نصحاء رفيقًا، وإرشادًا، وتوجيهًا، حكيماً مسددًا، مستلهمًا من هدي خير الورى صلوات الله وسلامه عليه القائل: عليكم بالرفق في الأمر كله، فإن الرفق ما كان في أمر إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه. ومثل هذا النصح المسدد الكريم لا ريب في طيب وحسن موقعه من النفس، ولا ريب أيضًا من دوام وبقاء أثره كذلك، وكان رحمه الله متصفًا بأحسن الصفات وأجملها من سلامة الصدر، وحسن الخلق، ولين الجانب، وحب الإحسان إلى عباد الله: ببذل المعروف والسعي إلى الإصلاح والإكرام لهم، وكثرة التودد إليهم». (صحيفة المدينة ١٤٣٤هـ / ٢ / ٦).

وقال فضيلة الشيخ صالح بن محمد آل طالب إمام وخطيب المسجد الحرام:

« وفاته خسارة للأمة؛ لأنه أحد الأعلام في الأمة، وقدم خدمة كبيرة طوال حياته في نشر العلم والإفتاء والدعوة إلى الله تعالى». (صحيفة عكاظ ١٤٣٤هـ / ٢ / ٥).

وقال فضيلة الشيخ صلاح البدير إمام وخطيب المسجد النبوي:

«فقدنا رجلاً من رجال الدين وعلماً بارزاً ومعلماً مخلصاً لدينه وأمته، تخرج على يديه رحمه الله الكثير من طلبة العلم... وهو من المخلصين المجاهدين في دينهم... وهو مدرسة عظيمة، درس بها الكثير من طلاب العلم الذين يحتلون اليوم الكثير من المنابر الدينية، فلقد علا منابر المسجد الحرام، وكان رمزاً من رموز الحرمين الشريفين، ولن يُنسى، بل ستبقى سيرته عاطرة على مر العصور والأجيال» (صحيفة عكاظ ٥/٢/١٤٣٤هـ).

وقال معالي الدكتور محمد بن ناصر الخزيم نائب الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام:

«عالم من علماء الأمة، تقي، ورع، ذو أخلاق رفيعة، ومناقب عالية، وتواضع جم... سماحته من رواد التعليم الأوائل ذوي الأثر الطيب والتأثير الملموس، وقد أحبه طلابه رحمه الله وكانوا يتنافسون إلى حضور دروسه دون كلل أو ملل وذلك لغزارة علمه وحسن أسلوبه وقدرته على إيصال المعلومة وبشاشته وسماحته... في المجالس يفسر ويحدث ويفتي ويروي الجيد من الشعر وأمثال العرب والقصص الهادفة، موفق في اختيار الشواهد أثناء حديثه من القرآن الكريم والسنة المطهرة أو الشعر أو الحكمة، فيشد السامع إليه بحسن عبارته، وبراعة استهلاله وحسن انتقاله من فكرة إلى أخرى، فهو عالم ومرجع في علوم شتى، منها علوم القرآن والحديث والفقه والفرائض وعلوم اللغة العربية.

وليس على الله بمستكثر أن يجمع العالم في واحد

وهو محبوب لدى الجميع... أحسن رحمه الله القيادة، وحزم أمر الإدارة، وتميز في رئاسة الحرمين الشريفين، وطور العمل فيها، فتحقق في وقته بدعم خادم الحرمين الشريفين الشيء الكثير في الحرمين الشريفين « (صحيفة الجزيرة ٦ / ٢ / ١٤٣٤ هـ).

وقال الدكتور سامي خياط عضو هيئة التدريس بجامعة شقراء:

« سخر راحلنا رحمه الله نفسه وماله وجاهه ووقته وجهده وسعيه في خدمة العلم والشأن الإسلامي والأعمال الخيرية العديدة كإدارة الأوقاف ودعم جمعيات تحفيظ القرآن الكريم ومساعدة العلماء وطلاب العلم من مختلف دول العالم.

كان شيخنا الراحل عالماً ربانياً، ومربيًا قديرًا، تقيًا زاهدًا ورعًا، محبًا للعلم ومجالاً للعلماء وطلاب العلم في كل مكان، نقي السريرة، صدح بصوته الشجي بالقرآن الكريم في جنبات المسجد الحرام وأروقته في إمامته نحوًا من نصف قرن من الزمان « (صحيفة الوثائق الإلكترونية ٧ / ٢ / ١٤٣٤ هـ).

وقال الشيخ رويح السلمي مستشار الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي:

« كنت قريبًا من الشيخ محمد السبيل إبان عمله في الرئاسة حيث عملت معه قرابة ٢٥ عامًا، وكان يتميز بحسن الخلق، فهو محبوب من الجميع... فرغم مشاغله الكثيرة في رئاسة شؤون الحرمين إلا أنه كان

محافظةً على إلقاء دروسه في المسجد الحرام، ومشاركًا في المحاضرات، وكان يوصيًّا في العمل باللين والصبر واحتساب الأجر والمثوبة من الله في أعمالنا على الرغم من مشاق العمل إلا أنني لا أذكر أنه تكلم على أحد، فكان يعالج الأمور بكل حكمة وبابه مفتوح للجميع، الصغير والكبير.» (صحيفة عكاظ ٥/٢/١٤٣٤هـ).

وقال الدكتور / عبد الرحمن بن عمر المدخلي عضو هيئة التدريس بجامعة جازان:

« فجع العالم الإسلامي بوفاة أحد علمائه الكبار الذين جمعوا بين العلم والحكمة والوقار والبساطة، وخلق الحسن الجميل ممن ألقى له القبول في الأرض، فقد أحبه القاصي والداني... عالمنا الذي فقدناه هو المحدث الفقيه الخطيب الأديب الأريب العالم الكبير معالي الشيخ محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز آل عثمان الملقب بالسبيل الذي طالما سمعنا صوته بكلام الله العزيز بجوار الكعبة المشرفة ينساب في جنبات المسجد الحرام وأروقته في صلاة الفجر والعشاء، وفي الجمعة والعيدين وغيرها وفي صلاتي التراويح والقيام، حينما كان يجيئها بصوته الرخيم، ونبرته الخاشعة وحفظه المتقن. كان شيخنا ذا أخلاق عالية وتواضع جم، وأدب رفيع، واهتمامات متنوعة كما شأن العلماء الكبار...» (صحيفة الشرق ١٧/٢/١٤٣٤هـ).

وقال الشيخ محمد بن عبد الرحمن آل إسماعيل:

« فقدت الأمة حلقة من حلقات السلف الصالح، فلقد كان أنموذجًا

للعالم القدوة بعمله ومعاملته، وما عرفه أحد أو التقى به مرة واحدة إلا وأثنى عليه... عرفه أهل مكة وعرفه غيرهم بتواضعه وكرمه ونخوته وإحسانه الظن في المسلمين وهذه مناقب جليلة اختص بها الله الأولياء، فهو رحمه الله يكره التصنع وإظهار العظمة، فقد عافاه الله وسلمه.. أما علمه فهو غزير ومتواصل استعان به واستفاد منه طلاب العلم في الكليات وما فوقها... كان الشيخ ابن سبيل يكره الكلام في الناس والعلماء خاصة ولا يشهر بأحد بل كان يجب جمع الكلمة، خطبه تجدها لها صدى لدى كل من سمعها يبحث عن معاذير لمن تزل قدمه إلا ما يتعلق بحقوق الناس وأبعد ما يكون عن تصنيف العلماء ينبذ النامين والمتسلقين والوشاة بفطرته الصافية فأين لنا بمثله وما لنا إلا الصبر وأن نعزي أنفسنا ونعزي أولاده وأسرته ومحبيه وإنا لله وإنا إليه راجعون» (صحيفة الجزيرة ٢٩/٢/١٤٣٤هـ).

وقال الدكتور عبد الله فدعق:

« فقيدنا الراحل واصل الناس جميعاً، كان حسن الاستماع، يناقش بأدب ويجادل بالحسنى ويتواضع، ميزه الله بالفهم الكبير لمفاهيم الناس المتعلقة بمعتقداتهم وآرائهم واجتهاداتهم.. تميز بعدم الاهتمام بالإشكاليات الدينية، ولذا لم يضمنها خطبه الجمعية العامة أو أحاديثه الإذاعية، أما أبحاثه العلمية الخاصة فقد كان يطرح فيها مفاهيمه بكل تجرد، ومن ذلك كتاب (ثلاث رسائل فقهية)...» (صحيفة الوطن ٩/٢/١٤٣٤هـ).

وقال الدكتور / عبد الله محمد حريري الأستاذ بجامعة أم القرى:

« هذا الإمام العالم الفاضل الورع التقي الذي تربى وربى أبناءه ومن حوله على التواضع وحب الخير وإسداء المعروف وخدمة الناس وعدم

التواني في ذلك، لا يراوغ ولا يسوف ولا يباطل ولا يتذرع بحجج عن خدمة الناس إن استطاع ذلك، هذا الإمام العالم كان محباً للعلماء ويقدرهم فعند وفاة فضيلة الشيخ عبد الرحمن الشعلان جاء لصلاة الفجر وتقدم للإمامة لصلاة الميت على فضيلته وسار مع جمع المشيعين. كما أم المصلين لصلاة الميت على فضيلة السيد محمد علوي المالكي وشيع جنازة فضيلة الشيخ طه البركاتي إلى مثواه الأخير، إمام عالم أحب مكة وأهلها حباً جماً فأحبوه، يواسي فقيرهم ويلبي الدعوات، ويحضر أحزان وأفراح أهل هذه المدينة المباركة. له المكانة العليا لدى القيادة في إسداء النصح وتقبلهم منه ذلك، والمقام لا يسمح في سرد تلك المواقف العظيمة « (صحيفة الرياض ١٢/٢/١٤٣٤هـ).

وقال الدكتور / سعيد أحمد عناية الله الأستاذ بالمدرسة الصولتية:

« فقدت الأمة الإسلامية العالم الجليل والفقير البارز علماً من أعلام أمتنا المجيدة نموذج السلف وقدوة للخلف خصوصاً لأئمة الحرمين الشريفين، وهو ساحة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل رحمه الله، كان ساحة الشيخ غزير العلم، وفير الحلم، وسيع الاطلاع، خبيراً بأحوال الأمة، مهتماً بشؤونها، حريصاً في حل قضاياها، كما كان خير ممثل للمنهج الوسط الذي يمتاز به علماء خير أمة أخرجت للناس... وكان يكرم ويحترم الأشخاص والجماعات والحركات التي كانت قائمة بعمل الدعوة إلى الله فيزورهم في مساجدهم ومراكزهم في بلادهم، كما كان يرحب بهم في هذا البلد الحرام حينما يأتون إليها بكل ترحاب وسعة صدر حتى ويضيف

معظمهم في منزله « (صحيفة الاقتصادية ١٨ / ٢ / ١٤٣٤ هـ).

وقالت صحيفة الشرق الأوسط:

« استقبلت جموع غفيرة نبأ وفاته بالدموع وهي تأمل أن تسعفها أجزاء من الثانية في لقاء شخصية تربعت لنحو ثلاثة عقود ونيف، على هرم إمامة وخطابة المسجد الحرام، وظلت أياديه تقترب من عنان السماء داعية بالنصر والسؤدد للمسلمين في جميع أنحاء العالم.

الشيخ السبيل الذي عرف ببراعة اللغة وجمالية الصوت، يكاد بصوته الذي يتنفس إيماناً وتضرعاً أن ينقل المسلمين عامة في أرجاء المعمورة، نحو مساحات بعيدة من الخشية والإيمان وعظيم التدبر، بل وينقل المتبع إلى مساحة أرحب نحو عظيم الاستتابة والتدبر.

بصوته الرنان الشجي الأسر الأخاذ لم يتأخر في كل عام عن أقطاب المسلمين جميعاً، حين ظل يصدح ملياً وعلياً في أروقة المسجد الحرام، ليترك خلف صوته الرقراق قصصاً متعددة وسرداً طويلاً من التدرج القرآني والزمني، لرجل قال عنه كثر بأنه صوت الخشوع والتدبر والإيمان». (٥ / ٢ / ١٤٣٤ هـ).

رحم الله الوالد رحمة الأبرار، وأسكنه فسيح الجنان، وجزاه عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء على ما بذل وعمل، وضاعف له المثوبة والأجر، وجمعنا به في مستقر رحمته، ودار كرامته، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وختامًا:

كل الذي قُلْتُ بعضُ من مناقبه

ما زدتُ إلاَّ لعلِّي زدتُ نقصانا

فاللهم اغفر التقصير والزلل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

عبد المجيد بن محمد السبيل

رمضان ١٤٣٥ هـ

الملاحقات

- ١ - قصائد مختارة من الديوان الشعري
للشيخ محمد السبيل.
- ٢ - محاضرة: (ذكريات في المسجد الحرام).
- ٣ - المقالات والتصريحات.

قصائد مختارة من الديوان الشعري للشيخ محمد السبيل
إمام وخطيب المسجد الحرام

قام بجمع الديوان الأصلي
د/ عبد الملك بن محمد السبيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من شرف الله قدره وبعد :
 فهذا ديوان الوالد الشيخ محمد بن عبد الله السبيل إمام وخطيب
 المسجد الحرام، والرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي
 حفظه الله يخرج بحلة قشبية، بعد أن ظل سنين طوال على أرفف مغبرة ،
 وفي أوراق ممزقة، وقصائد متناثرة، وقد سهل الله تعالى جمعها، وأسأل الله
 أن يعجل بلقي ما فقد منها، وكانت أوائل قصائد هذا الديوان من قبل أكثر
 من خمسين عاماً، منع الاشتغال بالعلم صاحب الديوان من الإكثار من
 القصائد ، فلم يكن ينظم قصيدة إلا لمناسبة عزيزة، أو حاجة ملحة،
 فجاءت بهذا القدر القليل، مع فقدان عدد منها كما أسلفت. وبلغ العدد
 الإجمالي للأبيات في هذا الديوان، أكثر من سبعمائة وتسعة وعشرين بيتاً،
 أخذت القصائد منه ستائة وأربعة وأربعين.

جزى الله والدنا خيراً ونفع الله به وبعلمه، وأمد لنا في حياته.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

عبد الملك بن محمد السبيل

١٤١٦/٤/٥ هـ

قال هذه القصيدة بمناسبة صدور مجلة (راية الإسلام)^(١) :

قد أشرقت (راية الإسلام) والأدب فحيها معلناً بالشعر والخطبِ
واهجر سبيل الألى جادوا بشعرهم لمنزل دارس الأطلال من نوب
يشجيتهم ذكر آرام نعمن به تسوم نبت الربى في مأمن خصب
وذكر عين لها في القلب منزلة تلقي قلوب أولي الأحلام في كرب
كمثل ريم يمين الرند قد عرضت ألفت إلي سهام الحزن والشجب
عين المهاة رمتني وهي معرضة فصرت ذا حيرة في كف مستلب
لما تولت بقلبي قلت وآسفى هل من جناح فأقفوا منتهى طلبي
لولا التجلد ما أمسيت في سكن وصرت في البيد بين الوحش لم أثب
لعل ريح الصَّباتُ تأتي برائحة من نفح عنبرها يشفي لذي الوصب
ما كنت أعرف قبل اليوم ما وصفت أهل النسيب من الأشجان والكأب
لما بليت أقمت العذر دونهم عذر الخبير بسهم الفاتك الأرب
فليت ذا العقل يرثي لي ويعذرني وليت أهل النهى والدين والأدب
إذ يعذلون لصب بات مكتتباً يلقون مثل الذي ألقى من النصب
أو يرجعون إلى نصح وموعظة من الكتاب وتذكير بهدي نبي

(١) وكان رئيس تحريرها، الشيخ صالح بن محمد اللحيان، ونشرت هذه القصيدة في العدد

الثاني في غرة المحرم، سنة ١٣٨٠هـ.

كيما يكون مريض القلب من سفه أو غفلة بين خوف الله والرغب
 نعم الشفاء كتاب الله مع سنن كم ابراء دنف التشكيك والريب
 فأدمن الوعظ والإرشاد مجتهداً وانشر محاسن هذا الدين في دأب
 أما ترى النشء قد حادت ركائبهم عن التقدم للعالي من الرتب
 وغرهم صوت مذياع قد امتلأت منه المسامع في تمجيد كل غبي
 بشوا الدعاية للدنيا وزخرفها وللتنافس بالأموال والنشب
 وضللوا النشء بالآراء خادعة وضيعوا الوقت في ملهى وفي طرب
 ولقبوا الحق ألقاباً مشوهة بصددهم عن سبيل الله باللقب
 وحاربوا الدين والأخلاق جهدهم يابئس ما وعدوا في شر منقلب
 وحسنوا السبل اللاتي يهيم بها قوم يرون العلى بالمقول الذرب
 ما العلم سبك وتنميق وشقشقة من دون نور من الوحيين مصطحب
 أغاية العز أن تقللوا مبادئكم وتركوا مجدكم نهياً لمتهب
 وهل يعد عزيزاً من نهايته قعر الجحيم مع الطاغى أبي لهب
 وكم غبي يرى الإسلام أخرنا والكفر قدم أهل الغرب واعجبي
 يرى التقدم في ترك التدين لم ينظر لصفوتنا في سالف الحقب
 لذاك عاب على الإسلام يهدمه بالقول والفعل والتعظيم للصلب
 مثل الغراب الذي يهوى ويعجبه مشي الحمامة في حسن وفي خبب
 فحاول الغمر أن يحكي لمشيئها فظل مشيئته الأولى ولم يصب

لا تظلموا الدين إذ كلت عزائمكم وتلصقوا كل عيب فيه بالكذب
تعلم الطب ليس الشرع يمنعه ولا الصنائع في نفع لمكتسب
وإنما حرم الشرع الأمور إذا أدت لمعصية تلقيك في العطب
بل جاءنا النص في إعداد قوتنا كيما يكون عدو الدين في رهب
ومن أراد رقيماً أو مغالبة من دون دين فما أوهاه من سبب
مهلاً بني يعرب لا تخلدوا كسلاً وشجعوا النشء من أبنائنا النجب
على اقتحام العلى في كل آونة وحاذروا سكرة اللذات واللعب
كيما تعود إلى الإسلام عزته ويصبح الجهل والكفران في صيب
أفتية الدين والعلم الصحيح لكم مناهل عذبت أحلى من الضرب
وطالب العلم مأمول له أبداً مستقبل شامخ أعلى من الشهب
والعلم والمجد مقرونان في قرن لكننا العلم لا يجنى بلا تعب
يا فتية الضاد إن العز أجمعه في الدين والخلق الممدوح في الكتب
ما بارز المصطفى قوماً بعدته ولا العديد ولكن صدق محتسب
ولا الصحابة من خافت جموعهم أهل البسيطة من ناء ومقترب
هم دوخوا كل جبار وذي أشر بعزمة الصدق ثم العزم بالقضب
تلك الغطارفة الأجماد لم يهنوا يوماً على شدة الضراء والسغب
حداهم الشوق للموعد في زبر حتى استووا فوق متن العز بالغلب
وأنزلوا الفرس عن إيوان مملكة منيعة شمخت عن كل مغتصب

ولم يعد مجدها من بعدهم أبداً وكانت الفرس تحت الذل للعرب
 وقيصر قصرت أيامه وغدا تحت السنابك في ويل وفي حرب
 أما سمعت بجند الله كم نصرُوا ومزقوا الروم بالحمالات والرعب
 وفي الأبله واليرموك ما فعلوا والقادسية يوم الجحفل اللجب
 وكم بأندلس من وقعة عظمت فنالت العرب فيها منتهى الأرب
 وأصبح الحق في الآفاق منبثقا كالشمس لكنه أبهى ولم يغيب
 ثم الصلاة على أزكى الورى شرفاً أكرم به خير مبعوث ومنتخب

وقال عند زيارة الشيخ محمد بن مانع مدير المعارف آنذاك للمدرسة
 السعودية في البكيرية سنة ١٣٧٢هـ:

سعادة المرء في علم وفي أدب إن يفتقد ذين لا يسلم من العطب
 فالحمد لله ذي الآلاء والمنن وباعث الرسل بالآيات والكتب
 مبشرين لمن للحق متبع ومنذرين لأهل الكفر والنصب
 حتى استقامت على كل الورى حجج أعظم بخسران من يدعى ولم يجب
 محمد سيد السادات خاتمهم أكرم به خير مبعوث ومنتخب
 قد قام مجتهدا حتى استتم به حضارة الدين في عز وفي غلب
 فأصبح الحق في الآفاق منبثقا كالشمس لكنه أبهى ولم يغيب
 فلم يزل خالق الأكوان يبعث من لدينه ناصر في سائر الحقب

فكان في وقتنا عبد العزيز سعى لنشر علم لدينا سعي محتسب
هو المليك الذي قد كان متصفا بالنصر للعلم والإسلام والعرب
الحلم والعفو والإحسان شيمته فانظر تجد وصفه في الشعر والخطب
يعفو ويصفح لكن بعد مقدرة وماله في سوى الإحسان من أرب
حلو ومر فما أحلى شمائله وفي النزال فمثل الليث في الغضب
سائل بني العرب عن أفعاله معهم يوم الطعان ويوم الضرب بالقضب
أسعد بطلته أعظم بدولته أكرم بأنجاله الساعين بالحسب
خص الأريب ولي العهد أيده رب العباد بعز دائم الغلب
فهو النيل الذي قد تم سؤدده في نصره الشعب والإسلام ذو دأب
عمت نوائله طابت مآثره حمر صوارمه مشهورة الرهب
متى يقدر جحفاً فالنصر قائده إن سار من يمن فالرعب في حلب
حليفه النصر والأبطال بغيته لباسه البيض من بيض ومن يلب
سائل بني العرب كم أسدى لهم نعماً وكم بنى لهم مجداً على الشهب
ولم يزل جاهداً في العلم ينشره في مدنهم والقرى أعظم بذى القرب
يختار قوماً بنشر العلم قد عرفوا من كل شهيم أخي علم وذو حسب
مثل التقي الذي بالحزم متصف يسعى لعلم فلم يسأم ولم يخب
أهنيء النفس والنادي ومعشرنا في عالم عامل في فاضل وأبي
يا مرحبا بذوي فخر لهم همم في نهضة الشعب من ناء ومقرب
فكل فرد له ذكر يخلده إذ هم لنا منهل أحلى من الضرب
سرتهم كشمس الضحى عمت أشعتها شعوب نجد فأضحى الكل في طرب

إنَّ المدارس من مسعاكم ازدهرت كالروض مزدهر من وابل السحب
 كما سمت فيكم فوق السها وبدت معاهد العلم في أثوابها القشب
 كم في الحجاز وفي نجد وفي يمن من المدارس فيها خالص الكتب
 وفي بكيرية من ذاك مدرسة قد طاب مغرسها في معشر نجب
 للجد خذ^(١) إن ترد تاريخ مدرسة فيها تبث أصول العلم والأدب
 فاطلب هديت فنون العلم مجتهدا فالعلم أشرف موهوب ومكتسب
 وابدل بجهدك روحا ثم حاربها عن البطالة لا تفتقر عن الطلب
 فالعلم ينجيك من ظلماء موحشة من ظلمة الجهل فهي مورد العطب
 والفخر بالعلم مقرون له أبداً لكنها العز لا يجنى بلا نصب
 لا يدرك المجد من كانت لياليه باللهوتذهب أحياناً وبالطرب
 يفوته العلم ثم المال يتبعه يا عظم خيبته مع سوء منقلب
 فالله الله في نيل العلى أبداً ولا تنافس بجمع المال والنشب
 ثم الصلاة مع التسليم يتبعها على الرسول رفيع القدر والرتب
 والآل والصحب ثم التابعين لهم أهل التقى والهدى والعلم والحسب

وقال هذه القصيدة في حضرة الملك سعود عندما افتتح المبنى الجديد

لمعهد بريدة العلمي وذلك في: ٢٧ / ٥ / ١٣٧٧ هـ، وقد نشرت في جريدة

البلاد بتاريخ: ٢٤ / ٦ / ١٣٧٧ هـ

أيامك الغرُّ للأيام تيجان وفي اسمك المرتضى للسعد عنوان
 إن السعادة في لفظ السعود بدت لفظاً ومعنى وفي الأسماء إيذان
 حيت من ملك يفدى بطارفنا وبالتليد ومن عزوا ومن هانوا
 أنت المليك وفيك الشعب مغتبط إذ عمه منكم عدل وإحسان
 عم الجزيرة من شام إلى يمن إلى الحجاز ومن في الشرق سكان
 نالت بك العرب فوق الناس منزلة مانها يعرب قبل وقحطان
 طوقت شعبك أنعاماً ومكرمة فصار يغطه ناء وجيران
 إذ بدل الله من بأسائه نعماً على يديك فأضحى وهو جذلان
 إنَّ الشعوب التي كانت مجاورة قد عمها من ندى كفيك هتان
 فأنت كالغيث لكن كل آونة والغيث يأتي له وقت وأزمان
 وأنت ليث إذا ما سيد بطل رآك خالجه ذعر وإذعان
 كم أظهر العجب أبطال ذوو عدد فأدبروا وهم للذعر فرسان
 ومجتر لابس للحرب عدته فعاد من فوره تخفيه نسوان
 متى يقدر جحفاً فالنصر قائده إن سرت من يمن ارتج حران
 حلوا ومر فللعافين ذو كرم وللكمة إذا بارزت طعان

قد فقت في الحلم والعقل اللذين هما
 كم شيدت منكم أيد على زحل
 كم في الجزيرة من آلاء مجدكم
 فأصبحت منهلاً للعلم يقصده
 فراية العلم في ذا الوقت سامية
 هذي المعاهد من مسعاكم ازدهرت
 وتلك فتح به الإسعاد مفتوح
 لا تعجبوا يا بني عرب فلا عجب
 أنهى النشء والنادي ومعهدنا
 هذا سعود إذا ما حل في بلد
 قد ارتدى الأنس من جراء طلعتة
 وعند أبنائه ملء القلوب له
 ترنوا إليه وتبدي شكرها أبداً
 فمعهد العلم قد أبدى تحيته
 لا غرو إن مجدت فيه جلالكم
 لو عبرت أفصحت عن شكر نعمتكم
 يا عاهل العرب والإسلام إن لنا
 آدم كفعلك للإسلام نصرته
 مع حلمك المرتضى والصفح أقران
 مفاخرأ قصرت عنها الأولى بانوا
 للعرب والعلم والإسلام أركان
 من كل قطر إلى التحقيق ظمآن
 والجهل قد سامه ذل وخذلان
 وأينعت ثمر منها وأفنان
 وعيد أنس به الأعياد تزدان
 إذ للمفاخر أوقات وإبان
 إذ حل في ريعه ملك له شان
 حل السرور به وانزاح أحزان
 في معهد العلم أشياخ وشبان
 إخلاص ود وترحيب وشكران
 ما التذ في منهل للعلم إنسان
 مكرراً شكره ما بقي نعمان
 أرجاؤه فرحاً فيكم وحيطان
 لكن لها في لسان الحال تبيان
 في ذاتكم أملاً أبداه منان
 بل زد عليه فان الشرفان

وانصر أولى سنن واقمع ذوي بدع واعمر بجهدك ما يرضاه رحمان
فأنت في نصرة الإسلام منفرد^(١) إذ قل فيه على التحقيق أعوان
فالله أولاك فضلاً واختصاصك به إذ ليس فوقك بعد الله سلطان
والله يبقيك ذخراً للعروبة للإسلام كي يعتلي للدين بنيان

(١) أي بين الملوك .

إهداء إلى الشيخ سعدي ياسين

قالها عندما حصل منه على إجازة القرآن الكريم عام ١٣٨٩ هـ

أزجي التحيات في الأصال والبكر إلى التقي النقي الطيب البشر
العالم الفذ في كل الفنون فإن تطلبه تحقيق فن فزت بالظفر
سعدي الذي اشتق من إسعاد طلعت له السعادة في الدنيا وفي الآخر
فهو الذي فاز بالأسماء تسمية والاسم يعطي دليلاً عند ذي بصر
يروى لناقولة الألقاب نازلة من السماء كما قد جاء في الأثر
يا أيها العالم الميمون طلعت يا أيها العالم الميمون طلعت
قد جاء منكم جواب كله درر ومن له السبق في الإيراد والصدر
ما أجمل الخط ما أحلى عبارته كلا ولكنه أغلى من الدرر
في طيه بسمات الحب نائبة ما أروع السبك في ألفاظه الغرر
في ضمنه أدب ناهيك من أدب عن وجه صاحبها عن وجهه السفر
فيه الإجازة بالإقراء ناطقة فيه التواضع زهداً بالثنا العطر
قد أسندت برجال العلم منك إلى بحسن ظنك في تلميذك الحقر
قد حقق الله ما قد كنت آمله أن انتهت بأمين الآي والسور
وتارة بكرة أتلو عليك به أيام أتلو كتاب الله في السحر
عودتني النطق بالترتيل آونة عند المقام ببيت الله ذي الستر
من علمك الجرم في التفسير تتحفني والحدرد آونة من صوتك الحبر
فوائداً حكماً أبهى من الدرر

فالله يجزيك إحساناً وتكرمة والله يوليك ألطافاً مدى العمر
أدعو بذا في الدجى أدعوه به سحراً في مهبط الوحي بين الحجر والحجر
هذا ابنكم لفق الأبيات قاصرة عن وصفكم يأمل الإغضاء عن عور
هذي بضاعتنا المزجاة شاهدة بأنني لست في الأشعار ذا بصر
يارب صل وسلم كل آونة على الرسول الذي ينمى إلى مضر
وآله الغر والأصحاب قاطبة والتابعين على الإحسان والأثر

وقال حفظه الله مشاركة في مسامرة أدبية لمعهد بريدة العلمي

في ٢٨ / ١١ / ١٣٨٣ هـ :

تقوى الإله سفينة الأبرار وهي الرُّقي ومطمح الأنظار
وهي الصراط لسالك سبل العلى وهي المنار لمهتد بمنار
وهي السعادة إن حللت رحابها وهي الفخار تفوق كل فخار
الله در أفاضل نالوا بها قرب الإله بجوده المدرار
ما نال من نال المكارم والعلى أو حل فوق منازل الأقدار
إلا هداة للتقى قد حققوا وتسابقوا في خدمة الغفار
وتميزوا بصفاتهم بين الورى وترفعوا عن خُلة الأشرار
وترنموا بالوحي في أسحارهم وتفهموا ما فيه من أسرار
حذروا الفواحش والمآثم والحنأ وتدرعوا بالصبر عن أخطار
قد محصوا درن الذنوب بتوبة ومدامع هطالة وغزار
يكون خوفاً من أليم عقابه إن ذكروا أو خوفوا من نار
يمشون هوناً صائنين نفوسهم عن منكر أو منطق المهذار
بالرفق يدعون العباد لربهم لا فحش عندهم لدى الإنكار
حفظوا نفوساً عن متابعة الهوى أعظم به من فاتن غرار
يرجون فضلاً من كريم محسن أطفاه تترى مدى الأعصار
قد أملوا غرف الجنان وحوورها ونعيمها والسلسيل الجاري

هذا النعيم من الإله وفوقه نظر العباد إليه بالأبصار
 تلك الصفات صفات أرباب الحجى أهل الهداية صفوة الأخيار
 عفواً إلهي قد وصفت فعالمهم وأنا المسيء المثلث الأوزار
 كم بين وصفهم الكريم ووصفنا أنى يشبه جنـدل بنضار
 ويحلمن تحذ الهوى متبوعه متنكبا عن منهج الأبرار
 قد غره لهو وحسن نضارة في عيشه متغافل الأقدار
 غاياته شهواته في دهره من مطعم أو مركب مختار
 أضحى قصارى أمرنا في غدوة أو روحة في مطلب الدينار
 لم نأل جهداً في سبيل نواله من حله أو موجب الأوزار
 ما استطعنا أن نحويه فهو مرادنا ذاك الحلال فما به من عار
 إن بان يوماً فرصة في مطعم كانت كفرصة أخذ بالثار
 طلب التكاثر والتفاخر بيننا أردى الحكيم وثاقب الأفكار
 حب الرئاسة والمظاهر داؤنا كم أكسبنا من ذلة وصغار
 كم ناقد متبصر في دينه متورع في الجهر والإسرار
 لما امتطى متن المناصب وارتدى ثوب الرياسة عشي عن إبصار
 أفٍ لدنيا كلما ازددنا عنى زدنا افتقاراً خشية الإقتار
 يارب رحماك التي قد عممت كل الورى من مصحر أو قاري
 يارب وارزقنا الإنابة والتقوى والعلم علم شريعة المختار

وارفع منار العلم في أوج العلى واجعل ظلام الجهل في إدبار
واحمي العقيدة سيدي عن زيغها واحفظ خلائقنا عن استهتار
يا أيها النشء العزيز تقدموا واحموا الذمار بصارم بتار
واجنوا ثمار العلم في إبانه شرح الشباب وبهجة الأعمار
وتسابقوا في نيله كي ترتقوا وحذار من كيد العداة حذار
يا أملاً للعلم مقتبساً له العلم أسمى مطلب الأحرار
أنت الجدير برفعة بين الورى فاطلبه في ليل الدجى ونهار
أنت القمين بكل معنى شامخ وسيادة وجلالة الأخطار
لا ترض غير العلم إن كنت امرءاً ذاهمة وعزيمة ووقار
واصحب قرينا عالما متبصراً متيقظا في الورد والإصدار
واعمل بعلمك كي تفوز بغبطة عند الإله ورفعة وفخار
واسلك سبيل المقتفين لوجيه ولهدي أحمد صاحب الأنوار
ثم الصلاة عليه مع تسليمه ما اهتزت الأفنان في الأشجار
والآل والصحب الكرام جميعهم واخصص بذاك رفيقه في الغار

المراثي

مرثية في الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود المتوفى عام ١٣٩٥هـ :

هول جسيم وخطب فادح جلل تجرعت كأسه الأملاك والدوئل
 رزية هزت الدنيا وساكنها وماد منها سهول البيد والجبل
 أنست مصيبة كل مكلوم وذو أسف ورققت هول من بانوا وقد رحلوا
 أرى العيون تسيل الدمع خاشعة وللصدر أزيز حفه الوجلل
 سحبان جراءها في مأزق حرج عن وصف حالتها وابتزه الفشل
 تبكي الممالك والأملاك قاطبة والمروتان وبيت الله والكلل
 والطائفون به يدعون فاطرهم والقلب منصدع والعين تنهمل
 وضج فيه ذوو الإسلام إذ فجعوا يبيكه شيب وشبان ومكتهل
 كأنهم قط ما مرت بهم محن من قبل ذاك وما سالت لهم مقل
 مدوا أكفهم لله ضارعة يدعون رباً لطيفاً كلهم أمل
 فعنده خلف من كل فائتة وهو المجير إذا ضاقت بنا النزل
 رباه رحماك إنَّ القلب منفطر وفي الفؤاد لهيب النار يشتعل
 رحماك رباه لا عون ولا مدد ولا مغيث من اللاواء ينتشل
 إلّاك يا بارئي فالطف بأمّتنا إليك مفزعنا عليك تتكل
 فجيسة الفيصل الحامي الذرى قصمت ظهر العروبة واندكت لها القلل
 حاطت رعايته الداني ومن بعدوا من كل مضطلع بالحق يحتفل
 قوى عزائمهم بالرأي والتأمت صدوع أهل التقى فالجرح مندمل

فأصبحوا في ذرى أرائه قمماً
بزت سياسته دنيا السياسة في
وسلط الضوء من منظار فكرته
ما حيك من خطة بالجور ينسجها
إلارماهم بسهم الفكر فانقلبت
فاليوم ننعي مليكاً شأنه خطر
ينعي التضامن للإسلام رائده
جئت فضائله طابت مناقبه
كم شيدت كفه للمجد من أطم
حلو ومر فللعافين ذو كرم
هانت لنصر الهدى دنيا فجدت بها
شيدت للدين أطواداً ممنعة
سلكت مسلك أقطاب لنا درجوا
أنت الإمام ومؤتم بما أمرت
نلت الشهادة إكراماً ومكرمة
دعوت ربك في صدق فلا عجب
أشبهت فيها أبا حفص خليفتنا
وقال يا موثلي سؤلي وأمني تي

فالكل مقتبس منها ومنتهل
شرق وغرب وخاب منهم الأمل
حتى استبان له الإخلاص والدخل
أعداء ملتنا كيداً ليحتولوا
تلك الأمانى بعد الوصل تنفصل
وأمره عجب وشخصه دول
والمجد ينعاه والهيات والعمل
عم الرعية منه العدل والنحل
ومن معاقل عز دونها زحل
وهو الزؤام على الأعداء يتصل
حتى غدا البند خفاقاً له زجل
قد اشمخر بها القرناس والقلل
وزدت من مجدهم فوق الذي فعلوا
آي الكتاب به واستنتت الرسل
والله يختص بالإحسان من عملوا
أن يستجيب لمن يدعو ويبتهل
لما دعا الله ذاك السيد البطل
نيل الشهادة لا ملك ولا خول

في دار هجرتنا حيث الحبيب بها تلك السعادة هل يرضى بها بدل
 وقال قولة مشتاق لها ولهاً أنى تنال وهل تأتيك يا رجل
 وأنت في طابة والأسد حارسة والضد ناء وفينا الأمن مكتمل
 فجاءت البشرية والأقدار حاملة تزفها وشقاء العليج والأجل
 والمؤمنون صفوفاً خلف قائدهم إذا سطا قدر ضاقت به الحيل
 صبراً بني يعرب إن العرين به أسد النضال إذا ما حملوا احتملوا
 هم الليوث وأشبال الألى اشتهروا فخر العروبة بل والساسة الأول
 إذا اختفى قمر منهم بدا قمر مسددون إذا قالوا وإن فعلوا
 فخالد في جلال الملك توجه بالدين يحفل لا باللهو يحترف
 والفهد ذاك الذي بالعهد مضطلع والحزم والعزم لا نكس ولا وكل
 وأسرة المجد أسوار مكللة ذاك العرين فما يتتابهم خطل
 وصاحب التاج مخفوف بهالته وحوله أنجم ترنوا وتمثل
 والتف شعب وفيّ حول عاهله كما استدارت على أحواضها البزل
 يمد أيدي الولا جاً وتفديّةً في كفه الراية الخضراء والأسل
 والانتكال على الباري وقوته فليس من دونه حول ولا حيل
 ثم الصلاة على أزكى الورى شرفاً ما أنشد الشعر من يروي ومرتجل
 والآل والصحب ما مرت بنا محن وما أتت بعدها الألفاف تتصل
 ورحمة الله تترى كل أونة على الفقيد ومن في حكمهم عدلوا

مرثية في الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رحمه الله المتوفى عام ١٤٠٢ هـ

على مثل هذا الخطب تهمي النواظر وتذري دماء مقلّة ومحاجر
 ألا أيها الناعي لنا علم الهدى أصدقاَ تقول أم مصاباً تحاذر
 لأن كان هذا النعي حقاً فإنها نعت الذي يبكيه باد وحاضر
 نعت الذي يبكيه كهل ويافع ويبكيه شبان ويبكي الأكاابر
 نعت الذي يبكيه محراب مسجد ويبكيه تذكير وتبكي المناابر
 وتبكيه دور للعلوم ينيرها وبفهم دقيق يجتنيه المثابر
 ويبكيه حل المشكلات إذا عصت وأعيار جالاً وردها والمصادر
 ويبكيه فصل الحق بالعلم مدعماً ويبكيه صاد للفتاوى وحائر
 بكته ذوو الحاجات إذ كان ملجأً يدافع عن ملهوفهم ويناصر
 هو الشيخ عبد الله نجل محمد به أمة الإسلام حقاً تفاخر
 هو الجبل الراسي على كل حالة إذا زعزعت أحلام قوم أعاصر
 منار على درب التقى فوق لاحب به يهتدي الساري وتنأى المخاطر
 قوي بفصل الحق قاض موفق به يرتضي خصم وتهدا ضمائر
 هو الخبر كم طابت نفوس وتمعنت قلوب وأبصار به وبصائر
 له مجلس يرتاده كل عالم فكم غمر الجلاس منه جواهر
 ترى الناس هذا وارد متعطش وذا ناهل من بحر علم وصادر
 تفرد في علم وفقه وفطنة تقاصر عنها باحث ومذاكر
 فكم كشفت أبحاثه من غوامض ومن حكم تجنى وهن نوادر

نوادر علم من فنون تنوعت ينمى بها عقل وتزكوا سرائر
قد استخرجت من كنز عقل مؤيد ونقل صحيح أسننته عباقر
ترى الحازم المشغوف في نيل حكمة ينافس في تسطيرها ويبادر
وما العلم إلا مارواه أئمة مشافهة أو دونته دفاتر
سرى ذكره في الأرض شرقاً ومغرباً وقد أكبرته جلة وأكابر
وعم الأسى عرباً وعجماً لموته فيا حسرة إذ ألدوه وغادروا
يجاهد في ذات الإله بحكمة وبالقسط قوام وللحق ناصر
وفي الله لم تأخذه لومة لائم يناصح سرّاً تارة ويجاهر
فكم ردعت أقواله من معاند وأذعن من بعد العناد يساير
له في قلوب العالمين محبة محبة صدق قربة ومفاخر
محبة دين يرتجئها أولو التقى ويحرم منها جاهل ومكابر
سحابة علم روت الروض والرُّبا فأخصب منها مربع ومحاجر
فيا أسفا قد صوح النبت بعده فأضحى هشياً وهو بالأمس ناضر
وإنّ انتزاع العلم في موت أهله كما جاء نص في الصحيحين ظاهر
فيا لك من خطب جليل وحادث به فقدت أنهار علم زواخر
كما فقدت في حندس الليل أنجم وقد سقطت في الأفق وهي زواهر
فيا خيبة الساري إذا غاب نجمه ويا لوعة الصادي إذا جف ماطر
فكم آسف يبكي بقلب مبرح وكم واجم أضناه حزن مخامر
لقد مزق الأحشاء هم بموته تكاد له صم الجبال تناثر
فلله كم حاولت صبري فخانني أقلل حزني مرة فيكاثر

إله الورى ندعوك سراً وجهرةً تخفف عنا ما حوته الضمائر
من الروع والأحزان يوم فراقه فيا سيدي رحماك إنك قادر
سبقتى له في قلب كل موحد سريرة حب يوم تبلى السرائر
سقى الله قبراً ضممه وابل الرضا يمن به رب رحيم وغافر
وبوأه دار السلام مع الألى همو نصرُوا حزب الإله وهاجروا
فآل حميد إنما الصبر عزيمة فصبراً ينال الأجر من هو صابر
فإن مصاب المرء فقد ثوابه وأما الرزايا فالمهيمن جابر
ولستم ذويهِ وحدكم في مصابه شعوب به قد أفزعت وعشائر
وذي حالة الدنيا سرور وغبطة وأيام بؤس فرقة وفواقر
وقد خلق الإنسان في كبد فمن يروم صفاء العيش لا شك قاصر
وإن قضاء الله حكم منفذ علينا الرضا والأمر لله صائر
وليس يرد الموت حصن ممنع ولا شاهق أو قوة وعساكر
فما خالدٌ زيد وعمرو وخالدُ سيوف المنايا مصلتات بواتر
كفى زاجراً للمرء أيامه التي يمر عليها بالمواعظ زاجر
مضى ابن حميد بالمفاخر والتقى فله عمر بالفضائل زاخر
(جليل) أتت في النظم أعوام عمره وفي عام (غبت) غيبتة المقابر
وصلَّ إلهي ما بكى السحب أو هوت نجوم الدجى أو ناح في الدوح طائر
على المصطفى بدر الدجى سيد الورى وآل وصحب ما بكى العلم شاعر

مرثية في شقيقه الشيخ عبد العزيز المتوفى عام ١٤١٢ هـ:

تجري الأمور على ما خطه القدر وكل حي له من دهره غير
تطوى الدهور وفي طياتها أمم كانت فبانة فلا عين ولا أثر
وما الحياة لحي دار ثوى كل امرئ لحمام الموت منتظر
كم مزقت أمم في الخافقين سمت لا الشمس آفلة عنها ولا القمر
أخت عليها صروف الدهر واستلبت منها ممالكها واغتالها القدر
وما قضى أحد منها لبانته ولا استقام له ورد ولا صدر
أيامها نكد وكلها كبد وجمعها فرقة وصفوها كدر
ذي سنة الله في الأكوان قاطبة بها استوى الخلق أمار ومن أمروا
أما ترى العلم والإسلام قد فجعا بعالم عامل لله مؤتمرا
لقد فجعنا بموت الخبر عالمنا عبد العزيز الذي قد ضمه المدر
يبكي عليه الورى تبكي مجالسه تبكي المحابر والأقلام والزبر
تبكي مساجدها تبكي منابرها تبكي له حلق تتلى بها السور
وروضة من رياض العلم مزهرة فيها المواعظ والتذكير والنذر
لله من عالم بالفقه مضطلع كالبحر طاشت له من موجه درر
وفي العقائد والتوحيد عالمها وفي الحديث إمام روضه نضر
وفي المثاني يغوص في دقائقها مفسراً نافذاً فيها له بصر
كانت له قدم في النحور اسخة يغني اللبيب عن المغني كما سبروا
وفي المواريث كم من فتية نهلوا من بحرهم وكذا التاريخ والسير

يجله جلة الأقسام إن ذكرت
كم مغلق من فنون العلم حار به
أبدى الغوامض للسؤال فاتضحت
ما كان مكتسباً بل كان محتسباً
بالعلم مضطلع بالحلم متصف
فيه الأناة فلا طيش يطيف به
له وقار وسيا العلم بهجته
نعم المعين إذا ما خلة عرضت
زان القضاء وكان العدل همته
يحاول الصلح للخصمين مجتهداً
له تلاميذ من نهر له نهلوا
كانت لهم همم في العلم سامية
منهم قضاة بفصل الحق قائمة
وفتية في بيوت الله دهرهم
في كل فن لهم إن جئت ملتمساً
أنست مصيئته ما بان من محن
ما بعد يومك للأحزان موجدة
بالأمس بالمنحنى نعش يسير به
في ساحة العدل قد واره ملحده

فيهم شأئله أو درسه حضروا
أهل الدراية واجتالت به الفكر
دقائق الفهم فارتاحوا وقد ظفروا
ستون عاماً بنشر العلم يتدر
والصبر شيمته والصمت والبشر
بالحلم يدرأ لا عجز ولا خور
فيه التواضع لا في خده صعر
للمستجير وللعافين مدخر
عشرون عاماً بفصل الحق مشتهر
بالعدل يفصل إن يأبوا ويشتجروا
عذب المذاق لهم من ورده صدر
قد أحرزوا السبق في الآفاق وانتشروا
وآخرون دعاة بالهدى جهروا
وفي المعاهد بالتدريس قد عمروا
تلق الصواب ومدعوم به الأثر
ومن صروف خلت قد حفها الكدر
ولا لجرح على آلامه ضجر
سراة مكة والأحداق تنهمر
لله من جسد في القاع قد قبروا

(غروب در) قضى نجباً ومدته من عمره كان (أمنأ) كله عُرر
أستودع الله من في القاع أعظمه أنت الإله الذي يرجى ويدخر
أنزل عليه شآبيب الرضا ديمأ ما امتد ظل غمام أو همى مطر
ثم الصلاة على أزكى الورى حسبأ مسلماً ما اختفى في أفقه قمر
والآل والصحب ما ناحت مطوقة وما اختفت في المغيب الأنجم الزهر

آيات علمية حاصرة

وهذه بعض الآيات الحاصرة لبعض المسائل العلمية في الفقه وغيره:
شروط لا إله إلا الله:

علم يقين وإخلاص محبته والانقياد قبول صدق معتقد

الروايات الواردة عن الإمام أحمد رحمه الله في الشركة:

وشركة فلا تصح عندنا	بغير ما نقود فافهم باعتنا
وعنه صح حتى في العروض	ورأس مال قيمة المقبوض
لكننا القيمة حال العقد	فاعلم هديت واعملن بالجد
اختارها جمع من الأصحاب	منهم أبو بكر أبو الخطاب
وصاحب الفائق والمنور	كذا ابن عبدوس وفي المحرر
مقدمات أتى وفي الإنصاف	مصوباً فاختر من الخلاف
وابن رزين قال وهي أظهر	عبد العزيز شيخنا ذا يذكر

الروايات عن الإمام أحمد - رحمه الله - فيما يقطع الصلاة:

لا يقطع الصلاة شيء أبداً	وعنه غير كلب مر أسودا
وعنه والمرأة والحمار	بذا أتى المنصوص والأخبار

شروط البيع:

شروط بيع خمسة واثنان رشد وعلم العين والأثمان
إباحة وملكه ثم الرضا وقدرة التسليم فافهم ما مضى

أنواع الخيار التي ذكرها الحجاوي في كتاب البيع من كتابه زاد المستقنع:

وعندنا الخيار عن إمام في سبعة أتى من الأقسام
خيار مجلس وشرط مع غبن تدليسه وعيبه متى يبن
وسادس أتى بتخبير الثمن كذا اختلاف فيه فاسمع وافهم
من سادس مرابح مواضع وشركة تولية يا سامع

ما يشترط له القبض:

القرض والرهن كذاك السلم شرط لها القبض لدينا محكم
صدقة هدية مع الهبة وكلما يدخله الرباء فانتبه

الفرق بين الكوع والكرسوع:

واعلم بأن الكوع يا إمامي هو ما بدا من أسفل الإبهام
وعكسه الكرسوع تحت الخنصر فافهم كلام العرب واحفظ تبصر

وأجاب عن مسألة فقهية: ما شيء يجب ضمانه مرتين؟ فأجاب شعراً:

قل محرم أعير صيداً ثم ذا ك الصيد إتلاف له قد وقع
فقيمة لمن أعار تضمنُ ومثله لله حق فاسمعوا

أوائل أجزاء كتاب الإنصاف:

بقبلتنا. تزكوا. دخول بمكة ليربوا. أجر. الواقف المتزهد
نكاحك. لا تُخلف عداد طلاقه وعفو قصاص. قبل أيأنه. اشهد

أوائل أجزاء القاموس المحيط:

أوائل القاموس يا أخ الفضل حبر أثبع بعده صؤل

متى يجوز أن تقلب السين صادًا:

قوم غطارفة طابت خلائقهم في صدغ مسخطهم تسطوا المصاقيل^(١)

(١) جعل أوائل كلمات الشطر الأول للحروف، والشطر الثاني التمثيل.

قال بعض اللغويين لا تجتمع الجيم مع الصاد والقاف في كلمة عربية فقال :
وقد تباعدت عني مثل ما بعدت جيم العروبة عن صاد وعن قاف

أنواع تحيات الناس:

«أنعم صباحاً» و«عش ألفاً من الحجج» «أسلم كثيراً» «أبيت اللعن» من ضمن
هذي تحيات أهل العرب قاطبة نقلاً عن ابن أثير حاذق فطن
لكن تحياتنا لله أجمعها سبحانه من مليك واسع المنن

* * *

مقتطفات شعرية

قال واصفاً كتاب روضة العقلاء ونزهة الفضلاء:

يا روضة أينعت من كل فاكهة فيها الترفه والتجميم والفرح
 تسلوا بها النفس عن مال وعن ولد ولا يلائمها هم ولا ترح
 يا حسنها روضة للعقل مزهرة قد أحكم الغرس فيها من لنا نصحوا
 من النبي ومن صحب وتابعهم أكرم بهم معشراً ساروا وقد ربحوا

وقال عندما زارهم الشيخ صالح القزاز مدير الزراعة آنذاك في محافظة
 البكيرية ومعه بعض الخبراء:

"على الطائر الميمون يا خير قادم وأهلاً وسهلاً بالعلا والمكارم"^(١)
 أيا صالح الأخلاق هذي زيارة تعد لدينا من عظيم المغانم
 أرى الروض مخضراً أرى الزهر ضاحكاً أرى النخل والبستان في شكل باسم
 فيا عجباً هل يشعر الروض أنكم بذلتم له الأرواح في فعل حازم

وصف الربيع:

أريج زهر يضوع في محافلنا كأنما الورد بين القوم يعتصر
 تجلي الهموم عن الأرواح ريجتها مثل الظلام جلته الشمس والقمر
 تحية لأحد الأساتذة:

أهلاً بمن بكت المدارس فقدته والطالبون ذوو الحجا والسؤدد
 الغرس إن الغرس ذاو عوده فابذل قصارى جهدك المتعود
 كيا نرى الأغصان بعد عريها قد ألبست حلاً بلون زبرجد

قال لطلابه مودعاً عندما أراد الإقامة بمكة سنة ١٣٨٥ هـ:

هذا الوداع وما نفسي تطيب به وهل يطيب فراق الفتية النجب
 كيف السلو عن الصحب الذين همو قد أحرزوا السبق في علم وفي أدب
 ما كنت أحسب أن الشمل مفترق هذي المقادير فاصبر صبر محتسب
 أوصيكموا بالتقى في كل آونة وحاذروا سكرة اللذات واللعب
 أستودع الله أشبالاً عرفتهموا بالفضل مع كرم الأخلاق والحسب
 ثم الصلاة على خير الورى شرفاً أكرم به خير مبعوث ومنتخب

وقال في النادي الثقافي بمعهد بريدة العلمي عام ١٣٩٠ هـ:

جری قلمي بالشعروالقلب عائبه أما ترعوي فالشعر مر مكاسبه
 وهل يستوي نثر الكلام مهذباً ونظم قريظ باديات معائبه
 فإن قيل لا تدمم ففي الشعر حكمة وأنت له قد كنت فيه تعاتبه

أَفْـاز

قال في النخلة:

ألا أيها الحذاق عندي عجيبة أريد لها حلاً صحيحاً معجلاً
 فما سائر نحو السماء مشمراً على ساقه لا بالجناح إذا اعتلى
 ولكنه في أسفل الأرض نازل فهل يستوي ضدان في الأصل أصلاً
 يزيد هبوطاً في الحضيض ويعتلي وفي قلبه لحن بأعجابه انجلى
 وقال في السحاب:

مالباكيات بلا خوف ولا حزن والضاحكات بلا شيء من العجب
 فإن ضحكك فكل الناس في فرح وإن بكين فكل الناس في طرب
 وقال في القمر:

وسائر نازل يسعى ببلدته وما ينال بهاماء ولا ثمرا
 وقال في المسواك (الأراك):

إني أراك كما أنظر إلى جسدي ولا أراك لدي فاستمع كلمي
 وقال في حرف العين:

ألا رب عين قد فتحت صحيحة وما أبصرت نورا وما أبصرت ظلماً
 وكم رجل يسعى بها حاملاً لها يراها ولكن ما أحاط بها علماً

وأجاب عن لغز نحوي سنة ١٣٨٧ هـ قال السائل:

أرى لفظة أعياء عليّ انفهامها
لأني حديث في الدراسة والصف
هي اسم وحرف وهي فعل وفاعل
خصوصاً إذا جاءت فرادى على حرف
ثنائية تبنى وتعرب دائماً
على أنها ليست بممنوعة الصرف
فأجاب:

أي سائلاً حلاً للغزك قائلاً
بلفظ رصين زين بالسبك والرصف
أرى لفظة أعياء عليّ انفهامها
لأني حديث في الدراسة والصف
هي اسم وحرف وهي فعل وفاعل
خصوصاً إذا جاءت فرادى على حرف
ثنائية تبنى وتعرب دائماً
على أنها ليست بممنوعة الصرف
من الستة الأسماء حقاً بلا خلف
فدونك (في) حرفاً واسماً لواحد
فذا فاعل والفعل جاءك بالكشف
ومر زينياً قل في لعمري بحقه
فمبنيها حرف ومعربها سما
وتبنى بفعل الأمر في مفرد الحرف

وأجاب حفظه الله - عام ١٣٧٠ هـ عن سؤال أحد تلاميذه عن لغز أذيع في

إحدى الإذاعات جاء فيه :

ما هو اسم شاعر عربي، يتألف اسمه من كلمتين رباعيتين:

الحروف : ٤، ٣، ٥، ٧: اسم عاصمة ، و ٧، ٣، ٢: ما يصنع من الخبز ، و
٦، ١، ٧: كلمة مصرية بمعنى جداً، و ٣، ١: حرف نفي، و ٤، ٦، ٨: صوت
مرتفع. فما هو اسم هذا الشاعر؟ فأجاب:

شوقي لأحمد لو تقسم شطره من في (دمشق) لذاب من برحائه
 فلميمه مع همزة (ما) قد نفت و(القمح) طاب لميمه ولحائه
 ولداله الصوت الرخيم علا بها يدوي (دويا) في رياض هنائه
 ولهمزة في مصر قد كانت (أوي) معشوقة في القول عند بهائه

* * *

محاضرة
ذكريات في المسجد الحرام

ألقاها

محمد بن عبد الله السبيل
إمام وخطيب المسجد الحرام

(١)
ذكريات في المسجد الحرام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد :

فإن المسجد الحرام قد ورد ذكره في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، وبألفاظ مختلفة كما قال سبحانه: ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس﴾، وقال سبحانه ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ وقال سبحانه: ﴿ولا آمين البيت الحرام﴾، وقال سبحانه: ﴿أو لم يروا أننا جعلنا حرمًا آمنًا ويتخطف الناس من حولهم﴾.

وقد كان الناس في الجاهلية يحجون البيت الحرام، ويجمعون في أسواقهم المشهورة قرب مكة، مثل: عكاظ، ومجنة، وذو المجاز؛ لوقوعها في الأشهر الحرم. وكان العرب يستغلون هذه الأشهر بالبيع والشراء والتفاخر بأنسابهم وأشعارهم، وكانوا يعلمون أنه لا يجوز الاعتداء على أحد في هذه الأشهر لتحريم الله لها، حتى لو وجد أحدهم قاتل أبيه أو أخيه، فإنه لا يتعرض له بسوء حتى تنتهي هذه الأشهر الحرم: ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ورجب.

وعندما جعل الله تعالى البيت الحرام مكانًا آمنًا، جعل له زمانًا آمنًا، تلك الأشهر الحرم، فخصت هذه الأشهر لحاجة الناس إلى حج بيت الله،

(١) محاضرة للشيخ ألقاها في داره الملك عبد العزيز بالرياض ونشرت في مجلة الدارة، ع٣، السنة

فيأتون للحج من كل حدب وصوب، فجعل الله هذه الأشهر الحرم سياجاً يحمي به الناس من بعضهم؛ حتى يؤدوا مناسكهم بأمن واطمئنان، ويعودوا كذلك إلى بلادهم آمين، فكانت ثلاثة أشهر متتالية، وفي وسطها تقع أيام الحج، فمقام الحاج بمكة وأداء حجه يكون في أمن وأمان، وكذلك حال مجيئه إلى الحج، وحال عودته إلى أهله والرابع من الأشهر الحرم هو شهر رجب، ولعل الحكمة في انفراده وكونه بعد أيام الحج بستة أشهر تقريباً؛ لاشتياق الناس لزيارة الحرم الشريف .

والمسجد الحرام معروف المكان ومحدد منذ آلاف السنين، وقد أمر الله تعالى نبيه إبراهيم بأن يرفع قواعد البيت، كما قال تعالى : ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ﴾ واختلف في هذه القواعد التي رفعها إبراهيم عليه السلام، فقد قال بعضهم : إنها من وضع آدم، وقيل : من وضع الملائكة، وقيل غير ذلك من الأقوال التي ذكر الإمام ابن جرير الطبري أنه ليس لها مستند صحيح .

وحين أمر الله تعالى نبيه إبراهيم عليه السلام ببناء الكعبة، قدم من الشام إلى مكة، فلما وصل مكة أخبر ابنه إسماعيل أنه أمر ببناء الكعبة المشرفة، وحُدّد له مكانها، فقام بهذا الأمر هو وابنه إسماعيل عليهما السلام. وبعد بناء الكعبة المشرفة أمر الله تعالى نبيه إبراهيم عليه السلام أن ينادي في الناس ليحجوا إلى هذا البيت، كما قال تعالى : ﴿ وأذن في الناس بالحج ﴾، وذكر أن إبراهيم عليه السلام قال : وكيف أبلغ الناس وصوتي لا ينفذهم، فقيل له : ناد، وعلينا البلاغ، وقيل : إنه قام على مقامه الذي كان يقوم عليه

لبناء الكعبة، وقيل : على جبل أبي قبيس، وقيل : على الصفا، فنأدى قائلاً :
يا أيها الناس، إن ربكم قد اتخذ بيتاً فحجوه، فيقال : إن الجبال تواضعت
حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وأسمع من في الأرحام والأصلاب،
وأجابه كل من سمعه، ومن كتب الله له أن يحج إلى يوم القيامة قائلاً :
(ليك اللهم ليك)، ويَبِّنَ خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام
المناسك للناس .

ومنذ ذلك الوقت بدأ الناس بالتوافد على البيت العتيق، وبدأ الاهتمام
به، حتى إن قريشاً عندما أرادت بناء الكعبة وتجديدها تعاهدوا على ألا
يضعوا فيها مالا حراماً، فلما قصرت نفقاتهم عنها أخرجوا جزءاً من الكعبة
وهو المعروف بالحجر .

وعندما جاء الإسلام زاد من تشریف هذا البيت وتعظيمه وتطهيره
والعناية به، ولم يكن للمسجد الحرام - منذ عهد الخليل عليه السلام وحتى
عهد النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه - سور يحيط به، وكانت دور أهل مكة
تحيط بالحرم من جميع جهاته، وإنما كانت أفواه السكك التي يدخلون منها
على بيوتهم تنتهي بالمسجد الحرام، وربما سميت أبواباً للحرم .

وقد قام الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بوضع سور
للمسجد الحرام، وكان سوراً قصيراً أقصر من قامة الرجل، كما أنه اشترى
البيوت التي قربت من الكعبة حين ضيقت المسجد على الطائفين، ولما أبى
بعضهم البيع ألزمهم، وقال : إنكم نزلتم عليها ولم تنزل عليكم .

ولما ولي عثمان رضي الله عنه وسع المسجد أيضاً، واشترى ما حوله من
الدور وتعاقب أمراء مكة، والخلفاء على الاهتمام بالبيت وتوسعته والاهتمام

بالكعبة بناء وكسوة، منهم عبد الله بن الزبير، وهو الذي أعاد الكعبة إلى قواعد إبراهيم عليه السلام حينما حدثته خالته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، بقول النبي : (لولا أن قومك حديثو عهد بإسلام لنقضت الكعبة وبنيتها على قواعد إبراهيم)، ففعل ما كان يرغبه عليه السلام، فأدخل الحجر فيها، ولكن الحجاج سعى عند عبد الملك بن مروان لإعادتها على بناء قريش، فأعادها .

وعندما تولى الخليفة العباسي المنصور أراد أن يعيدها على بناء عبد الله بن الزبير، فقال له الإمام مالك رحمه الله : لا تفعل حتى لا تكون الكعبة ملعبة للملوك، فاستحسن العلماء ما قاله الإمام مالك، ثم بعد ذلك وفي عهد المهدي العباسي تمت توسعة المسجد الحرام، فتوسطت الكعبة المسجد، ثم جدد بعضه الخليفة المعتمد، ثم وسعه المعتضد بالله، ثم الخليفة المقتدر بالله، ثم السلطان سليم خان العثماني، ثم السلطان مراد خان الذي بنى القباب على الرواق بدل التسقيف بالخشب، وبنائه هو المعروف اليوم بالرواق العثماني، وقد ذكرنا تفاصيل أعمالهم في كتابنا رعاية الحرمين الشريفين منذ صدر الإسلام حتى عهد خادم الحرمين الشريفين .

ولما دخل الملك عبد العزيز رحمه الله مكة المكرمة سنة ١٣٤٣هـ بدأ بالاهتمام بالبيت الحرام، وكان من الأعمال الجليلة التي عملها وحفظها له التاريخ توحيد الصلاة في المسجد الحرام خلف إمام واحد، فإنه لما دخل مكة ورأى أن كل مذهب من المذاهب الأربعة له إمام يصلي بالناس، أصدر أمره بأن يصلي جميع المسلمين في المسجد الحرام خلف إمام واحد هو إمام

الشافعية، فتحققت بهذا أمنية من الأمنيات التي طالما تمنّاها عدد من العلماء في كتبهم المؤلفة في المناسك والفقه، وسألوا الله تعالى أن يقبض للأمة من يزيل هذه البدعة المنكرة.

وكان الوضع قبل توحيد الملك عبد العزيز هذا أنه كان للمسجد الحرام أئمة عدة من المذاهب الأربعة، بل والزيدية في وقت من الأوقات، حيث ذكر أن أحد ولاية مكة وكان زيدي المذهب هو أول من بناها؛ فجعل مقام الزيدية في الجهة الجنوبية، وذلك ليستقبل المصلي ما بين الركنين كما هي قبلة أهل اليمن، وبني بقية المقامات كل مقام في جهة، ولم يجعل للحنابلة مقامًا، ثم لما زالت إمارتهم على مكة، ألغي المقام الزيدي ووضع الحنبلي مكانه، وكان لكل مقام من هذه المقامات إمام يصلي في الوقت الأفضل في مذهبه، فكانت تتعدد الجماعات للفرض الواحد، حتى إنهم في وقت المغرب الذي يتفقون في زمن الصلاة فيه، يصلي كل إمام على حده، وخلفه من يتبعه من أهل ذلك المذهب، ومبلغ يبلغ خلفه فيشوش بعضهم على بعض .

ويلاحظ أن وجود هذه المقامات، وتعدد الجماعات بتعدد مذاهب الأئمة كان منذ وقت قديم، وكان بعضهم يظن أن هذه المقامات أحدثت في أوائل المئة التاسعة، كما ذكر ذلك الإمام الشوكاني رحمه الله، حيث قال : إن أول من أحدثه هو فرج بن برقوق أحد ملوك الشراكسة، والصحيح أنها أنشئت قبل ذلك بكثير، ولم نجد ما يدل صراحة على وقت إنشاء هذه المقامات إلا أن عددًا من المؤلفين في تاريخ مكة ذكروا أنها كانت موجودة قبل سنة سبع وتسعين وأربعمئة، كما ذكره الفاسي في شفاء الغرام، وأقدم ما

اطلعنا عليه ما ذكره النجم عمر بن فهد في كتابه إتحاف الورى، حيث ذكر ما يدل على أنها كانت موجودة سنة ٤٨٨ هـ .

و شاء الله أن تكون إزالة هذه البدعة على يد الملك عبد العزيز رحمه الله بعد أن بقيت في المسجد الحرام مدة تسعة قرون تقريباً .

كما أمر طيب الله ثراه بهدم القباب الموضوعة على القبور، التي كان كثير من الناس يتبركون بها، ويتوسلون بأصحابها، بل إن بعضهم يطلب من أصحابها العون والمدد، والأمر نفسه حدث في مدينة المصطفى ﷺ .

وقد أشار إلى هذا الصنيع الشاعر محمد بن عبد الله بن عثيمين رحمه الله في قصيدته التي هنا فيها الملك عبد العزيز، حين دخوله المدينة المنورة، حيث يقول فيها :

سفر الزمان بغرة المستبشر	وكسي شاباً بعد ذاك المكبر
وتألفت في طيبة سرج الهدى	ما بين روضة سيدي والمنبر
وتألفت من قبل ذاك بمكة	إذ قدست من كل رجس مفتر
ليت الذي سكن الثرى ممن مضى	من أهل بدر والبقيع المنور
نظروا صنيعك في المدينة والتي	يهوي إليها كل أشعث أغبر
كي يشهدوا أن الفضائل قسمت	بالفضل بين مقدم ومؤخر
ويسرهم إحيائك الشرع الذي	قد كان قبلك مثل روح مغرغر
ثم أمر الملك عبد العزيز بترميم المسجد الحرام، وإزالة الدكاكين	

الموجودة على جنبات المسعى، كما أمر رحمه الله ببناء مصنع لكسوة الكعبة المشرفة، وكسيت من ذلك المصنع في سنة ١٣٤٦ هـ وغير ذلك من الأعمال، ثم توالى الملوك من آل سعود على العناية بالمسجد الحرام، فكانت التوسعة الكبيرة التي بدأت في عهد الملك سعود والتي أمر بها الملك عبد العزيز، وقد شملت أمورًا عدة منها : بناء القبو، والدور الثاني، وبناء المسعى بطابقيه، وبناء زمزم بوضعه الحالي في صحن المطاف، وغير ذلك .

وفي عهد الملك فيصل حصلت أيضًا إصلاحات منها : تطوير أعمال مصنع كسوة الكعبة، وإزالة القبة التي على مقام إبراهيم، ووضع مسار للعربات في المسعى . وفي عهد الملك خالد تم توسيع صحن المطاف، وبلط بالرخام البارد المقاوم للحرارة، وهو الموجود حاليًا، والذي جلب خصيصًا من جزيرة في اليونان، كما تم في عهده توسيع قبو زمزم، وصنع باب جديد للكعبة المشرفة .

وفي عهد خادم الحرمين الشريفين حفظه الله حدثت توسعة كبيرة للمسجد الحرام، وتمت تهيئة ساحات محيطه به، وارتفعت الطاقة الاستيعابية للمصلين من ثلاثمئة وثلاثة عشر ألف مصل في التوسعة السعودية الأولى إلى أربعمئة وستين ألف مصل، هذا عدا سطح المسجد والساحات، وأما معها فتصل الطاقة الاستيعابية إلى ثمانمئة وعشرين ألف مصل، يرتفع في أوقات الزحام إلى قرابة المليون مصل .

ومن أعظم الأعمال في المسجد الحرام الترميم الأخير للكعبة المشرفة، الذي بدأ في العاشر من شهر المحرم من سنة ١٤١٧ هـ والذي لم يحصل مثله منذ عام ١٠٤٠ هـ، واستمر العمل فيها أشهرًا عدة، وذلك أنه لوحظ أن

التلف قد بدأ في بعض أجزاء الكعبة، وبالذات في الأعمدة الخشبية التي تحمل السقف، فأزيلت من داخل الكعبة الطبقة الأولى من اللياسة، وبعض أحجار الكعبة التي ظهرت فيها الأرضة، ثم نظفت بماء زمزم وأعيدت إلى مكانها، كما تم حفر داخل الكعبة كاملاً، وإزالة التراب الموجود فيه، ووضع تراب جديد خال من آثار الرطوبة والأرضة، كما تم استبدال الأعمدة الخشبية التي يرتفع عليها السقف، وتغيير سقف الكعبة الخشبي بنوع خاص من الأخشاب جلبت من بورما .

وقد كان من اهتمام ولاية الأمر وفقهم الله بالمسجد الحرام صدور الأمر بإنشاء الرئاسة العامة للإشراف الديني على المسجد الحرام سنة ١٣٨٤هـ، وعين سماحة الشيخ عبد الله بن حميد رئيساً لها، وقد شرفني رحمه الله سنة ١٣٨٥هـ أن أكون إماماً وخطيباً في المسجد الحرام ورئيساً للمدرسين فيه، ومشرفاً على معهد الحرم المكي الذي أنشئ في العام نفسه . وكان عمل الرئاسة مقتصرًا في ذلك الوقت على الشؤون الدينية في المسجد الحرام، وتشمل الأئمة والمؤذنين والمدرسين، أما بقية الأمور فقد كانت تحت إشراف وزارة الحج والأوقاف .

ثم إنه في سنة ١٣٩٧هـ أنشئت الرئاسة العامة لشؤون الحرمين، لتكون مسؤولة عن كل ما يتعلق بالحرمين الشريفين، من الناحية الدينية وغيرها، والتي غير اسمها سنة ١٤٠٧هـ إلى الاسم الحالي (الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي) وكان أول رئيس للرئاسة العامة لشؤون الحرمين فضيلة الشيخ ناصر بن حمد الراشد، ثم عين بعده فضيلة

الشيخ سليمان بن عبيد، وكنت نائباً للرئيس العام لشؤون الحرمين الشريفين في عهدها رحمهما الله، وفي سنة ١٤١١هـ عينت رئيساً عاماً لها، حتى طلبت إحالتي للتقاعد عام ١٤٢١هـ.

أما فيما يتعلق بنشأتي وطلبي للعلم، فقد ولدت في مدينة البكيرية سنة ١٣٤٥هـ، وعندما بلغت السابعة دخلت كغيري فيما يسمى بالكتاتيب، وبدأت بحفظ القرآن على يد والدي وخالي الشيخ محمد المحمود والشيخ عبد الرحمن الكريديس حتى أتمته وأنا في الرابعة عشرة من العمر، ثم بدأت بحضور حلقات العلماء، كالشيخ محمد بن مقبل قاضي البكيرية، وشقيقي الشيخ عبد العزيز بن سبيل الذي تولى قضاء البكيرية بعده، وكانت طريقتنا في الدراسة عليهما على النحو التالي :

بدأ من بعد صلاة الفجر بالقراءة في علم النحو، ونقرأ فيها متن الأجرومية، وملحة الإعراب للحريري، وألفية ابن مالك وكنا نحفظها جميعاً.

ثم بعد طلوع الشمس نقرأ في زاد المستقنع في فقه الحنابلة، وكنا نحفظ منه بضعة أسطر يسمعها الشيخ من عدد من الطلاب، ثم يقوم بشرحها، ثم نقرأ الروض المربع شرح زاد المستقنع.

ثم بعد ذلك تبدأ القراءة الحرة في كتب المطولات؛ حيث يبدأ كل طالب بالقراءة عليه في كتاب من الكتب التي يختارها، فإذا انتهى بدأ الآخر وهكذا، فمنهم من يقرأ في صحيح البخاري، أو مسلم، أو السنن الأربعة، أو المنتقى للمجد ابن تيمية، أو بلوغ المرام، أو الشرح الكبير، أو غير ذلك، ثم يختتم الدرس بتاريخ ابن كثير، أو مفتاح دار السعادة لابن القيم، أو من

مدارج السالكين، أو غيرها من الكتب، ويحضر القراءة عادة جمهور من الناس للاستماع والاستفادة، وكنت أقوم بهذه القراءة على الشيخ رحمه الله خلفاً للشيخ عبد الله الخليلي رحمه الله الذي انتقل حينذاك إلى مكة المكرمة.

ثم بعد ذلك يجتمع من يرغب من الطلاب مع بعضهم للتباحث في المسائل، ومراجعة ما سوف يقرؤونه .

ثم بعد الظهر نقرأ على الشيخ إلى قرابة العصر أحياناً، ويقرأ كل واحد من الطلاب من كتاب يختاره .

وبعد العصر تكون هناك قراءة قصيرة، ينصرف الناس بعدها إلى أعمالهم حتى غروب الشمس .

ثم يعودون بعد المغرب للقراءة في علم الفرائض والنحو إلى صلاة العشاء، وبهذا ينتهي اليوم الدراسي على الشيخ، وربما جلس بعض الطلاب بعد صلاة العشاء للاستذكار والتباحث إلى وقت متأخر من الليل.

ومن المشايخ الذين قرأت عليهم في تلك الفترة الشيخ صالح الشاوي، والشيخ محمد بن خزيم وغيرهم من المشايخ . وفي مكة المكرمة حضرت دروس أشهر المحدثين في الحرم الشريف فضيلة الشيخ أبي محمد عبد الحق الهاشمي، وفضيلة الشيخ أبي سعيد عبد الله، المدرسين في المسجد الحرام ودار الحديث، ولدي من كل منهما إجازة في الحديث .

وعند افتتاح أول مدرسة في البكيرية سنة ١٣٦٧هـ عينت مدرساً فيها، مع الاستمرار في طلب العلم، وحضور حلقات العلماء .

ثم في سنة ١٣٧٣هـ عينت مدرسًا في المعهد العلمي في بريدة عند إنشائه، بناء على ترشيح من سماحة الشيخ عبد الله بن حميد الذي درست على يديه خلال وجوده في بريدة، وحين عين رحمه الله رئيسًا للإشراف الديني على المسجد الحرام شرفني باختياره لإمامة المسجد الحرام عام ١٣٨٥هـ.

وعند قدومي إلى مكة كان في المسجد الحرام من الأئمة :

معالي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن حسن آل الشيخ .

وفضيلة الشيخ عبد المهيمن أبو السمح .

وفضيلة الشيخ عبد الله خياط .

وفضيلة الشيخ عبد الله الخليلي .

وفضيلة الشيخ عبد الرحمن الشعلان .

كما كان فيه أئمة ممن لم أدركهم : سماحة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ رئيس القضاة، وفضيلة الشيخ عبد الظاهر أبو السمح، والشيخ عبد الرزاق حمزة، وقد رشحهما الشيخ محمد رشيد رضا حين طلب منه الملك عبد العزيز ترشيح من يثق به من علماء مصر؛ لتولي الإمامة في الحرمين الشريفين . رحم الله الجميع وأسكنهم فسيح جناته .

أما الأئمة في الوقت الحاضر فهم حسب تاريخ تعيينهم :

معالي الشيخ صالح بن حميد رئيس مجلس الشورى .

وفضيلة الشيخ عبد الرحمن السديس .

وفضيلة الشيخ سعود الشريم .

والابن عمر رحمه الله الذي توفي في غرة المحرم من سنة ١٤٢٣هـ .

وفضيلة الشيخ أسامة خياط .

وفضيلة الشيخ صالح آل طالب .

ومن الذكريات في الحرم، ذلك السيل العظيم الذي دخل المسجد الحرام سنة ١٣٨٧هـ؛ حيث وصل الماء إلى منتصف باب الكعبة، وارتفع منسوب الماء في الجهة الغربية من الحرم حتى وصل الماء في الأروقة إلى المراوح المعلقة في السقف . وحين عمل مشروع تصريف السيول أصبح المسجد الحرام في مأمن منها والحمد لله .

ومن أبرز الأحداث التي مررت بها حادثة جهيمان التي حدثت في الأول من المحرم سنة ١٤٠٠هـ، في ذلك الوقت كنت إمامًا لصلاة الفجر، وبعد الانتهاء من الصلاة، وحين انصرفت إلى المأمومين، إذا بعشرات الأشخاص قادمين نحو الكعبة ومعهم أسلحتهم . وكانت هناك جنازة فوقفت للصلاة عليها، وإذا بشخص يريد أخذ (الميكروفون) فأمسكت به، فأخرج خنجرًا ورفع علي وطلب مني ترك (الميكروفون)، فقلت له : اتق الله ودعنا نصلي على الجنازة، فانصرف وصلينا عليها، ثم رُفِعَ (الميكروفون) سريعًا، واختلط الناس فاخفيت بينهم، ثم اتجهت إلى غرفة لي في الحرم، واتصلت مباشرة بالشيخ ناصر بن حمد الراشد، رئيس شؤون الحرمين آنذاك رحمه الله وأخبرته بالأمر، وأسمعتة طلقات الرصاص، وعلمت فيما بعد أنهم يسمحون للحجاج بالخروج من الحرم، ويمنعون خروج

السعوديين؛ إذ يطلبون منهم مبايعة مهديهم المزعوم، وبعد قرابة أربع ساعات قررت الخروج من الحرم، فتركت المشلح والشماع، ونزلت إلى باب القبو القريب من الغرفة، وتوسطت المسلحين اللذين كانا في الباب، خافضاً رأسي متخفياً بين الحجاج، وأغلبهم من الإخوة الأندونيسيين، حتى سلم الله تعالى، وخرجت من بينهم، وقد أشاعت بعض الإذاعات الخارجية أن إمام المسجد الحرام قد قتل، وبعضهم ذكره بالاسم، مما أقلق الكثير من الأقارب والمحبين، ونحمد الله أن سلمنا وأطفأ تلك الفتنة .

هذا وأسأل الله تعالى أن يقي بلادنا شر الفتن، وأن يحفظ ولاية أمورنا، ويوفقهم لما يحبه ويرضاه لما يقدمونه من أعمال جليلة في رعاية الحرمين الشريفين، إنه سبحانه سميع مجيب .



المقالات والتصريحات

المقالات والتصريحات

تناقلت وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة خبر وفاته رحمه الله، وبثت العديد من القنوات تقارير تلفزيونية عن وفاته، وعرضت جوانب من سيرته، وتلاوته، ومواقفه، كما أفردت الصحف الورقية والالكترونية صفحات وأخبار عن حياته رحمه الله، ونشرت العشرات من المقالات التي تحدثت عنه رحمه الله .

كما عبر المئات من الناس عبر وسائل الاتصال الحديثة (تويتر - فيسبوك - الواتس آب) عن تعازيهم، ودعواتهم، وبعض المواقف التي مرت بهم، أو سمعوها عنه رحمه الله .

كما نشروا المقاطع المرئية، والمسموعة، لبعض صلواته، وخطبه في المسجد الحرام .

وفما يلي عدد من تلك المقالات التي نشرت لبعض العلماء، والمشايخ، والفضلاء، والمحبين، التي ذكروا فيها جوانب من سيرته رحمه الله، وأوردوا فيها مواقف، وأحداث، وأخبار، ومعلومات، نوردها كما ذكروها، والعهدة فيها على كاتبها، جزاهم الله خيرًا، وأحسن إليهم .

المؤلف

(١)

فقيه النفس والدرس.. العالم الإمام

الشيخ محمد بن عبد الله السبيل " رحمه الله "

الكاتب : معالي الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد

إمام وخطيب المسجد الحرام وعضو هيئة كبار العلماء ورئيس مجمع
الفرقة الإسلامية الدولية والمستشار بالديوان الملكي.

« الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. وبعد:

كتب الله الفناء على جميع الخلائق، فسنته في ذلك ماضية، ومشيتته
نافذة، وحكمته بالغة، له الملك كله وإليه يرجع الأمر كله، وفي التنزيل
العزیز: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾، وقال عزّ شأنه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ
المُوتِ﴾.. يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: وفي هذه الآية تعزية جميع الناس،
فانه لا يبقى أحد على وجه الأرض حتى يموت.

والقرآن الكريم سمي الموت مصيبة، فقال جل وعلا: ﴿فَأَصَابَتْكُمْ
مُصِيبَةٌ المُوْتِ﴾، وحين تقع هذه المصيبة يكون لها شدتها ومصاها على من
حول المتوفى، من أهله ومعارفه، ومحبيه بخاصة، وعموم الناس بعامة. يقول
أيوب السخيتاني رحمه الله: إني أُخْبِرُ بموت الرجل من أهل السنة، فكانني
أفقد بعض أعضائي» أخرج ذلك الإمام اللالكائي، وأخرج أيضًا عن حماد
بن زيد رحمه الله تعالى أنه قال: « كان أيوب يبلغه موت الفتى من أصحاب
الحديث، فيرى ذلك فيه». فإذا كان هذا هو الشعور عند موت الفتى

والرجل المغموور وغير ذي المكانة العلمية والصلاح، فكيف يكون الحال عند موت أحد العلماء والفضلاء وأصحاب الصلاح والأخيار؟.. إن موت العالم، يقضّ المضاجع، ويهيل المدامع، فحياة العالم غنيمة، وموته مصيبة. ومن علامات الخير في المجتمع والناس أن تعرف للعالم منزلته، وتحفظ له مقامه، يظهر ذلك ويؤكد ما يظهر على الناس من تأثر وفجيرة عند حدوث العارض أو المرض، فكيف إذا كان المصاب بالوفاة وحلول الأجل؟.. وقد ظهر هذا الشعور وتجلى حين فقدت الأمة العالم المسند الفقيه الإمام معالي الشيخ محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز السبيل - رحمه الله وغفر له-، الذي أمّ الناس في بيت الله ما يقرب من خمسة وأربعين عامًا، وعضو هيئة كبار العلماء، وعضو المجمع الفقهي الإسلامي ورئيس الحرمين الشريفين.

فقد عرف الشيخ -رحمه الله- عالمًا راسخًا في علمه، ونبيلًا راقيًا في أدبه وحسن تواصله وإحسانه، وتخلقه بأداب الشريعة وسمت حملتها، حمل العلم فتعلم وعلم، واستبطن الخلق فتأدب وأدب.

وقد ظهر نبوغه منذ صغره فقد حدثني معالي الشيخ صالح بن محمد اللحيان بأن الشيخ محمدًا كان يؤم المصلين في مدينة البكيرية منذ عام ١٣٦٢هـ، بل قال إنه كان يعد أصغر حافظ للقرآن الكريم في البلد آنذاك. وقد نشأت صلتي بالشيخ -رحمه الله- من صلته بوالدي -رحمه الله- حين كان قاضيًا في منطقة القصيم، فقد كنت صغيرًا في المرحلة الابتدائية، وكان الشيخ محمد مع أخيه فضيلة الشيخ عبدالعزيز العالم الفقيه من خاصة جلساء الوالد، فكنت أراه في بيتنا في بريدة يجلس مع الوالد مع بعض

الجلساء الخاصين الذين يأنس بهم الوالد - رحمه الله - لعلمهم، وظرفهم، وحسن أدبهم، وحديثهم وسعة اطلاعهم، كما كان يصحب الوالد في بعض أسفاره، ورحلاته وتنزهاته؛ لما يتمتع به من فضل، وصلاح، وأدب، وظرف مجلس.

ثم زادت المعرفة به رحمه الله حين انتقل إلى مكة المكرمة، فازداد القرب منه، وتوثقت الصلة به رحمه الله.

ثم أكرمني الله بالإمامة في المسجد الحرام، ثم العمل تحت رئاسته رحمه الله نائباً له، فتوثقت الصلة، وكثير مما أدونه هنا هو بعض ما عرفته عنه رحمه الله.

الشيخ محمد رحمه الله من خريجي حلقات العلم، حيث طلب العلم على يد والده، وعلى يد الشيخ عبدالرحمن الكريديس في سن الرابعة عشرة، وأحسن تجويد القرآن على يد الشيخ سعدي ياسين.. أخذ العلم الشرعي عن أخيه الشيخ العلامة قاضي البكيرية والمدرس في الحرم المكي عبدالعزيز السبيل، والشيخ العلامة قاضي البكيرية محمد المقبل وسماحة الوالد الشيخ عبدالله بن حميد، كما قرأ في مكة المكرمة على المحدثين الشيخ عبدالحق الهاشمي.. والشيخ أبي سعيد عبدالله الهندي، ولديه منها إجازة في الحديث -رحمهم الله جميعاً-

وبعد تحمله العلم من هؤلاء العلماء الأفاضل فقد أداه وتلقاه عنه جملة من كبار علماء البلاد وغيرها، وكان رحمه الله مسنداً ومجيزاً للمرويات الحديثية والمدونات العلمية، وممن درس عليه الشيخ صالح الفوزان عضو

هيئة كبار العلماء، والشيخ عبدالرحمن الكليه رئيس المحكمة العليا، والشيخ مقبل ابن هادي الوادعي المحدث اليميني المعروف -رحمه الله رحمة واسعة.

أما أعماله: فقد تولى رحمه الله جملة من الأعمال العلمية والإدارية حيث درّس في وزارة المعارف والمعاهد العلمية ما يقارب عشرين عامًا، ثم عُيّن إمامًا وخطيبًا في المسجد الحرام ورئيسًا للمدرسين والمراقبين ومسؤولًا عن الشؤون الدينية فيها عام ١٣٨٥هـ، ثم عُيّن نائبًا لرئيس الإشراف الديني على المسجد الحرام ١٣٩٠هـ، واستمر نائبًا حتى بعد تشكيلها الجديد باسم الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، ثم عُيّن رئيسًا لها عام ١٤١١هـ.

وكان عضوًا في المجمع الفقهي في رابطة العالم الإسلامي منذ إنشائه، وعين عضوًا في هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، كما تولى التدريس بالمسجد الحرام منذ عين إمامًا فيه، كما كانت له مشاركة فاعله في برنامج الافتاء الشهير نور على الدرب، كما قام بجولات دعوية وإرشادية في كثير من دول العالم الإسلامي وغيرها، وكان لها الأثر البالغ في نفع الناس، وحل جملة من المشكلات، كما تولى رئاسة إدارة الجمعية الخيرية لمساعدة الشباب على الزواج، ورئاسة لجنة أعلام الحرم. وقد استمر في الإمامة والخطابة في المسجد الحرام ما يقارب خمسة وأربعين عامًا.

الشيخ رحمه الله في كل ما تولاه من أعمال وتعليم ودعوة وإدارة وتوجيه كان متأنياً في قراراته، متروياً في إجراءاته، يعالج الأمور بحكمة سالك مسالك الوسطية، حريصاً على كسب الرضا، وحفظ الود، ولا سيما العاملين معه، حسن الإنصات، في علم وصبر وأناة وحكمة.

من مظاهر حكمته وحسن تصرفه ما حصل له حين اقتحم جهيمان وأتباعه المسجد الحرام فجر اليوم الأول من المحرم عام ١٤٠٠هـ، فقد كان الشيخ رحمه الله هو الإمام في الصلاة فلما فرغ من الصلاة تقدم بعض هؤلاء الاتباع مدججًا بالسلاح؛ ليتحدث من مكبر الصوت، فحاول الشيخ منعه بحكمته وحزمه، وكان المناادي قد نادى لصلاة الجنازة، واستطاع الشيخ أن يصلي على الجنازة، ثم تكاثر هؤلاء وبدأوا في تعديهم وتجاوزاتهم، فبقي الشيخ داخل المسجد الحرام، وذهب إلى خلوته، وصار يتصل بالمسؤولين ويطلعهم على الأوضاع أولاً بأول، ويتلقى منهم ما يوجهون به، جلس على ذلك قرابة ساعة ونصف الساعة، وبعد تفاهمه مع المسؤولين رأوا مناسبة خروجه من المسجد، ولكن المعتدين قد بدأوا بإغلاق الأبواب وتفتيش الخارجين، فرأى الشيخ بحكمته وهدوئه خلع مشلحه الذي كان يرتديه، وحسب تعبير الإذاعة البريطانية في حينه قالت: (إنه خلع ملابسه الدينية) فخرج الشيخ بحسن تصرفه، ولم يستطيعوا أن يلحقوا به الأذى.

ومن دلائل حكمته وفضله وثقة المسلمين فيه أنه قام عام ١٤١٥هـ، بزيارة إلى جمهورية مالي بدعوة من رئيسها ألفا عمر كوناري، وكان يرافقه في هذه الزيارة معالي الدكتور محمد أحمد علي -رئيس بنك التنمية الإسلامي-، وطلب الرئيس من الشيخ أن يقوم بجهود الصلح بين بعض القبائل هناك، وكان قد أوشكت أن تقوم بينهما حرب أهلية، فما كان من الشيخ بتوفيق الله له ثم بحكمته وعلمه وحسن تصرفه إلا أن قام بجهود مباركة، أثمرت عن قبول الصلح وحقن الدماء في ذلك البلد المسلم، وحمد الناس له مساعيه المشكورة.

ومما يحفظ للشيخ كذلك رحمه الله أنه قال في أحد لقاءاته لبعض رؤساء الدول التي يتكون شعبها من مسلمين وغير مسلمين والبلد يسوده الهدوء والنظام والرئيس غير مسلم، قال له الشيخ مذكراً ومنبهاً: إن العدل وملاحظة حقوق الناس والنظر إليهم بالسوية هو الذي يحقق هذا الهدوء والانتظام والرضا، أما الظلم والجور فإنه عدو الشعوب، وعدو الاستقرار، وكان لهذه الكلمات موقعها وأثرها على ذلك الرئيس، كما قال الحاضرون، فرحم الله الشيخ، ما أحكمه وما أعقله.

والشيخ رحمه الله مجلسه عامر بكل طبقات المجتمع، بل من كل أنحاء العالم الإسلامي، وقد زاد من ذلك ووثقه رحلاته العلمية والدعوية، فالشيخ رحمه الله يكاد يكون جاب أرجاء العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه، ومن شماله إلى جنوبه، فزار المراكز الإسلامية، والمدارس الدينية، والأقليات الإسلامية، وتوثقت بتلك الزيارات العلاقات، فكان بيته عامراً بالزوار من جميع شعوب العالم الإسلامي، يدفعهم لذلك كرم الشيخ ولطفه وحسن استقباله ودماثة خلقه، بل لقد ظهر ذلك في يوم جنازته رحمه الله، فقد كان يوماً مشهوداً في المشيعين من العلماء والغرباء والوجهاء والفقراء وكل الفئات والطبقات فرحمه الله رحمة واسعة.

والشيخ - رحمه الله - عالم متمكن في علوم الفقه والتوحيد والعربية وآدابها؛ والشيخ يحفظ من عيون الشعر وغرر القصائد ونوادر القصص والملح ما يعكس علم الشيخ وفقهه وفضله وظرفه وحسن حديثه وأنس مجلسه.

كما أنه سريع الاستحضر للأدلة والشواهد، وجليس الشيخ لا يمل،

فمجلسه مجلس علم وفقه وأدب فيه النوادر الفقهية والملح الأدبية والمقطعات الشعرية. ومع هذا العلم الغزير والفضل الكبير إلا أنه لم يكن من المكثرين في التأليف، وله في ذلك سلف من أهل العلم كثير، والأسباب في ذلك معروفة من أهمها انشغالهم بالتعليم، والدعوة وتبصير الناس، وهو ظاهر في بلادنا لدى أئمة الدعوة وعلماؤها؛ لأن مما تربوا عليه التركيز على الدعوة إلى الله ونشر العلم والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعل ذلك من الأولويات التي لا يقدم عليها غيرها، مما شغلهم عن التأليف والتصنيف.

ومع هذا فقد ترك الشيخ بعض المؤلفات التي تدل على علم الشيخ، وفقهه، وعمق فكره، ورجاحة عقله، وسعة اطلاعه، من ذلك رسالته الحكيمة: «الأدلة الشرعية في حق الراعي والرعية»، وقد ألفها رحمه الله قاصداً «بيان حق ولاة الأمور على الرعية، وحق الرعية على الولاة، ووما يجب لكل منهم من الحقوق، وبيان ما عليه من الواجبات، وما حمل من أمانة ومسؤوليات.. رأى رحمه الله الحاجة إلى بيانها في هذا الزمن داعية، والمصلحة في إظهارها مقتضية، وذلك لما في قيام كل من الراعي والرعية بما أوجب الله عليهم؛ من مصالح كثيرة للعباد والبلاد، دينية ودنيوية»، وقد كانت هذا الرسالة مدوناً مختصراً أبرز فيه معالم السياسة الشرعية وتحكيمها في تراتيب المسؤولية، فركز المسؤوليات الكلية على الراعي والرعية، وأبرز جوانب التكاملية بين تلك المسؤوليات ودورها في حفظ الدين وسياسة أمور الدنيا، كما أوضح ذرائع التوفيق، ووسائل النجاح للدولة المسلمة، من خلال تولية الأكفاء، وأصحاب الأمانات في النهوض بمسؤولية ولي الأمر في رعاية

الدولة وصيانتها، وما يتحقق بذلك بنزع الفساد وتقليل الإفساد. ومن التأصيل الشرعي الذي أوضحه رحمه الله في هذا المدون ما اهتم -أهل السنة والجماعة- بإيضاحه وبيانه والتأكيد على رعايته والقيام به، وهو ما لولاة الأمور من حقوق وواجبات، ومن أوجه الاهتمام ومظاهره: «أن أهل السنة والجماعة نصوا على هذه الحقوق في كتب العقائد والتوحيد... وبينوا: أن هذا الأمر هو مقتضى ما دل عليه الكتاب والسنة، من وجوب: السمع والطاعة لولاة الأمر إلا أن يأمروا بمعصية، فإن أمروا بمعصية فلا طاعة لهم، لأنه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق ويرون: النصح والدعاء لهم، وإعانتهم على الحق..»، كما نص -أهل السنة والجماعة- على أن من حقوق ولاة الأمور على الرعية: إجلالهم، وتوقيرهم، وتعظيمهم في النفوس؛ لأن ذلك أوقع في هيبتهم، حتى يحذرهم أهل الفسق والفجور.. وقد أكد رحمه الله هذه القيمة وأثرها على دفع أسباب الفتن، ونشوء النزاع في صفوف الأمة، ودعا أهل العلم والدعاة، ومن له تأثير في مجتمعه أن يسعى جهده في الإصلاح والنصح وجمع الكلمة وتأليف القلوب؛ ليتحقق نشر الشرع ورحمة الخلق.

بمثل هذا السفر العلمي يصنع العالم الموازنة لواقعه ومجتمعه وقد ضبط ذلك بالأدلة الشرعية والمصالح الشرعية، وغياب العالم عن هذه المسؤولية هو فرار من الغاية التي اصطفِيَ لها، وتجفيف لوسائل وحدة الصف وجمع الكلمة المناط به.

ولمنبر الحرم المكي مع الشيخ محمد -رحمه الله- تذكير وذكرى، وله في ذلك ديوان خطب من جزئين بيّن من خلال خطبه السلسلة جملة من

الموضوعات التي قرب بها حضور الشريعة في بيان العبادة والعادة، والدلالة على موطن الإشكال، ودفعه، وأسباب المشكلة وحلها، والحث على مكارم الأخلاق، والنهي عن سفاسفها.

ومن مؤلفاته رحمه الله: الخط المشير إلى الحجر الأسود في صحن المطاف ومدى مشروعيته، ورسالة في حد السرقة، ورسالة في القاديانية، ورسالة في حكم التجنس بجنسية غير إسلامية، وديوان شعر.

وأخيراً: إنما كان موت العلماء مصيبة عظيمة، وحادثاً جليلاً؛ لما لهم من الأثر البالغ في صلاح العباد والبلاد. فإن الموت سنة في الناس ماضية ومنهم العلماء والله تعالى حافظ لدينه وكتابه. عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله يقول: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبق عالماً، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً» قد انتقل النبي عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى بعدما بلغ رسالة ربه أتم تبليغ، وبقي الدين بعده مرفوعاً على يد ورثة الأنبياء من أهل العلم الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، بل قد جاء في التنزيل: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾.. والوصية في هذا المقام أن تلتف الأمة حول علمائها، وتنهل من معينهم، وتستفيد من حكمتهم، وذلك علامة خير وفلاح وصلاح لعموم الأمة بعامة ولشبابها وناشئتها بخاصة، وهو كذلك من توقيير العلماء ومعرفة حقهم ومكانتهم.. ففي المسند ومستدرك الحاكم

عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله: «ليس منا من لم يجلّ كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه».. ولا شك بأن محبة الناس وتعاطفهم وكثرة عددهم عند تشييعهم لجنائز أهل العلم، شاهد بين ومشهد يزيد الاستبشار بخيرية هذا المجتمع، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وكما هي ودود فهي ولود، فرحمها تدفع العلماء وأهلها بهم يفرحون ومعهم يلتحمون فيتحقق حفظ البلاد ونفع العباد وهم القنطرة الواصلة والموصلة حقوق الرعاية للراعي والذاكرة والمذكورة بواجب الراعي على الرعاية. فرحم الله شيخنا محمد بن عبد الله السبيل رحمة واسعة ورفع منزلته في عليين وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ونفع الله بذريته وأعماله البلاد والعباد.

وقد خلف والله الحمد ذرية صالحة، فيهم طلبة علم متمكنون، حملة لكتاب الله، وفيهم أصحاب مسؤوليات في الدولة كبرى، زادهم الله صلاحًا وإحسانًا وتوفيقًا.. وإن لله عزاء في كل مصيبة، وخلفًا من كل هالك، ودرجًا من كل فائت.. والحمد لله رب العالمين؛ وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم» .

المصدر: جريدة الجزيرة (العدد: ١٤٦٩٣) وجريدة الشرق الأوسط (العدد: ١٢٤٤٦):

١١/٢/١٤٣٤هـ - ٢٤/١٢/٢٠١٢م .

(٢)

ثلثة الحرم في فقد الإمام العلم

الكاتب : معالي الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد

إمام وخطيب المسجد الحرام وعضو هيئة كبار العلماء ورئيس مجمع
الفقه الإسلامي الدولي والمستشار بالديوان الملكي

« الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

إن مآثر العلماء العلمية والعملية يزهو بها التأريخ كما تزهو بها المحابر
والأوراق، فهي تلخص للأجيال مواقف، وشواهد صناع التأريخ، فبعث
تلك المآثر هو نوع من أحياء النفوس، واستجلاب الرموز العاملة في واقع
المسلمين، الذين كانوا نبراس هداية وإصلاح، وبناء علمي ومعرفي في
جوانب عدة، ومن هؤلاء الأفاضل صاحب المعالي العالم الأديب الحافظ
المسند الشيخ / محمد بن عبد الله السبيل رحمه الله، فقد كان رحمه الله
مسطور ومنطوق يستحق النشر والإبراز، ليستجلي منه الناظر مقام الشيخ
رحمه الله في الميدان العلمي والعملية.

فللشيخ رحمه الله مدونات علمية تعنى بإبراز أثر الكتاب والسنة
النبوية ومقامهما، في الارتقاء بحياة الناس على تعددها وتنوعها، وتهذيب
النفوس وتقريب منهج التربية الإسلامية، وبيان الحق فيما يجب على الخلق
في حق الله سبحانه، ثم حق الغير والنفس، ورسم المنهج الأسمى في بيان
دعوة محمد عليه الصلاة والسلام، وتبيين دلائل نبوته وحتمية محبته

ونصرته، وكشف مقام الصحابة وإعلان فضائلهم، وتجلية العقيدة الصافية، من خلال شرح مسائل الجاهلية، وتأصيل طبيعة العلاقة المتبادلة بين الراعي والرعية. توزعت على أرباع الدين، ربع العبادات، وربع المعاملات، وربع المنجيات، وربع المهلكات.

واجتمع للشيخ على منبر المسجد الحرام خطب عدة، عاجلت قضايا متنوعة، جمع فيها بين التأصيل والبيان، في أسلوب واضح لكل سامع.

وإن علم الحديث ذو أولوية في حياة الشيخ على مستوى الدراية والرواية، فخط قلمه رسالة في الإجازة بالرواية، فقد كان من المسنين في رواق الحرم المكي، وهو مبصر لمواقع الإسناد ومواضعه العالي منه والنازل، فتسلسلت له مدونات الحديث، وأهل العلم بين الإجازة والوجادة.

من جميل ما جمع للشيخ محادثته للمجتمع من خلال منصة الإذاعة في برامج علمية، وأخرى إفتائية اشتملت على النصيحة في الشأن الاجتماعي، والتربوي، والفقهية، والموعظة المتنقلة بين الترغيب والترهيب.

وللحرمين في اهتمام الشيخ سبق للعناية والرعاية، فقد وظف قلمه البحثي في تأصيل بعض المسائل المتعلقة بأحكامهما، واطر رصداً كشف به معالم الرعاية لهما.

ومن فضل الله أن جميع هذا المنشورات العلمية قد جمعت في هذه الأسفار المستتسلة؛ لتبرز جهد الشيخ رحمه الله ومجهوداته، فيظفر محبو الشيخ بتركته العلمية، لينهلوا منها المعاني الشرعية، ويتأملوا من خالص التوجيهات والإرشادات التربوية.

وقد أحسن الجامع فضيلة الدكتور عبد المجيد بن محمد السبيل، ومن بعده الشيخ أحمد بن فهد الشويعر، في بناء هذا السفر المديح بترجمة حافلة لشيخنا العالم الأديب محمد بن عبد الله السبيل، التي جلت سيرة الشيخ من درجة في العلم إلى ارتقائه سلم المسؤولية.

ثم جاءت الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي بتوجيه من معالي رئيسه الزميل الصديق الشيخ الدكتور / عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، لتضمين هذه الثمار، وتجميعها في هذا السفر ذي المجلدات؛ ليبقى ذخراً وذكراً لشيخنا محمد، أسبل الله عليه شأبيب رحمته.

سائلاً المولى أن يرحم الشيخ رحمة واسعة، وأن يبلغه أعلى المنازل في الجنة، وأن يبارك في علمه وينفع به، وأن يوفق ذريته لكل خير في أمر الدين والدنيا.

المصدر: كلمة الشيخ في مقدمة المجموعة الكاملة لمؤلفات ساحة الشيخ محمد بن عبد الله

السبيل رحمه الله.

(٣)

ثلثة الحرم في فقد الإمام العلم

الكاتب : معالي أ.د. الشيخ عبدالرحمن بن عبد العزيز السديس

الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي وإمام وخطيب
المسجد الحرام .

« الحمد لله، النافذ أمره، الغالب قهره، لا رادّ لقضائه ولا معقب
لحكمه، سبحانه وبحمده، جعل لكل أجل كتابًا، وللمنايا آجالًا وأسبابًا،
وأصلي وأسلم على الهادي البشير، والسراج المنير، نبينا محمد بن عبد الله،
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم
الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد:

فإن لله سبحانه وتعالى الحكمة البالغة، والقدرة النافذة في كونه
وخلقه، وإن مما كتبه الله جلّ وعلا على خلقه الموت والفناء، يقول سبحانه:
﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، ويقول عز
وجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ * كُلُّ
نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْحَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾.

هو الموت ما منه ملاذ ومهرب متى حط ذا عن نعشه ذاك يركب

وإن أعظم أنواع الفقد على النفوس وقعًا، وأشدّه على الأمة لوعة
وأثرًا، فقد العلماء الربانيين والأئمة المصلحين؛ ذلكم لأن للعلماء مكانة
عظيمة، ومنزلة كبرى، فهم ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل والأمناء على
ميراث النبوة، وهم للناس شמוש ساطعة، وكواكب لامعة، وللأمة

مصاييح دجاها، وأنوار هداها، بهم حفظ الدين، وبه حفظوا، وبهم رُفعت منارات الملة، وبها رفعوا ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾، فهم أهل خشية الله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ ولذلك كان فقدهم من أعظم الرزايا، والبليّة بموتهم من أعظم البلايا، وأنى للمدلجين في دياجير الظلمات أن يهتدوا إذا انطمست النجوم المضئية، صحّ عند الإمام أحمد وغيره من حديث أنس -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال : «إنما مثل العلماء كمثل النجوم يهتدي بها في ظلمات البر والبحر فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة»، يقول الإمام أبوبكر الآجري رحمه الله: «فما ظنكم بطريق فيه آفات كثيرة، ويحتاج الناس إلى سلوكه في ليلة ظلماء، فقيض الله لهم فيه مصاييح تضيء لهم فسلكوه على السلامة والعافية، ثم جاءت فئام من الناس لا بد لهم من السلوك فيه فسلكوا، فبينما هم كذلك إذ طفت المصاييح، فبقوا في الظلمة، فما ظنكم بهم، فهكذا العلماء في الناس»، وحسبنا في بيان فداحة هذا الخطب، وعظيم مقدار هذه النازلة قولُ المصطفى ﷺ في الحديث النبوي الذي خرّجه الشيخان عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا، وقد قال حبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿أولم يروا أننا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾، قال : بموت علمائها وفقهائها وخيار أهلها، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه- قال قال رسول الله ﷺ : «تظهر الفتن ويكثر الهرج ويُقبض

العلم»، فسمعه عمر يأثره عن النبي ﷺ فقال: «إن قبض العلم ليس شيئاً يُنتزع من صدور الرجال، ولكن فناء العلماء»، وقال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : «عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه ذهاب أهله»، وفي الأثر عن علي - رضي الله عنه - : «إذا مات العالم ثلّم في الإسلام ثلّمة لا يسدها إلا خلفٌ منه»، وقال الحسن - رحمه الله - : «موت العالم ثلّمة في الإسلام لا يسدها شيءٌ ما اختلف الليل والنهار»، وقيل لسعيد بن جبير - رحمه الله - ما علامة الساعة وهلاك الناس؟ قال: إذا ذهب علماءهم، ولما مات زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال ابن عباس رضي الله عنهما: «من سرّه أن ينظر كيف ذهابُ العلم فهكذا ذهابه»، وقال - رضي الله عنه - : «لا يزال عالم يموت وأثرٌ للحق يدرس، حتى يكثر أهل الجهل ويذهب أهل العلم، فيعملون بالجهل ويدينون بغير الحق، ويضلون عن سواء السبيل».

إذا ما مات ذو علم وتقوى فقد ثلّمت من الإسلام ثلّمة

يقال ذلك أيها الأحبة في هذا الوقت الذي رزئت فيه أمتنا الإسلامية بفقد عالم من علمائها، ووفاة إمام من أئمتها، ألا وهو فضيلة الشيخ الوالد العلامة/ محمد بن عبد الله بن سبيل - عليه رحمة الله - إمام وخطيب المسجد الحرام، وعضو هيئة كبار العلماء، وعضو المجمع الفقهي، والرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي سابقاً، ثلّمته لا تسدّ والمصيبة لفقده لا تحدّ والفجيعة لموته نازلة لا تنسى، وفاجعة لا تمحى، والخطب بفقده جلل، والخسارة فادحة، فليست الرزية على الأمة بفقد جاه أو مال أو بموت شاة أو بعير، كلا ثم كلا، ولكن الرزية أن يُفقد عالم يموت حين موته جم غفير وبشر كثير.

لعمرك ما الرزية فقد مال ولا شاة تموت ولا بعير

ولكن الرزية فقد شههم يموت بموته بشر كثير

فموت العالم ليس موت شخص واحد، ولكنه بنيان قوم يُتهدم وحضارة أمة تتهاوى.

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

لقد فقدت الأمة الاسلامية بوفاة معالي الشيخ محمد بن عبدالله السبيل عالما من علمائها، الذين اشتهروا بالتواضع ولين الجانب وحسن الخلق والعلم الواسع، عالماً عاملاً، قضى في محراب المسجد الحرام ومنبره أكثر من أربعين عاماً، إماماً وخطيباً ومدرساً لطلاب العلم في حلق المسجد الحرام، وكان - رحمه الله - واسع العلم ثاقب الفكر قليل الكلام، وإماماً مشهوداً له بالفضل، يلتقي بجميع من يريد مقابله، وينظر في حاجاتهم فيقضيهما إن كانت في يده، ويشفع شفاعات حسنة لدى الآخرين... وقد استقبل العالم الإسلامي نبأ وفاته بالحزن العميق، وكم هي الاتصالات والتعزيات التي تلقتها الرئاسة من مديري الجمعيات والمراكز الإسلامية في شبه القارة الهندية وأوروبا وجنوب أفريقيا وغيرها.

ولقد شرفت بالعمل معه - رحمه الله - منذ تعييني إماماً وخطيباً للمسجد الحرام، ووجدت منه كل محبة وعون وتوجيه.

وأذكر له ويذكر غيري كثير خيره وفضله علينا جميعاً في الحرم ومنسوبي الرئاسة، فكان منذ أن وطئت قدماي مكة لنيل شرف الإمامة في

الحرم الشريف استقبلني بكل حفاوة، وشجعني على القيام بهذه المهمة العظيمة، وقال لي استلم الراية، وكان يشرفني بالإنباء عنه في صلاة العشاء كثيرًا في الحرم الشريف؛ لتعدد رحلاته ومسؤولياته، وكان بمثابة الوالد الحاني والمعلم الباني، وهو مدرسة في العلم والفضل والحكمة وحسن الخلق، وموسوعة في معارفه وآدابه وحسن معشره وملاطفته، وكان محل تقدير ولاة الأمر والعلماء؛ لما حباه الله من مزايا.

وكان شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - يجله ويعتبره مرجعية معتبرة في مكة المكرمة؛ لعلمه وفضله، وهو بحر في الفقه لاسيما فقه الحنابلة، وقد نلت شرف التدريس في الحرم في عهده المبارك ووجدت منه التشجيع والدعم الكبير، وسعى لي ولزملائي الأكارم في وجود خلوات في الحرم تعين على راحة الإمام وقيامه بمسؤوليته، وقد عني - رحمه الله - بمعهد الحرم وكان من أساطينه وأعمدته ورموزه، وقد أفدت من مجالستي له كثيرًا، فهو كتاب مفتوح، ومدرسة متميزة، لا تمل مجالسته، ولطف معشره، جمع الله له بين العلم والعقل والأدب والخلق وحب الناس له.

وقد عني - رحمه الله - بالرحلات الدعوية، فلا تكاد تمر سنة إلا وله مشاركات في الدعوة إلى الله خاصة في باكستان والهند وجاليتينها في أمريكا وأوروبا وغيرهما، وله عندهم مكانة مرموقة، استثمارها في حبهم للحرمين وأئمتها وعلمائهما، في نشر المعتقد الصحيح والمنهج القويم، وهو أديب متمكن وأريب بارع، وما مرثيته الشهيرة في سماحة الشيخ عبد الله بن حميد - رحمه الله - إلا دليل على علو كعبه في الشعر والأدب، وله مؤلفات كثيرة

وإسهامات في أبحاث المجمع الفقهي، كما كان هو ومعالي الدكتور صالح بن حميد - حفظه الله - يمثلان لي مدرسة، نهلت منها في مجالات شتى، خاصة إبان قدومي إلى مكة المكرمة، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

وقد كنت مع أخي الصديق الصفي والخل الوفي ابنه الدكتور/ عمر، نفيد منه كثيرًا في فنون متعددة، فرحمه الله رحمة الأبرار، وأمطر على قبره شأبيب الرحمات الدرار.

وإن من حسن العزاء عند فقد العلماء أن دين الله محفوظ، وشريعته باقية، وخيره يفيض ولا يغيض، فأعلام الديانة مرفوعة بحمد الله، ولا تزال طائفة من أمة محمد ﷺ على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، كما صحَّ بذلك الخبر عن سيد البشر عليه الصلاة والسلام خرَّجه مسلم وغيره، وأخرج أبو داود بسند جيد، والحاكم وصححه: "أن رسول الله قال: إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها"، وعلم هذا الدين يحمله من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ولم تُصب الأمة بمُصيبة هي أعظم من مصابها بفقد الحبيب المصطفى ﷺ فالمصيبة بفقد من بعده تهون، مهما كان شجاها، كما أن من حسن العزاء أن هؤلاء العلماء رحمهم الله باقون بذكرهم، أحياء بعلمهم، يلهج الناس بالثناء عليهم، والدعاء لهم، ويجتهدون في اقتفاء آثارهم، وترسم خطاهم علمًا وعملاً، ودعوة ومنهجًا، تشبهاً بالكرام إن لم يكونوا مثلهم، فذلك أمانة الفلاح وطريق الخير والصلاح، كما أن من حسن العزاء

أيضاً أن علماء الشريعة والله الحمد والمنة متوافرون، عبر الأعصار والأمصار يُحي الخلفُ منهج السلف، وإننا لنرفع من العزاء أصدقاه، لولاة أمرنا ولعلمائنا وطلاب العلم عامة، وأبناء الشيخ، وأسرته وأقاربه ومنسوبي الرئاسة ومحبيه في العالم أجمع؛ رحم الله شيخنا ورفع درجته في المهديين، وأخلفه في عقبه في الغابرين، وجمعنا به ومشايخنا في جنات النعيم، إنه جواد كريم.

كما نسأله سبحانه أن يلهمنا رشدنا، وأن يغفر لمن مات من علمائنا، ويرفع درجاتهم في المهديين، ويوفق الأحياء لبيان الحق والدعوة إليه، وأن يرزقهم التسديد والتأييد، ويكتب لهم القبول ودوام النفع، وأن يخلف على الأمة الإسلامية خيراً، ويحفظها من شرور الغير وهول الفواجع، الله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى، والحمد لله على قضائه وقدره، وهو وحده المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، إنا لله وإنا إليه راجعون، ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾.

رحم الله الوالد العلامة الشيخ محمد بن سبيل رحمة الأبرار، وأسكنه أعالي الجنان، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

(٤)

الكاتب : معالي الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس
الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي وإمام وخطيب
المسجد الحرام.

« الحمد لله الذي رفع شأن العلم وعظم قدر العلماء، والصلاة
والسلام على إمام الخنفاء وسيد الأصفياء، وعلى آله وصحبه ومن سار على
نهجه واقتفى أثره ما تعاقب النور والظلماء، أما بعد:
فما لا شك فيه أن للعلماء مكانة كبرى، ومنزلة عظمى، قال تعالى:
﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ فإذا جعلت
النجوم زينة للسماء، وهي اللآلئ التي طرزت بها الصحيفة الزرقاء، فإن
العلماء هم زينة الأرض ونورها وجمالها وسرورها، بهم تهتدي العقول
الحائرة، ومن معينهم ترتوي النفوس الظامئة، وإلى ظلالهم الندية تفيء
الأرواح الطاهرة.

ولقد حَدَّثَنَا فَجْرُ التَّارِيخِ، وَأَنْبَاءُ ضُحَى الزَّمَانِ، بَلْ أَصَلَّتْ لَنَا
شريعة الدِّيانِ، أَنَّ حضارات الأمم والجماعات، وأمجاد الشُّعوب
والمُجتمعات: العلمية، والفكرية، والإصلاحية، لا تقوم إلا على مَصاييح
العلوم، ومشاعِل المعرفة، وسُرُجِ الفهوم، التي يَمْتَشِقُهَا العلماء الرَّبَّانِيُّونَ :
المُصلِحُونَ الصَّادِقُونَ، والمُفكِّرون المُلهمون، والمُرَبُّون المبدعون ؛ لأنهم
كالماء المعين يَسُوقُهُ المولى - سبحانه - إلى الأرض الجُرْزِ، فتَهْتَرُّ بعد همود،
وتَرَبُّو بعد جمود، فَتَنْبِتُ كُلَّ زَوْجٍ بهيج، وتَضُوعُ بِكُلِّ عَرَفٍ أريج ؛ لأنهم

خُصُّوا بِسِرِّ مِيرَاثِ الْأَنْبِيَاءِ، أَلَا وَهُوَ: الْعِلْمُ، قَالَ ﷺ: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرِثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، لَمْ يورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا ورَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ، أَخَذَ بِحِظِّ وَاْفِرِّ» رواه أبو داود. قال العلامة ابن القيم رحمه الله: (العلم هاد، وهو تركة الأنبياء وتراثهم، وأهله عَصَبَتُهُمْ وورَثَتُهُمْ)؛ لأنه مُنْطَلِقُ الدِّينِ، وِرْكَازُ الدَّعْوَةِ الثَّمِينِ، وَنَبْرَاسُ الْأُئِمَّةِ الْمُجْتَهِدِينَ، الْعِلْمُ: رِيبِعُ الْبَاحِثِينَ النَّبَهَاءِ، وَعِطْرُ الدَّارِسِينَ النَّجَبَاءِ، وَأَنْسُ الْمُحَقِّقِينَ النَّبَلَاءِ، فِيهِ نُورُ السُّبُلِ وَالدُّرُوبِ، وَجَلَاءُ الْبَصَائِرِ وَالْقُلُوبِ؛ لِذَلِكَ - وَمَا أعْظَمَ ذَلِكَ - لَمْ يَسْتَزِدِ الْمُصْطَفَى ﷺ إِلَّا مِنَ الْعِلْمِ، قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

وإن يكن العلماء بهذا المحل الأسنى والمقام الأعلى؛ فإن لعلماء الحرمين الشريفين من الشرف أعلاه، ومن الفضل أزكاه، كيف لا وقد شرفهم الله، فجعلهم حراس المنبعين، وأسطين المسجدين، ولذلك كانت لهم في العالم الإسلامي مكانة لا تجارى، ومنزلة لا تبارى.

ومن هؤلاء الأئمة الفضلاء والعلماء الأجلاء والحكماء النبلاء معالي شيخنا العلامة الفقيه الإمام/ محمد بن عبد الله السبيل - رحمه الله - الذي اشتهر علمه وصيته اشتهار الشمس في رابعة النهار، وسار ذكره الأرج المعطار، في مشارق الأرض ومغاربها من الأقطار؛ كيف وقد قضى من عُمُرِهِ الْمُبَارَكِ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً فِي مَحْرَابِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمِنْبَرِهِ، يَدْعُو إِلَى اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بِلِسَانِهِ وَمِزْبَرِهِ: تَرْبِيَةً وَتَعْلِيمًا، إِرْشَادًا وَتَفْهِيمًا، دَاخِلِيًّا وَدَوْلِيًّا، وَذَلِكَ بِمَا خَصَّهُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - بِالْمَكَارِمِ الْفَرِيدَةِ الْحُسْنَى، وَالْمَنَاقِبِ الْمَوْشَاةِ بَهْجَةً وَحُسْنًا: فَعَقْلٌ مَوْفُورٌ رَاجِحٌ، وَقَوْلٌ نَدِيٌّ سَاجِحٌ، مَعَ طَيْبِ الْمَعْشَرِ، وَكَرَمِ النَّجَارِ، وَمَجَادَةِ النَّحِيْتَةِ، عَزَزَ ذَلِكَ وَعَضَّدَهُ فِي مَيْدَانِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ: صَفَاءُ الذَّهْنِ، وَقُوَّةُ الْعَارِضَةِ، وَالتِّمَاعُ الْفَوَادِ، فَكَانَ -

رحمه الله وأكرم مثواه - طيلة حياته في رياض الجِدِّ والدَّابِّ مَسِيرُهُ، والعِلْمِ دَيْدَنَهُ وَسَمِيرُهُ، وَحُبِّ الخَيْرِ حَادِيهِ وَمُثِيرُهُ، إِلَى أَنْ عَدَا فِي الفِقه - وَالْحَنْبَلِيِّ خُصُوصًا - طُودَهُ الْأَشْمَ، وَبَدَّرَهُ الْأَتَمَ، الَّذِي تَلَأَلَتْ فِي العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ بَوَارِقُهُ، وَسَرَى مِنْهُ عَذْبُهُ وَرَائِقُهُ، مَعَ دِقَّةِ التَّدْلِيلِ، وَجَزَالَةِ التَّأْصِيلِ، وَفِي الخُطَابَةِ الخُطِيبِ المُجَلِّيِّ المُصَقِّعِ، وَفِي الدَّعْوَةِ وَالعُظْمِ، الرَّائِدِ المُسَطَّعِ، وَأَمَّا فِي اللُّغَةِ وَفُنُونِهَا، فَفَارِسٌ وَأَيُّ فَارِسٍ !! زَا حِمٍ بِمَتَيْنِ عَارِضْتَهُ ابْنُ فَارِسٍ . وَفِي الجُمْلَةِ، فَقَدْ صَحَّ فِيهِ قَوْلُ الإِمَامِ الشَّاطِبِيِّ - رَحِمَهُ اللهُ - «وَقَدْ تَحَقَّقَ بِالعِلْمِ وَصَارِلُهُ كَالوَصْفِ المَجْبُودِ عَلَيْهِ، وَفَهُمَ عَنِ اللهِ مُرَادَهُ» .

وَمِنْ يَسِيرِ الوَفَاءِ لِشَيْخِنَا العَلَامَةِ - رَحِمَهُ اللهُ - جَمْعُ آثَارِهِ وَطِبَاعَتِهَا وَنَشْرُهَا ؛ رَاجِعِينَ مِنَ المَوْلَى - جَلَّ اسْمُهُ - أَنْ تَكُونَ مِنَ العَمَلِ الخَالِدِ البَاقِي، الَّذِي لَا يَعْرِوهُ انْفِصَالٌ أَوْ انْقِطَاعٌ، أَوْ دُرُوسٌ وَانْتِضَاعٌ ؛ لِمَا أَخْرَجَهُ مُسَلِّمٌ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلَاثَةٍ : إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَكَلِّدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ » .

لعمرك ما الرزية فقد مال ولا شاة تموت ولا بعير

ولكن الرزية فقد شهم يموت بموته بشر كثير

وَمِنْ هُنَا تَأْتِي أَهْمِيَّةُ جَمْعِ الحَصِيلَةِ العِلْمِيَّةِ، وَالتَّجَارِغِ الزَّاخِرِ الَّذِي تَرَكَ هَذَا العَالَمَ الجَلِيلَ، وَنَشْرَهُ فِي دُرُوسِهِ وَخُطْبِهِ وَفَتَاوَاهِ وَمُؤَلَّفَاتِهِ، فَهُوَ لَيْسَ بِمَجْرَدِ عِلْمٍ يَجْمَعُ، بَلْ هُوَ : عِلْمٌ وَتَرْبِيَّةٌ وَتَرْكِيَّةٌ وَتَجْرِبَةٌ وَخَبْرَةٌ، بَلْ هِيَ مُوسَّعَةٌ مُتَكَامِلَةٌ فِي شَتَى العِلْمِ وَالمَجَالَاتِ .

ولقد كان من فضل الله على الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي أن قامت بطبع هذا التراث الضخم ونشره وتوزيعه عبر مركزها الميمون (مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي) وهو مركز مبارك يقوم عليه ثلة من ذوي الاختصاص والخبرة، ويعنى بدراسات الحرمين الشريفين الشرعية والتاريخية والعلمية، وقد جمعت هذه الحصيلة العلمية المباركة في عشرة أسفار تتهادى إلى قرائها في حلة قشبية وطبعة فاخرة وتنسيق أنيق ؛ لعله يكون من المآثر الباقية والصدقات الجارية لشيخنا المبجل رحمه الله.

وختامًا أزجي من الشكر أعطره، ومن التقدير أوفره، للأبناء البررة، والأصهار الخيرة، لساحة شيخنا العلامة محمد بن عبد الله السبيل - رحمه الله - كفاء برهم بالدهم، وحرصهم على إخراج آثاره العلمية الكاملة ؛ ليرتوي منها الصادي، ويشدو بإمتاعها الحادي . كما أتوجه إلى الله بالدعاء أن يسبغ على شيخنا واسع رحمته وعظيم مغفرته كفاء ما قدم في خدمة الإسلام والمسلمين وما قدمه للحرمين الشريفين، وأن يجعل هذا العمل المبارك في ميزان حسناته وصالح أعماله إنه جواد كريم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً .

المصدر : كلمة الشيخ في مقدمة (المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ العلامة محمد بن عبد الله

السبيل رحمه الله)

(٥)

الكاتب : فضيلة الشيخ الدكتور أسامة بن عبد الله خياط

إمام وخطيب المسجد الحرام .

« إذا تنوعت أقدار الحياة، وتعددت أسبابها؛ فإن فقد أهل العلم، وغياب ذوي الفضل والمكانة، هو من أشد هذه الأقدار، وأعظمها وقعاً، وأبلغها أثراً .

وإن من أشد الأنباء تكديراً، وأعظمها إيلاًماً وتأثيراً : نبأ وفاة ساحة الوالد العلامة الجليل المحدث الفقيه الشيخ : محمد بن عبد الله السبيل، إمام وخطيب المسجد الحرام، عضو هيئة كبار العلماء، الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي- سابقاً- رحمه الله رحمة واسعة. فلقد كان لساحته الأيادي البيضاء التي لا تنسى، والفضائل الجمّة، والمناقب العظيمة، التي يذكرها له كل من ائتم به في صلاة، أو استمع إليه في خطبة، أو جلس إليه في درسٍ من دروسه في المسجد الحرام طوال مدة جاوزت الأربعين عاماً من عمر الزمن، كان فيها - رحمه الله - الإمام القدوة، والخطيب المؤثر، والداعية الصادق، والعالم المتمكن، والناصح المخلص، والإداري الناجح. أحسبه كذلك، ولا أزكيه على الله. كان رحمه الله، تقبل عليه، فيلقاك هاشا باشا بأحسن لقاء، وأجمل عبارة. وتصغي إليه، فتجد في كلامه نصحاً رقيقاً، وإرشاداً وتوجيهاً حكيماً مسدداً مستلهماً من هدي خير الورى - صلوات الله وسلامه عليه - القائل : «عَلَيْكُمْ بِالرَّفْقِ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ؛ فَإِنَّ الرَّفْقَ مَا كَانَ فِي أَمْرٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ» .

ومثل هذا النصح المسدد الكريم، لا ريب في طيبٍ وحسنٍ موقعه من النفس، ولا ريب -أيضاً- في دوامٍ وبقاء أثره كذلك. وكان -رحمه الله- متصفاً بأحسن الصفات وأجملها: من سلامة الصدر، وحسن الخلق، ولين الجانب، وحب الإحسان إلى عباد الله: ببذل المعروف، والسعي إلى الإصلاح، والإكرام لهم، وكثرة التودد إليهم. وقد كان والدي -رحمه الله- وهو الذي كان وثيق الصلة به رحمه الله؛ لاشتراكهما في الخطابة في المسجد الحرام ردحاً من الزمن - كان كثير الثناء عليه، عظيم المحبة له، موصول الدعاء له، رحمهما الله. وأحسب أن سماحته -رحمه الله- ممن جمع الله له هذه الخصال الواردة في الحديث: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

فرحم الله سماحة شيخنا رحمة واسعة، وغفر له في المهدين، ورفع درجاته في عليين، وألحقه بصالح سلف المؤمنين، آمين، آمين».

المصدر: جريدة المدينة: ٦/٢/١٤٣٤هـ - ١٢/١٢/٢٠١٢م، العدد: ١٨١٣٧.

(٦)

رحم الله الشيخ محمد بن عبد الله السبيل

الكاتب : معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي .

« توفي الشيخ الجليل محمد بن عبد الله بن السبيل رئيس شؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي السابق وإمام المسجد الحرام رحمه الله .
وقد نشرت الصحف نعيه وكلمات في بيان علمه وعمله وحسن خلقه، وهو جدير منها بأكثر من ذلك .

لقد عرفت الشيخ محمد بن عبد الله بن محمد السبيل طالب علم، كان يحضر بصحبة شقيقه الشيخ عبدالعزيز في البكيرية وهو أكبر منه سنًا بكثير، فيسلم على المشايخ والعلماء في بريدة، وبخاصة شيخنا الشيخ العلامة عبد الله بن محمد بن حميد رحمه الله وجزاه الله عنا خيرًا .

ثم عرفته معرفة أوثق وأكثر استمرارًا عندما فتح المعهد العلمي في بريدة عام ١٣٧٣هـ، وعينت مديرًا له، والتحق الشيخ محمد بالمعهد مدرسًا، واستمر فيه طيلة بقائي مديرًا له لمدة سبع سنوات، إلى أن نقلت إلى الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، منذ تأسيسها في عام ١٣٨٠هـ، وكانت في ذلك الوقت مجرد فكرة لم تخرج إلى حيز التنفيذ، إلا بعد شهر وبقي الشيخ محمد السبيل مدرسًا في المعهد العلمي حتى عام ١٣٨٥هـ حين تم نقله إلى مكة المكرمة إمامًا للمسجد الحرام، الذي كان يقوم على أمره آنذاك شيخنا الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رحمه الله .

وفي عام ١٣٩٠هـ عين نائبًا لرئيس الإشراف الديني على المسجد الحرام، ثم نقل عملي آنذاك من وظيفة الأمين العام للدعوة الإسلامية في الرياض إلى رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة .

وبذلك أصبحنا نسكن في بلد واحد، هو مكة المكرمة، وبذلك استمرت الصلة بيننا .

وقد عين الشيخ محمد السبيل عام ١٤١١هـ في وظيفة الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي برتبة وزير، وفي عام ١٤٢١هـ انتهى عمله بناء على طلبه .

لقد كان الشيخ محمد السبيل مدرسًا ناجحًا بالنسبة إلى عمله مع طلابه وزملائه، وكان لي أخًا وزميلًا وصديقًا، لا أذكر أنه تسبب في مشكلة واحدة لإدارة المعهد العلمي أو طلابه، بل على العكس من ذلك كان يسعى إلى حل أي إشكال يحدث، وكان هو المدرس الذي جمع بين العلم والعمل، البشاشة في الوجه، وحسن البهجة .

وكان على ذلك محبًا للبحث العلمي، حريصًا على جمع الفوائد والكتب .

أما في حب النادرة والغوص على النكتة الرصينة، فإنه كان المثال الجيد على ذلك .

إذ كان يحفظ شعر كثيرًا من شعر المتقدمين، ويتذاكر فيه، ويستشهد به مع زملائه، وله إلى جانب ذلك شعر جيد نقلت منه ما يكفي في معجم أسر البكيرية الذي لا يزال مخطوطًا .

ومن أحاديثه الطريفة أنه قال لي: سوف أخبرك بشيء، لقد قررت أن أتزوج، فقلت له إن عندك خيرًا، فقال إن عندي خيرًا كثيرًا، ولكن الزيادة من الخير خير .

فقلت له: إني سوف أسألك بعد زواجك هذا عن حالها معك، قال: ألا تسألني عن حالي معها؟ فقلت: لا .

فهم مقصودي قال ذلك بعبارة طريفة لا أذكرها بنصها، وكان يتكلم معي بصفتي أخًا وصديقًا .

كان الشيخ محمد السبيل كثير الاستحضار للنصوص، وكان الذي يجلس معه لا يعدم من فائدة علمية يكتسبها، أو نكتة بريئة يضحك لها، أو معلومة قديمة يستفيدها .

وكان يهتم بمعرفة كتب العلماء القدماء، ويحرص على الاطلاع على ما لم يكن قد اطلع عليه، وبذلك صار مؤلفًا، وله مؤلفات مطبوعة هي :

١- من منبر المسجد الحرام (ديوان خطب ٤ أجزاء) .

٢- الإيضاحات الجليلة في الكشف عن حال القاديانية .

٣- حد السرقة في الشريعة الإسلامية .

٤- الأدلة الشرعية في بيان حق الراعي والرعية .

٥- حكم التجنس بجنسية دولة غير إسلامية .

٦- حكم الاستعانة بغير المسلمين في الجهاد .

٧- الخط المشير إلى الحجر الأسود في صحن المطاف ومدى مشروعيته .

٨- رعاية الحرمين الشريفين منذ صدر الإسلام وحتى عهد خادم الحرمين الشريفين .

٩- رفيق الطريق في الحج والعمرة .

١٠- دعوة المصطفى ﷺ ودلائل نبوته ووجوب محبته ونصرته .

١١- من مشكاة النبوة .

١٢- نبذة وجيزة عن عمارة الحرمين الشريفين .

١٣- ديوان شعر .

١٤- من هدي النبي صلى الله عليه وسلم .

١٥- المختار من الأدعية والأذكار طبع في ١١٣ صفحة .

١٦- الأدلة الشرعية في بيان حق الراعي والرعية طبع في ٨٦ صفحة .

لقد رزق الشيخ محمد السبيل بأبناء نجباء، عددهم خمسة عشر ابناً وبناتاً من ثلاث زوجات، منهم الدكتور عمر بن محمد السبيل، وأعتقد أن هناك إجماعاً على حسن خلقه وجزارة علمه، وتوفي في حادث سيارة في محرم ١٤٢٣هـ فحزن عليه الناس، وكانت فاجعة لأهله ولزملائه من طلبه العلم، بل ولعمامة الناس لأنه كان يؤم الناس في المسجد الحرام في بعض الصلوات، نعرفه مثلما عرفه طلبة العلم، وبخاصة الغرباء منهم بسرعة

العمل على تلبية ما يحتاجون إليه من مال أو حاجة .

ومن أبنائه رحمه الله الأستاذ عبدالله كانت آخر وظيفة شغلها وكيل وزارة الشؤون البلدية والقروية تقاعد وهو عليها .

والدكتور عبدالعزيز بن محمد السبيل وكيل وزارة الثقافة والإعلام سابقاً والمستشار في وزارة التربية .

وبقية أبنائه من النجباء البارزين، قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ بارك الله فيهم وفي عقبهم.

ويبقى أن نذكر الشيخ محمد بن عبدالله السبيل هو من (الغيب) أهل شقراء قدم جده عبدالعزيز من شقراء إلى عنيزة، وصار من أهلها، وانتقل والد الشيخ محمد السبيل إلى البكيرية، فاتخذ منها وطناً، وولد له أبناء ومنهم الشيخ (محمد بن عبدالله السبيل) في عام ١٣٤٥هـ فعمر الشيخ محمد السبيل عندما توفي هو ٨٩ سنة .

وقال رحمه الله :

تقوى الإله سفينة الأبرار وهي النهى ومطمح الأنوار

وهي الصراط لطالب سبل العلى وهي المنار لمهتد بمنار

وهي السعادة إن حللت رحابها وهي الفخار تفوق كل فخار

لله در أفاضل نالوا به قرب الإله بجوده المدرار

ما نال من نال المكارم والثنا أو حل فوق منازل الأقيمار
 إلا هداة للتعق قد حققوا وتسابقوا في خدمة الغفار
 وتميزوا بصفاتهم بين الورى وترفعوا عن خلة الأشرار
 وترنموا بالوحي في أسحارهم وتفهموا ما فيه من أسرار
 حذروا الفواحش والمآثم والخنأ وتدرعوا بالصبر عن أخطار
 قد محصوا درن الذنوب بتوبة ومدامع هطالة وغزار
 يكون خوفاً من أليم عقابه إن ذكروا أو خوفوا من نار
 يمشون هوتاً صائنين نفوسهم عن منكر أو منطق المهذار
 بالرفق يدعون العباد لربهم لا فحش عندهم لدى الإنكار
 حفظوا نفوساً عن معاتبة الهوى أعظم به من فاتن غرار
 يرجون فضلاً من كريم محسن ألطافه ترى مدى الأعصار
 قد أملوا غرف الجنان وحورها ونعيمها والسلسيل الجاري
 هذا النعيم من الإله وفوقه نظر العباد إليه بالأبصار
 رحم الله الشيخ محمد بن عبدالله السليل، وأجزى له المثوبة على ما
 قدم من عمل صالح، إنه سميع قريب .

(٧)

رحم الله السبيل

الكاتب : معالي الدكتور د . محمد بن ناصر الخزيم نائب الرئيس العام

لشؤون المسجد الحرام

« كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » إنا لله وإنا إليه راجعون.. بعد عصر يوم الاثنين ٤ / ٢ / ١٤٣٤ هـ هاتفني أخي سعادة الأستاذ عبد الله بن محمد السبيل بصوت مختلف ونبرة حزينة محشرجة في صدره مخبراً بوفاة والدنا سماحة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، وأن يجعل ما أصابه من مرض زيادة أجر وخير (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) وأحسن الله عزاء أبنائه، أخي عبد الله بن محمد السبيل، وإخوانه، وأخواته، وزوجات الفقيد، ومحبيه، وألهمهم الصبر والسلوان.

وكان وقع هذا الخبر علي شديداً مع إيماني بالقضاء والقدر، وأن هذا مصيرنا جميعاً، ولكن فقد هذا العالم هذا الأب الرحيم هذا الكريم الشهم هذا الإداري الناجح هذا الداعية المؤثر محزن لي أشد الحزن، ومؤلم أشد الألم؛ لأنه بمثابة والدي، وعالم من علماء الأمة، تقي ورع ذو أخلاق رفيعة ومناقب عالية وتواضع جم.

ولد رحمه الله عام ١٣٤٥ هـ في محافظة البكيرية، وظهرت عليه علامات النبوغ مبكرة، فحفظ القرآن الكريم وأم الناس وعمره ١٤ عاماً وقد وفقه الله إلى التحصيل العلمي المثمر؛ لحسن نيته، وذكائه، وحرصه

ومثابرتة، وكان طلبه العلم على عدد من المشايخ، منهم والده الشيخ عبد الله بن محمد السبيل، وشقيقه العلامة عبد العزيز بن عبد الله السبيل، والشيخ محمد المقبل، وجدي الشيخ محمد بن عبدالرحمن الخزيم، والشيخ محمد بن صالح الخزيم، وساحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد، والشيخ سعدي يس رحمهم الله وغيرهم.

ولتفوقه في العلم عين مدرسًا في أول مدرسة في محافظة البكيرية عام ١٣٦٧ هـ، ثم مدرسًا في المعهد العلمي في مدينة بريدة عام ١٣٧٣ هـ وفي عام ١٣٨٥ هـ عين رئيسًا للمدرسين والمراقبين في رئاسة الإشراف الديني على المسجد الحرام، وإمامًا وخطيبًا في المسجد الحرام، وعين رحمه الله رئيسًا لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي عام ١٤١١ هـ حتى صدرت الموافقة السامية بإعفائه من منصبه عام ١٤٢١ هـ بناءً على طلبه، واستمر بالإمامة والخطابة حوالي ٤٤ عامًا، ثم طلب الإعفاء عام ١٤٢٩ هـ من باب الورع وخشية التقصير، وكان رحمه الله عضوًا في هيئة كبار العلماء حتى عام ١٤٢٦ هـ، وعضوًا في المجمع الفقهي، ورئيسًا أو عضوًا في عدد من الجمعيات الخيرية، وساحته من رواد التعليم الأوائل، ذوي الأثر الطيب والتأثير الملموس، وقد أحبه طلابه رحمه الله، وكانوا يتنافسون إلى حضور دروسه بدون كلل أو ملل، وذلك لغزارة علمه وحسن أسلوبه وقدرته على إيصال المعلومة وبشاشته وساحته، فتخرج على يديه عدد من الطلاب وكنت واحدًا منهم، وقد عشت في منزله في بريده ردحًا من الزمن، وأفتخر بذلك؛ لأنه كان لي نعم الأب والمعلم والمربي والصديق، ثم الرئيس، جزاه الله خيرًا وأسكنه فسيح جناته.

وقد كان منزله في بريده رحمه الله مفتوحًا لطلاب العلم والمحتاجين والقادمين من البكيرية وغيرها، منهم من يسكن فيه لطلب العلم، ومنهم من يأتي للعلاج، وفيهم الغني والفقير والمحتاج. وكان رحمه الله يستقبل الجميع، ويكرم الزائر، ويبیی الأسباب المريحة للمقيم عنده، لا يظهر مللاً ولا يستثقل أحدًا، وهذا شأنه في منزله في مكة المكرمة؛ لأن الكرم سجيته رحمه الله. علم في المجالس، يفسر ويحدث ويفتي ويروي الجيد من الشعر وأمثال العرب والقصص الهادفة، موفق في اختيار الشواهد أثناء حديثه من القرآن الكريم والسنة المطهرة أو الشعر أو الحكمة، فيشد السامع إليه بحسن عباراته وبراعة استهلاله وحسن انتقاله من فكرة إلى أخرى. فهو عالم ومرجع في علوم شتى، منها علوم القرآن، والحديث، والفقه، والفرائض، وعلوم اللغة العربية.

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

وهو محبوب لدى الجميع.. وإذا أحب الله يومًا عبده، ألقى عليه محبة في الناس، سجيته التقوى والورع، ومنهجه الإحسان والتواضع، وقد قال رحمه الله في إحدى قصائده:

طلب التكاثر والتفاخر بيننا أردى الحكيم وثاقب الأفكار

حب الرئاسة والمظاهر داؤنا كم أكسبنا من ذلة وصغار

وله شعر جزيل اللفظ، شريف المعنى، سهل الأسلوب، وكان رحمه الله إداريًا ناجحًا متأنياً في قراره، يعالج الأمور بالحكمة والروية، يحرص على كسب رضا الموظفين من دون إخلال بالعمل، ينصت أثناء الاجتماع،

ويستمع إلى جميع الآراء، ثم يقنع الجميع بحكمته ورويته وخبرته بما يحقق المصلحة . ينه على الخطأ بلطف، ويحيل إلى ما سبق من غير عنف ولا يكدر أحداً، ولا يقلل من شأن موظف صغير أو كبير، لذا فقد أحسن رحمه الله القيادة وحزم أمر الإدارة، وتميز في رئاسة الحرمين الشريفين وطور العمل فيها، فتحقق في وقته بدعم من خادم الحرمين الشريفين الشيء الكثير في الحرمين الشريفين، مما جعل المعتمرين والحجاج والزائرين يؤدون نسكهم وعبادتهم بكل يسر وسهولة. وله رحمه الله رحلات دعوية متعددة داخل المملكة وخارجها لإلقاء المحاضرات، أو المشاركة في المؤتمرات والمناسبات الدعوية، وافتتاح المراكز الإسلامية. له إسهام مميز في الدعوة إلى الله ورسوله بالحكمة والموعظة الحسنة والدعوة إلى الوسطية والتسامح والاعتدال، ويؤكد ذلك في خطبه في المسجد الحرام، وإجاباته على الأسئلة ولقاءاته، له رأي حصيف ومكانة خاصة، يحبه من يتحدث إليه، ويقنع السامع بما يطرحه.

هو البحر من أي النواحي أتيته فلجته المعروف والبحر ساحله
شريف النفس محمود السجايا عريق الأصل في المعروف أوحد
اللهم أغفر لساحة شيخنا ووالدنا الشيخ محمد بن عبد الله السبيل،
وارحمه وأسكنه فسيح جناتك، واجزه عني وعن طلاب العلم والمسلمين
خير الجزاء، وارفع درجاته في الآخرة، واجعل ما قدمه في موازين حسناته
يوم القيامة، واجبر مصيبتنا فيه، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

(٨)

العالم العامل العابد الناسك

الشيخ محمد بن سبيل

الكاتب : محمد بن عبد الرحمن آل إسماعيل .

« فقدت الأمة حلقة من حلقات السلف الصالح، فلقد كان أنموذجا للعالم القدوة بعمله ومعاملته، ما عرفه أحد أو التقى به مرة واحدة إلا وأثنى عليه، بكاه أهل مكة المكرمة كما بكوا قبله العالم الزاهد الورع الشيخ عبدالله بن محمد الخليلي، زميله وصديقه ورفيقه.

الشيخ السبيل يحرص على إخفاء نفسه، ليس حريصا على الظهور، ولكن سلوكه وعمله ومعاملته أبت إلا أن تبرز مكارم هذا الفقيه المتواضع.

زرت سماحة شيخنا الشيخ عبدالله بن حميد حين كان الرئيس العام للإشراف على الحرمين الشريفين، وكان استقباله استقبال الأب لابنه رحمه الله، وأمر لي بكتب، ووجدت في مكتبه رجلا يذهب ويجيء ويباشر الزوار بتهيئة الكتب بنفسه، وصرف لي مجموعة من الكتب، منها كشف القناع والمحرم وغاية الأمانى وغيرها وأظن ذلك كان عام ١٣٨٦هـ، ولما انصرفت أخبرني أحد الإخوة بأن هذا الرجل الذي كان يباشر الزوار هو الشيخ محمد بن سبيل، عندها تذكرت الخليفة عمر بن عبدالعزيز رحمه الله الذي أشعل السراج حين انطفأ، ولما قيل له، قال: قمت وأنا عمر وعدت وأنا عمر، ثم بعدها بسنوات وأظن في عام ١٣٩٧هـ زرته مع الشيخ

الفاضل الأخ العزيز صاحب الأخلاق العلية المحبب إلى النفس عمر بن عبدالعزيز العثمان، وهو ابن عمه، فأكرمنا الشيخ وتغدينا عنده، حتى تمنينا أننا لم نخرج من منزله. هذا الشيخ الذي عرفه أهل مكة وعرفه غيرهم بتواضعه وكرمه ونخوته وإحسانه الظن في المسلمين، وهذه مناقب جليلة اختص بها الله الأولياء، فهو رحمه الله يكره التصنع وإظهار العظمة، فقد عافاه الله وسلمه من الكبر والغرور والغطرسة، فهذه كلها لوثات ابتلي بها من اتخذ العلم مطية لأهدافه الدنيوية، فرجل كهذا لماذا لا نبكيه وقد حق لنا البكاء، أمّا علمه فهو غزير ومتواصل، استعان به واستفاد منه طلاب العلم في الكليات وما فوقها من رسائل، ولا يعطي أحدًا علمه حتى يطعم عنده أي عند الشيخ، وأخطأ من عيره بأنه لا يتمسك باللغة العربية في أجوبته في المذيع، وما درى هذا العائب بأن ما عمله الشيخ هو الأليق بمقام السائل، ففي الغالب أنه أمي أو عامي، وهكذا كانت طريقة العالم العلامة الزاهد الورع شيخنا الشيخ صالح بن غصون رحمه الله، وكان الشيخ ابن سبيل يكره الكلام في الناس والعلماء خاصة، ولا يشهر بأحد، بل كان يجب جمع الكلمة. خطبه تجدها لها صدى لدى كل من سمعها. يبحث عن معاذير لمن تزل قدمه إلا ما يتعلق بحقوق الناس. وأبعد ما يكون عن تصنيف العلماء ينبذ النمامين والمتسلقين والوشاة بفطرته الصافية، فأين لنا بمثله وما لنا إلا الصبر، وأن نعزي أنفسنا، ونعزي أولاده، وأسرتة، ومحبيه، وإنا لله وإنا إليه راجعون» .

(٩)

الشيخ محمد السبيل رحمه الله

إمام أئمة الحرم وشيخهم

الكاتب : د. محمد بن فهد بن عبدالعزيز الفريح عضو هيئة التدريس بالمعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

« رحم الله معالي الشيخ الوقور الورع العالم الفقيه، صاحب التواضع، طيب القلب، لطيف المعشر، إمام الحرم وخطيبه ومدرسه محمد بن عبد الله السبيل رحمة واسعة، وجزاه عن أمة محمد ﷺ خير الجزاء وأوفاه. ارتبط اسمه في السنوات الماضية بأثقل الصلوات على المنافقين صلاة العشاء، فكان صوته الواضح البين لا تختلف في معرفته الأذان، من كثرة ما يردد قراءة قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ وقع في قلبي أن هذا الشيخ الإمام لا يفتر لسانه من صلواته على رسوله ﷺ فأسأل الله أن يحشره معه، وأن يسقيه من حوضه. قبل سنين عديدة حين كنتُ في مرحلة المتوسطة أو المرحلة التي تليها أذهب لأسلم على هذا الشيخ الوقور رحمه الله، فكان بعض الحرس وهم قلةً اثنان أو ثلاثة يرذون الناس؛ لئلا يؤذون الشيخ، فكنتُ أمد يدي إليه فيبادر بمد يده، فلما رأيتُ تواضعه -وأنا حينها من الغلمان الحزورة- سألته غفر الله له عن طواف الوداع للمعتمر هل هو واجب عليه؟ فقال: نعم واجب، ولم يكتفِ بذلك بل ذكر الدليل على قوله، وأخبرني أنه صحيح وهو ما جاء في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أمر الناس أن

يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه خفف عن المرأة الحائض)، مع أي في تلك المرحلة أحتاج لفتواه فقط، فإذا ناقشتُ أحدًا ممن هو مقارب لي في السن قلت: إمام الحرم الشيخ محمد السبيل يقول: يجب طواف الوداع لمن أراد أن يغادر مكة. فجعلته دليلاً رحمه الله.

بعد مدة تعرفتُ على شيخنا الوقور الخلق العالم عمر بن محمد السبيل رحمه الله وأظلمها الله في ظل عرشه، ففرحتُ أن هذا العالم سيخلف هذا العالم في المسجد الحرام، حين رأيتُ من سمته وهديه وعقله وسكينته ووقاره ما يفرح بوجوده في هذا الزمان وأن يكون مثلهم إماما للحرم، فالشيخ عمر قد تربى في مدرسة والده وصحبه، وأخذ من خلقه الشيء الكثير. أذكر مرة بعد صلاة العصر في يوم الجمعة ٢٨-١-١٤٢٠هـ في الحرم رأيت الشيخ عمر رحمه الله يطوف وكان دائما يفعل ذلك بعد صلاة العصر حين يؤم الناس، فسلمتُ عليه وقلت له: أحسن الله عزاءكم في سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله وجعلكم خير خلف لخير سلف فقال: هذه تقال للشيخ محمد بن عثيمين، أما نحن فضعفاء الله يرحم حالنا.

وكان الشيخ عمر من صبره وتواضعه وحرصه على نشر العلم وتعليمه يواعدني عند باب الصفا في الحرم بعد صلاة الظهر أيام الإجازة غالبًا؛ لأقرأ عليه بعض المتون، وفي آخر مرة قال لي رحمه الله: المرة القادمة تأتي وأنت حافظ للملحة الإعراب، فقد كان مشايخنا يشرحونها لنا وهي جميلة سهلة، كقول الناظم:

أو كان أمرا إذا اشتقاق نحو قل ومثله ادخل وانبسط واشرب وكل

ثم قال: على ذكر الأكل والشرب تغدّ معي فاعتذرتُ فأصر وقال: ما

عندي شيء، فاعتذرتُ حفظاً لوقته غفر الله له .

عوداً على بدء كنتُ فرحاً جداً بخليفة الشيخ محمد في الحرم؛ لأن إمامة الحرم ليست مجرد صوت حسن بل لابد من فقه وعلم وعقل وأناة مع ورع ودين، وهي بإذن الله مجتمعة في أئمة الحرمين زادهم الله توفيقاً.

لما توفي الشيخ عمر صلى عليه والده الشيخ محمد، وكان رابط الجأش قوي النفس، صابراً محتسباً غفر الله لهما ورحمهما، ولا أظن أن أحداً ينسى ذلك اليوم المهيّب حين خطب الناس الشيخُ محمدُ يوم الجمعة ٢٨-١-١٤٢٠ وأمّهم وصلى بهم على جنازة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، فكانتُ خطبته مؤثرة، وأذكر أنه حين قال في خطبته: (عالم الأمة، وإمام أهل السنة والجماعة في هذا العصر، علامة زمانه، وفقه أوانه، الداعية إلى الله على علم وبصيرة المجاهد في سبيل الحق والهدى سماحة العلامة الجليل الشيخ عبد العزيز بن باز) ضج الناس في الحرم بالبكاء .

وكذلك أمّ الناس في الصلاة على العلامة محمد بن عثيمين رحمه الله .

جمعهم الله جميعاً ووالدينا ومشايخنا وأهلنا في الفردوس الأعلى .

ذهبتُ مرة للشيخ محمد رحمه الله في غرفته في الحرم بعد صلاة التراويح في ١٤٢٦-٩-١٧ هـ فسلمتُ عليه، وطلبتُ منه أن يميزني في المد النبوي، فرحب ودعاني، وقال: أبشر، وأجازني، وأرسل المد والإجازة وبعض كتبه رحمه الله مع حفيده الشيخ أنس بن عمر بن محمد، غفر الله لهم جميعاً، ووفق الشيخ أنس لكل خير وجعله خلفاً لأولئك الكبار، وكان من وصيته في إجازته لي ما نصه: (أجيزه أن يروي عني مؤلفاتي كلها.. موصياً

إياه بتقوى الله تعالى في السر والعلن والاعتصام بالكتاب والسنة والسير على نهج السلف الصالح في الاعتقاد والعمل مع التحلي بالآداب الشرعية والأخلاق المرعية وأن لا ينسانا من دعواته الصالحة) فكل ما ذكرتُ هذه الوصية العظيمة دعوتُ الله له، وأسأل الله يقبل ما دعاه المسلمون لمعالیه غفر الله له .

بعد كتابتي لبحث الماجستير (أحكام الصوت) تعجّب الشيخ من عنوان الرسالة، وطلب أن يرى البحث، وهذا من تواضعه غفر الله له، فأرسلتُ إليه بنسخة منه، وكان هذا قبل طباعته .

حضرتُ المحاضرة التي ألقاها في دارة الملك عبدالعزيز بالرياض، وقد تحدث عن حادثة الحرم الإجرامية عام ١٤٠٠هـ وكيف خرج من الحرم، وكيف كانت الحادثة، بعد المحاضرة أخذ جولة في الدارة لرؤية المخطوطات، فكان منها جزء من مخطوط يتعلق بالإنصاف للمرداوي معروضًا، فكان مما قاله وحفظته منه: (أنه قد استدرك ما سقط من الإنصاف وصحح الكلمات وقال: إن المطبوع فيه أغلاط كثيرة). فليت تلك الاستدراكات تخرج في جزء لطيف ينتفع به المتخصصون .

أمّ الشيخ في الحرم ما يقارب نصف قرن، وكان الحرم في بعض السنوات دائرةً رحاه بينه وبين الشيخ عبدالله الخليلي رحمه الله .

ذهب الشيخ إلى بلدان كثيرة من شرق الأرض وغربها؛ للدعوة إلى الله وبيان حق الله على عبده من توحيده وإفراده بالعبادة .

كان عضواً في هيئة كبار العلماء، وعضواً في المجمع الفقهي، ورئيساً

لشؤون الحرمين، وكانت خطبة عيد الفطر من اختصاصه سنوات عديدة. أَلَّفَ كتبًا ورسائل عديدة، وخطبه التي يخطب بها على منبر الحرم مجموعة مطبوعة وبعض رسائله في مسائل معاصرة كأخذ الجنسية من دولة غير مسلمة .

درَّس في البكيرية ثم في المعهد العلمي ببريدة، ثم انتقل بعد ذلك إلى مكة . كان حافظًا لكتاب الله، عالمًا بسنة رسول الله ﷺ ، مناصرًا للسنة وأهلها، داعيًا إلى الله على بصيرة، أحسبه كذلك والله حسيبه، فاللهم اغفر لشيخنا وشيخ الحرم اللهم ارحمه، وأحسن عزاء الأمة فيه، واخلف لنا خيرا، واجبر مصاب أهله وأولاده ومحبيه، اللهم لا تفتنا بعده برحمتك يا أرحم الراحمين» .

المصدر: جريدة الجزيرة، يوم السبت ٩/٢/١٤٣٤ هـ العدد: ١٤٦٩٥ .

(١٠)

الإمام الراحل محمد السبيل

حياته وعلمه وصلته بمنطقة جازان

الكاتب: الدكتور عبد الرحمن عمر المدخلي عضو هيئة التدريس
بجامعة جازان.

« فجع العالم الإسلامي بوفاة أحد علمائه الكبار الذين جمعوا بين العلم والحكمة، والوقار والبساطة، والخلق الحسن الجميل، ممن ألقى له القبول في الأرض، فقد أحبه القاصي والداني، ولا شك أن فقد العلماء ثلثة لا تعوض وكسر لا يجبر، وإن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، وإنما يقبضه بموت العلماء، كما صح بذلك الحديث.

علمنا الذي فقدناه هو المحدث الفقيه الخطيب الأديب الأريب، العالم الكبير معالي الشيخ محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز آل عثمان «الملقب بالسبيل»، الذي طالما سمعنا صوته بكلام الله العزيز بجوار الكعبة المشرفة، ينساب في جنبات المسجد الحرام وأروقتة، في صلاة الفجر والعشاء، وفي الجمعة والعيدين وغيرها، وفي صلاتي التراويح والقيام حينما كان يجهها بصوته الرخيم ونبرته الخاشعة وحفظه المتقن.

كان شيخنا ذا أخلاق عالية وتواضع جم وأدب رفيع واهتمامات متنوعة، كما شأن العلماء الكبار؛ فبينما هو مشغول في مكة المكرمة بشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، ومعهد الحرم، ودار الحديث، ودروسه العلمية المستمرة، وفقراء الحرم؛ لم يغفل عن إخوانه في شتى أرجاء

المعمورة، في الداخل والخارج، يتفقدتهم ويواسيهم ويزورهم ويتلمس احتياجاتهم، بكل صدر رحب وتفانٍ، وأذكر هنا إحدى زيارات معاليه كبرهان على ما أقول.

ففي أحد أيام شهر ربيع الثاني من عام ١٤٠٧هـ كان معالي الشيخ على موعد مع سيدي الوالد الشيخ عمر بن أحمد جردي المدخلي - رحمه الله وغفر له - لزيارة منطقة جازان، ولما علم أهالي المنطقة بهذا الموعد تلهفوا لملاقة معاليه واشتاقوا لرؤيته، لما يكونه لمعاليه من محبة واحترام، وكان الهدف من هذه الزيارة الاطلاع على سير العمل في جامع كبير تم إنشاؤه على نفقة الأميرة الجوهرة، بواسطة معالي الشيخ محمد السبيل، وإشراف مباشر من سيدي الوالد، وهذا الجامع يقع في محافظة الطوال بجوار المنفذ الحدودي مع الجمهورية اليمنية، وقد رغب إليه الوالد المجيء إلى جازان للاستئناس برأيه في بعض الأمور في الجامع، وصادف ذلك رغبة لدى معالي الشيخ، فجاء معاليه إلى المنطقة عن طريق البرّ مع مرافقيه.

ووقف معاليه في الصباح على الجامع وتجول في أنحاءه، ولما يكتمل، إذ كان في مرحلة صبّ السقف، وقد أعجب بالعمل كثيرا وسرّ بما رأى، وظهر على محياه الفرح والسرور، وشكر الوالد على جهوده وأشاد به، وقد اقترح الشيخ عبدالله السلطان وأيده معالي الشيخ محمد؛ إضافة صالتين كبيرتين لاستراحة المسافرين من الرجال والنساء، في أرضية الجامع من الجهة الجنوبية، يتم تجهيزها بالفرش والتكييف والماء البارد ودورات المياه، وتكون مفتوحة باستمرار مجاناً للمسافرين، كما رأوا حفر بئر ارتوازية

داخل أرض المسجد وشراء مضخة لها، نظراً لعدم وجود شبكة مياه في ذلك الوقت.

ثم غادروا الموقع، وفي الطريق قصّ معالي الشيخ علي والدي ما حصل له أول عام ١٤٠٠ هـ حينما كاد أن يقتل في الحرم إبان فتنة جهيمان وزمرته، حيث كان معاليه إماماً لصلاة الفجر ذلك اليوم.

وقد أقام سيدي الوالد مآدبة غداء كبيرة في منزله بصامطة تليق بمقام معالي الشيخ محمد والمرافقين له، دعا لها العلماء والقضاة وكبار المسؤولين والوجهاء والأعيان، وتجاذبوا أطراف الحديث، في جو ممتع وجلسة لا تُنسى.

وقد لقي سيدي الوالد لدى معالي الشيخ محمد السبيل بعض المعلومات عن شيخه الشيخ عبدالله القرعاوي؛ فأضافها الوالد في كتاب «النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية لصاحبها الشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي»، وعزاها لمعالي الشيخ محمد السبيل.

وكان سيدي الوالد على تواصل مستمر مع معالي الشيخ، وقلّ أن يذهب إلى مكة المكرمة إلا ويقابل معالي الشيخ ويجلس معه، ويتحدثان طويلاً حول كثير من القضايا، خاصة الأعمال الخيرية.

ولمعالي الشيخ محمد السبيل أعمال خيرية في جهاتنا غير ما ذكر، وكان سيدي الوالد يشرف عليها ويتابعها بمساعدة أخي الدكتور عبدالله، فمن ذلك بناء جامع قرية الحضرور على الطراز الحديث، ثم توسعته بعد عدة سنوات من بنائه، بأكبر من بنائه الأول، ومن تلك الأعمال الخيرية تسوير

مقبرة قرية الواسط، وهي مقبرة كبيرة مترامية الأطراف، جرف السيل جزءاً منها، فعمل لها سوراً يحفظها، وغير ذلك من أعمال البرّ والصدقات.

وقد زار معالي الشيخ محمد منطقة جازان غير تلك المرة، فقد دعي للمشاركة في دورة الشيخ القرعاوي التي تُقام في منطقة جازان كل عام، منذ عام ١٤١٥هـ، فأجاب الدعوة وألقى عدة محاضرات ودروساً علمية وذلك في شهر ربيع الثاني من عام ١٤٢٢هـ، وقد استفاد طلاب العلم ومحبي الشيخ من علمه.

هذا ما كان بشأن علاقة معالي الشيخ وسيدي الوالد، وزيارات معالي الشيخ لمنطقة جازان، أما بالنسبة لي شخصياً، فقد كنت أرافق سيدي الوالد في بعض زيارته لمعالي الشيخ، وفي إحدى زيارتي الخاصة لمعالي الشيخ في بيته بمكة المكرمة طلبت منه أن يجيزني بمروياته في علم الحديث، فشرّفني بإجابته لي، وأجازني، وأحالني على ثبته الموجود لدى أحد أبنائه.

ولد معالي شيخنا عام ١٣٤٥هـ في مدينة البكيرية بمنطقة القصيم.

ونشأ في بيت علم وديانة، فقد حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة على يد والده وعلى الشيخ عبد الرحمن الكريديس، ثم قرأه بعد ذلك في مكة المكرمة على الشيخ سعدي ياسين اللبناني.

وتلقى العلوم الشرعية والعربية على الطريقة القديمة في حلقات المساجد على عدد من العلماء والمشايخ في بلده، أمثال الشيخ محمد المقبل قاضي البكيرية، ثم انتقل إلى مدينة بريدة، وأخذ العلم على سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، حينما كان رئيساً لمحاكم القصيم.

ثم لما انتقل إلى مكة المكرمة قرأ على الشيخ عبد الحق بن محمد الهاشمي، والشيخ أبي سعيد عبدالله الهندي، في علم الحديث.

وعمل الشيخ في عدة مجالات، بداية بالتعليم في المدارس التابعة لوزارة المعارف آنذاك، ثم انتقل إلى المعاهد العلمية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في عام ١٣٧٣هـ وهو أول عام افتتح فيه المعهد العلمي في بريدة، وقد أمضى في التعليم ما يقارب العشرين عاما.

وفي عام ١٣٨٥هـ عين إمامًا وخطيبًا للمسجد الحرام، ورئيسًا للمدرسين والمراقبين فيه، بترشيح من شيخه سماحة الشيخ عبدالله بن حميد، واستمر أربعة وأربعين عاما حتى اعتذر عن ذلك عام ١٤٢٩هـ. ثم عين نائبا لرئيس الإشراف الديني على المسجد الحرام عام ١٣٩٠هـ، حتى عين رئيسا للرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام و المسجد النبوي عام ١٤١١هـ.

وكان معالي الشيخ مشاركا في عدد من الجامعات العلمية العالمية، وعضوا فاعلا فيها، فهو: عضو بالمجمع الفقهي في رابطة العالم الإسلامي منذ تأسيسه عام ١٣٩٨هـ، وعضو في هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية من عام ١٤١٣ إلى عام ١٤٢٧هـ، لمدة أربعة عشر عاما. وتولى معاليه رئاسة لجنة تحديد أعلام الحرم المكي التي شكلت بناء على قرار هيئة كبار العلماء عام ١٤١٢هـ.

وكان معاليه يقوم بجولات دعوية في كثير من بلدان العالم، وكانت أول زيارة له في عام ١٣٩٠هـ لجمهورية غينيا، وقد زار أكثر من خمسين دولة، كان من آخرها زيارته لليابان عام ١٤٢٤هـ.

وكان لمعالیه حضور إعلامي، فقد شارك في عدة برامج إذاعية أذيعت في فترات متفرقة، وشارك في برنامج «نور على الدرب» من عام ١٤٢٠هـ إلى عام ١٤٢٧هـ.

وله عدة مؤلفات ومجموعة خطب، ومع علمية الشيخ ومكانته فقد كان شاعرًا أصيلاً، وله ديوان مطبوع.

تتلمذ على يديه عدد من كبار العلماء والمشايخ، ممن تبوأ مناصب علمية عالية.

ومع جهود معالي الشيخ العلمية والإعلامية، فقد كان له حضور في المجال الاجتماعي، فقد ناقش كثيرا من القضايا الاجتماعية عبر منبر الحرم، وكان معاليه رئيسا للجمعية الخيرية للمساعدة على الزواج والرعاية الأسرية في مكة المكرمة لسنوات طويلة، وغير ذلك من المجالات الاجتماعية.

وقد نزلت بمعالي شيخنا الأمراض والعلل، وأدخل المستشفى عدة مرات، زيادة له في الأجر ورفعته له في المنزلة، حتى وافاه الأجل عصر يوم الإثنين الرابع من شهر صفر من عام أربعة وثلاثين وأربعمائة وألف، وقد أصدر الديوان الملكي بيانا بذلك، وصُلي عليه بالمسجد الحرام عصر اليوم التالي في جنازة مهيبة مشهودة، وشارك في ذلك أخي الأستاذ عبدالرزاق نيابة عن الأسرة، وفاء بحق معالي الشيخ ووده لوالدي، و ووري جثمان معاليه في مقبرة العدل بجوار أقرانه ومشائخه، بعد حياة طويلة طيبة مملوءة بطاعة الله منذ بداية شبابه، وقد توفي عن ثمانين سنة.

رحم الله شيخنا ووالدينا وأسكنهم بحبوحة جنته، وألبسهم تاج
وقاره وثوب كرامته، وخلفهم في عقبهم خيرا، وجمعنا بهم في الفردوس
الأعلى» .

المصدر: جريدة الشرق: ١٧/٢/١٤٣٤هـ - ٣٠/١٢/٢٠١٢م، العدد: ٣٩٢.

(١٢)

العلامة محمد السبيل

الكاتب: د. سامي أحمد الخياط عضو هيئة التدريس بجامعة شقراء.

« ودعت أمة الإسلام يوم الاثنين الموافق ٤ / ٢ / ١٤٣٤ هـ علماً من أعلامها العاملين الربانيين الكبار، ورجلاً من رجالات الدولة المخلصين، ممن وظّف عمره في خدمة وطنه وشؤون الإسلام والمسلمين بإخلاص وكفاءة، طيلة مسيرة حياته العلمية والعملية المليئة بالعبء والبذل السخي ... »

إنه الوالد الإمام معالي الشيخ العلامة الفقيه الزاهد بقية السلف/ محمد بن عبد الله السبيل، إمام وخطيب المسجد الحرام، والرئيس العام الأسبق لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، وعضو هيئة كبار العلماء - رحمه الله تعالى وأسكنه الجنة - بعد عمرٍ مديدٍ، ومسيرة حافلة قضاهها الراحل في خدمة العلم، والتعليم، والفقه، ورعاية شؤون الحرمين الشريفين، وأعمال البر والخير..

ولست بصدد تحرير ترجمة لشيخنا الراحل - رحمه الله - وإنما هي خواطر وعبرات... وذكرى عطرة خلدها في ذاكرتنا، من خلال: إفادتنا من علمه، ومعاشتنا له.. مما شاهدناه ورأيناه فيه من خصال حميدة.. وسجايا كريمة.. نذكرها للتاريخ، ولإفادة الأجيال القادمة بما كان عليه رموز العصر وعلماؤه الربانيين؛ وفاءً لشخصه.. وعرفناً بفضله.. وتقديراً لمكانته.. لقد سَخَّرَ شيخنا الراحل عمره في التعلم والتعليم، والدعوة إلى

الله، وخدمة الشأن الإسلامي محلياً، وإقليمياً، وعالمياً.. وأتصف بالعديد من الصفات الحسنة، والخلال الحميدة، والأخلاق العلية، ولا تحمل مثل هذه المقالة الإطناب في ذكرها... بيد أنني سألمح إلماحات مقتضبة عن بعض خلال الراحل؛ فمن صفاته رحمه الله:

-تَوَاضَعُهُ، وَحِلْمُهُ، وَتَبَسُّطُهُ.

-رِفْقُهُ وَلِينُهُ.

-إِتِّبَاعُهُ لِلسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ.

-عُلُوُّ كَعْبِهِ فِي العِلْمِ وَالفِقْهِ، وَبَعْدُ نَظَرِهِ.

كان شيخنا الراحل من أهل القرآن وخاصته، وقد خالط القرآن الكريم روحه، وجسده، وعقله، وفكره.. لذا كان خلقه، وسمته، متمثلاً بالقرآن، وكل من كان خلقه القرآن الكريم، فقد جمع مكارم الأخلاق، ومحاسن الخلال، ومحامد الصفات... لقد لاحظ كل من تواصل بشيخنا الراحل من العوام، والوجهاء، والعلماء، والوزراء، ذلكم الخلق الجرم الرفيع الذي اتصف به راحلنا من التواضع، والحلم، والتبسط، وعدم التكلف، ومخاطبة عموم الناس بأسلوب سهل واضح مفهوم، فهدفه إيصال الحق والخير للناس.. وهي صفات رفيعة في شريعتنا الإسلامية.

جاءت النصوص بفضلها، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأشج ابن قيس: «إن فيك خصلتين يجبهما الله: الحلم والأناة». لقد رأيت تواضع معاليه مع جميع الناس دون تمييز... في استقبالهم والبشر في وجوههم، والحفاوة بهم، وقضاء حوائجهم.. في

مكتبه العامر برئاسة شؤون المسجدين الشريفين.. بل منذ قدومه للمسجد الحرام... وفي غرفة خلوته بالمسجد الحرام... وحتى خروجه من المسجد الحرام عائداً لمنزله، وكذلك في أثناء ذهابه وعودته للمسجد المجاور لبيته في حي العزيزية سابقاً، وبعد انتقاله لحي العوالي لاحقاً.. يقف لكل من رغب السلام عليه، أو سؤاله حاجة؛ فيستمع ويتبسط لكل من أوقفه وسأله، ويقضي حاجته ببشر وابتسامة وبشاشة... مع صبره وتحمله لما يلقاه من رعاك الناس... وربما يطلب من السائل التواصل معه ومراجعتة بالمكتب لإتمام قضاء حاجته.. ولم أرقط أنه رد أحدًا في حاجة طلبها منه -رحمه الله- سواءً شفاعَةً.. أو مساعدةً شخصيةً.. أو ماليةً.. ورأيتة يحمل في جيبه حزمةً من المال للتصدق به على من يسأله، فيخرج من جيبه المال دون عدٍّ وبلا قدرٍ ويعطي من سأله..

لقد اتصف الراحل -رحمه الله- بصفة الرفق واللين في تعامله مع عموم الناس؛ فغلب عليه الجانب الأبوي والتربوي الرفيع في نصحه وتوجيهه، ومعالجته للأخطاء، وفي تعامله مع القاصي والداني، ولهذا حظي بمحبة وتقدير الجميع، ويقع توجيهه ونصحه موقعه من القبول. جاء في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله: (إن الله رفيقٌ، يحب الرفق في الأمر كله). وعنهما كما في صحيح مسلم: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه).

رأيت كيف حملته تواضعه وحلمه ورفقه ولينه ومحبتة للخير للناس على تلبية استيقافه من عامة الناس لسؤال فقهيةٍ... أو للسلام... أو لسؤال

حاجة... حتى النساء يعترضنه أحياناً، فيقف يستمع لهن ويحيب على أسألتهن الفقهية.. ويقضي حوائجهن... ولم يبخل الراحل بما يملك من علم.. أو مال.. أو جاهٍ في نفع الناس.. حتى إني رأيت مراراً بعض النسوة يبعثن للشيخ بقوارير ماء يطلبن منه رقيتها بالرقية الشرعية.. فيستجيب الشيخ.. ويقرأ القرآن على الماء ويعيده إليهن.

رأيته كيف يتجول بتواضع وحرصٍ في أروقة الحرم الشريف متفقداً للخدمات المقدمة للمصلين والزوار والعمار وضيوف الرحمن، موجهاً ومرشداً لما يجب أن يكون، ومتفقداً للتطوير والمشاريع المتلاحقة -التي لم ولن تنقطع عن المسجد الحرام- طيلة فترة عمله بالرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف، رأيت كيف أصبح مكتبه وخلوته بالمسجد الحرام موثلاً وملتقى للعلماء، والوزراء- والأمراء.. يستقبل المقترحات والآراء المتعلقة بتطوير مرافق المسجد الحرام من الجميع كتابة ومشافهة من المواطنين، والمقيمين، والزوار والحجاج من جميع أنحاء العالم، بل ومن وزراء وسفراء الدول الإسلامية كذلك بلا استثناء... بل رأيت كيف يتحاور مع الكثير من طلبة العلم والوجهاء حول العديد من شؤون المسجد الحرام.. بسعة أفق وبعد نظر.. ورحابة صدر... دون تأفف أو تذرر.. أو امتعاض...

وأما عمله بالسنة وإتباعه لها فهذا ظاهرٌ في مظهر الشيخ وخلقه، وسمته، وتعامله، ومواقفه الثابتة الراسخة طيلة حياته.. وقد أوتي الشيخ الحكمة والسنة ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، ومما يوضح هذا الجانب:

- خطبه السنية الرائعة في الجمع، والأعياد، والنوازل الشرعية، كالكسوف والخسوف. فقد تميز هذا الإمام -رحمه الله- بإتباعه للسنة في خطبه، فتحلت بالأصالة، والوجازة -وفقاً للسنة النبوية المطهرة- جاء في صحيح مسلم، قوله صلى الله عليه وسلم: «إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه، فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة، وإن من البيان سحراً». فخطب الشيخ من أروع الخطب الشرعية، المدعمة بالأدلة من الكتاب والسنة، وأقوال السلف رحمهم الله، مع ملامستها لما يحتاجه الناس من أمور دينهم في الأحكام، والآداب، والأخلاق، وتحذيرهم مما يخالف الشريعة في عقائدهم، وعباداتهم، وأخلاقهم، وتعاملاتهم، وسلوكهم. وهذا خلافاً لكثير من خطباء زماننا الذين وقعوا في مخالفات شرعية عديدة في خطبهم، منها: التطويل، والخروج عن المقاصد الشرعية للخطبة في أمور لا تنفع الناس لا في دينهم ولا دنياهم.

- توجيهه للعموم التمسك بالسنة عند حدوث الفتن المضلة والإحـن المدهمة بالمسلمين... وما أكثرها، فكان الراحل -رحمه الله- يوصي دائماً بالتمسك بالقرآن والسنة، ومنهج السلف الصالح، وسلوك جادة أهل العلم الكبار، والبعد عن الطرق المنحرفة وسبل الضلال في دروسه، ولقاءاته، وخطبه، وينصح الجميع بلزوم السنة والجماعة وإتباع منهج السلف، ويحذرهم من التفرق والاختلاف والخروج عن الجماعة، ومخالفة إمام المسلمين، مستدلاً بالنصوص الشرعية، وناصحاً للجميع بأخذ العلم عن كبار العلماء في البلاد.. وقد ألف الشيخ في هذا رسالة

قيمة سهاها: (الأدلة الشرعية في بيان حق الراعي والرعية).

وأما علو كعبه في العلم والفقہ: فهذا معلومٌ لدى خاصّة أهل العلم من عرف الشيخ، وشهدوا له بذلك، فالشيخ غزير العلم.. فقيهٌ... وأصوليٌّ.. وأديبٌ.. وشاعرٌ.. ولغويٌّ نحويٌّ حاذقٌ.. وقد أفاد منه كثيرٌ من الطلبة، وفي تقديري أنّ الشيخ لم يستفد منه الطلبة الاستفادة الكاملة، لأسباب منها: كثرة مشاغله وارتباطاته العلمية والفقهيّة بالمجامع والمؤتمرات واللجان الشرعية، وأعماله الوظيفية الكثيرة في شؤون المسجدين الشريفين، ورسم حدود الحرمين الشريفين، هذا فضلاً عن إمامته وخطابته في المسجد الحرام، وكان لوجود عدد من العلماء في وقته المتصددين للتدريس والتعليم عذرٌ للشيخ، ومنها: عزوف بعض الطلبة عنه لعدم إدراكهم بمكانة الشيخ العلمية، لأسباب فكرية ومنهجية يطول المقام في بيانها. وقد قال لي معاليه مرةً: (أخشى أن أكون مقصراً في التصدي لنشر العلم وبيان منهج السلف، وأخشى من التأثم في ذلك، وقد أسقط عنا الحرج فلان.. وفلان من العلماء).

لقد رزق الله معاليه بعد النظر والحكمة والبصيرة في تعامله ورعايته لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، ومعالجة ما يلاحظ على تطوير وعمارة المسجدين الشريفين، مع حسن التوفيق لمختلف وجهات النظر، وسَخَّرَ راحلنا -رحمه الله- نفسه، وماله، وجاهه، ووقته، وجهده، وسعيه، في خدمة العلم والشأن الإسلامي، والأعمال الخيرية العديدة، كإدارة الأوقاف، ودعم جمعيات تحفيظ القرآن الكريم، ومساعدة العلماء وطلاب العلم من مختلف دول العالم. كان شيخنا الراحل عالماً ربانياً، ومربيّاً قديراً،

تقيًا زاهدًا ورعًا، محبًا للعلم ومجلاً للعلماء وطلاب العلم في كل مكان، نقي السريرة.. صدح بصوته الشجي بالقرآن الكريم جنبات المسجد الحرام وأروقته في إمامته نحوًا من نصف قرنٍ من الزمان... أسأل الله تعالى أن يرحمه رحمة الأبرار، وأن يسكنه الجنة مع النبيين والصديقين والصالحين والشهداء الأطهار، وأن يخلف على أمة الإسلام خيرًا.

المصدر: صحيفة الوثام الإلكترونية: ٧/٢/١٤٣٤هـ - ٢٠/١٢/٢٠١٢م.

(١٢)

السبيل .. وتراثه الفكري

الكاتب: د. عبدالرحمن عثمان المرشد.

«يوم الاثنين الموافق ٤-٢-١٤٣٤هـ احتسبت الأمة الإسلامية معالي الشيخ محمد بن عبدالله السبيل عند مولاهما سبحانه وتعالى مسلمة بقضائه راضية بقدره، وعزاؤها جميل ما قدم للإسلام والمسلمين .

وبوفاة الشيخ السبيل -رحمه الله- تكون قد طويت صفحة من صفحات رموز الأمة الإسلامية حيث لا يجهل أحد سيرة الشيخ السبيل المشرقة في مجال الدعوة والفقهاء والفتوى والإدارة والتربية والأدب، تاريخ يمتد لأكثر من نصف قرن كان خلاله الإداري المحنك والإمام الرزين والمفتي الرصين والتربوي الرحيم والأديب البليغ، لن أتحدث هنا عن سيرة علم قل من يجله، ولكن بحكم حملي لشهادة أكاديمية من نواة التعليم العالي في بلادنا الغالية، فقد تذكرت ما كان يعانيه بعض الباحثين من قلة الحيلة في الحصول على مواضيع تصلح كرسالة علمية، تتوج بشهادة أكاديمية، ورأيت البعض يعمد إلى رموز الأمة الإسلامية في الفقه والأدب والتربية، فيغوص في تراثهم الفكري، ويفاجأ أنه يقتنص فوائد علمية، وفرائد فقهية، ونكت تربوية، ومواقف تاريخية، صيد من اللآلئ، تنشأ منها مسائل، وتكون في مجموعها فصولاً، فتستوي أبواباً لرسالة أكاديمية. تاريخ الشيخ السبيل خلال ثلثي قرن كان مليئاً بالمطالعات للكتب واقتنائها، وتدوينها، والالتقاء بعامة المجتمع وخاصتهم، منهم المستفتي، ومنهم المستنصح، ومنهم المستشار. ورحلات دعوية لعدد من دول العالم حمل في

بعضها رسائل دبلوماسية وخطب منبرية من أقدس البقاع تطرق في بعض مواضيعها لأوضاع محلية ملحة، وشؤون دولية حرجة مع إطلالة مميزة في برنامج الفتاوى الإذاعي (نور على الدرب) ناهيك عن قريحة شعرية جياشة، جادت بأروع المرثيات، وحكمته في التعامل مع حادثة جهيمان، وبراعته في التحاور مع الشباب، ودحض ما وقع لهم من إشكالات كفتنة حرب الخليج، وإيقاف بعض الدعاة، واقتراءات ابن لادن على سياسة بلاد الحرمين، ولم يكن الشيخ فقيها تقليدياً، بل كان معاشياً واقع أمتة، ويشهد لذلك كتابه حكم التجنس بجنسية دولة غير إسلامية، ومما أذكره أيام دراستي في كلية الشريعة بجامعة أم القرى ما مثل به شيخي أ.د. فرج زهران في مادة قضايا فقهية معاصرة عن منع المباح، لدخول شيء عليه بتوقف الشيخ السبيل مع آخرين في إجازة أطفال الأنابيب، أبان عضويته للمجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي، معللاً بفساد الذمم، وعدم الوثوق بالاحتياطات الطبية .

الشيخ محمد بن عبدالله السبيل وتراثه الفكري موضوع علمي أطرحه عبر هذا المقال للباحث الأكاديمي الذي سيحصد مسائل خصبة منها على سبيل المثال لا الحصر .

-كيف يقرر الشيخ عقيدته السلفية .

-منهجه في التأليف .

-أسلوبه في كتابة الخطب .

-مدى تقيده بالمذهب الحنبلي السائد في المملكة .

- معتمده من كتب التفسير .
 - استدلاله بالأحاديث من غير الصحيحين واستناده على شروحيها .
 - تعليقه لفتاواه .
 - مناسبة بعض خطبه وفتاواه وكتبه ككتاب حكم الاستعانة بغير المسلمين في الجهاد .
 - ومدى اعتماده لونا معيناً في شعره وما يحويه من شواهد .
 - تعليقات طلابه على المتون التي درسها والتي قد يمثل بعضها حاشية قيمة للمتن .
 - إلى غيرها من المسائل التي تعتمد على هممة الباحث ودقة ملاحظته .
- وآخر المقال: أتمنى أن يكون لجامعتي جامعة أم القرى سبق تسمية إحدى قاعاتها باسم صاحب المعالي فضيلة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل تغمده الله برحمته» .

(١٣)

السبيل.. السيرة الطيبة

الكاتب: معالي الدكتور سهيل بن حسن قاضي مدير جامعة أم القرى سابقاً.

« ودّعنا إلى مثواه الأخير فضيلة الشيخ الجليل محمد بن عبد الله السبيل - الرئيس العام لشؤون الحرمين الشريفين، وإمام وخطيب المسجد الحرام، وعضو هيئة كبار العلماء سابقاً، تاركاً وراءه السيرة الطيبة التي سجلها طوال حياته العملية، التي بدأها بتدريسه في المعهد العلمي ببريدة لمدة ثلاثة عشر عاماً، قبل انتقاله إلى مكة المكرمة.. كل من عرف الشيخ محمد يذكره بالخير، فهو مثال للإمام الورع، وكان منارة للعلم، ومثالاً للوسطية والاعتدال، كما وصفه سمو أمير منطقة مكة بذلك، تراه دوماً هاشماً باشاً مع الآخرين، ويتمتع بدمائة خلقٍ، فلا تسمع منه ما تكره. كان رحمه الله يحب المداعبة، ومستمعا جيداً للنكات، ولكنه لا يرويهما. حدثني عنه عالم كبير من علماء باكستان الشيخ محمد موسى البازي - يرحمه الله - وكان يقضي شهر رمضان في مكة المكرمة، ويلتقي دوماً بالشيخ محمد السبيل، ويدور بينهما حوارات في موضوعات شتى، كان يقرأ كتب الشيخ البازي ويناقشه فيها. كان الشيخ البازي يسعدنا من وقت لآخر في قبول دعوة الإفطار أو السحور، وهو الذي عرفنا عن الشيخ السبيل، وسماحته، ولطفه، وتقبله للآخر، وقد لاحظت يوم أداء واجب التعزية في وفاة الشيخ في داره وفداً من باكستان، وعلماء آخرين من جنسيات مختلفة، وبدا عليهم

علامات التأثر البالغ لوفاته يرحمه الله. بيني وبين فضيلة الشيخ محبة خاصة، أعرفها جيداً، وأكدها لي أبنائه يوم العزاء، وقد قبل فضيلته دعوتي في المنزل، لمناقشة بحثه في تحديد بدء الطواف، وضرورة وجود الخط على الأرض كمؤشر، وتفضل أخي السيد أسامة البار - عميد معهد خادم الحرمين لأبحاث الحج آنذاك بشرح الفيلم الوثائقي عن الازدحام الذي يسببه الخط في الأرض، وفقاً لرصد كاميرات معهد الأبحاث، وفي أوقات مختلفة، وأبدى الشيخ السبيل تفهماً لما يحدث. بعد عودتي من الولايات المتحدة في أعقاب رحلة علاجية استغرقت ٣ شهور، فاجأني الشيخ بمهاتفة يرغب في زيارتي بالمنزل في العوالي؛ لأنه لم يعلم عن وصولي إلا ذلك اليوم، ورغم إصراري للمجيء إلى داره في نفس الحي، إلا أنه أصر على المبادرة، وبعد صلاة العشاء شرفني بزيارته، وبدأ حديثه بالسؤال عن صحة الوالدة كما هو دائماً عادته، وقال نسأل الله أن يمد في حياتها؛ لأن وجودها معناه أن هناك دعاء لا ينقطع لكم في ظهر الغيب، واستشهد بمثل شعبي بما معناه (إلي ما عنده أم.. حاله يغم). ثم جاء المضيف يقدم له بعض المرطبات وكان من بينها السوبيا، وعندما وقع اختياره على شيء آخر أراد المضيف المغربي أن يستعير بعض المداعبات، التي شاهدني أستخدمها مع بعض ضيوفنا؛ لتشجيعهم على السوبيا من خلال التعليق الساخر، بأن هذه السوبيا (معتقة ولها سنة)، ولم يكن يعلم أنها مداعبة، فأصبح يكرر على الشيخ، وكان يقابل الأمر بالابتسامة .

في مؤتمر المنظمة الإسلامية للثقافة والعلوم المنعقد بالرياض باستضافة وزارة التعليم العالي، هاتفني معالي الدكتور/ خالد العنقري عن

إمكانية الحصول على قطع للكسوة الشريفة؛ لإهدائها لرؤساء الوفود، فنقلت الرغبة إلى معالي الشيخ محمد، ووجه بعشرين قطعة، ولكن اللجنة المنظمة للمؤتمرات رأت حجبها؛ لعدم كفاية العدد، وأبلغت الشيخ بأن الحاجة تقضي بتوزيع الهدايا بالتساوي بين رؤساء الوفود، وبعث بعشرين قطعة أخرى، ورسالة شخصية مع أحد أبنائه، يخبرني أنها المرة الأولى التي يوزع فيها هذا العدد، وفعلتها تقديرًا لشخصك وشخص معالي الوزير، وقد لقي ذلك الإهداء الفريد من نوعه ارتياحًا بالغًا، وفي نفس المؤتمر اختير الدكتور/ عبدالعزيز التويجري رئيسًا للمنظمة بالتزكية، ولفترتين متتاليتين، وهو أمر غير مسبوق في تاريخ المنظمة. وفي الختام أذكر بأن معالي الشيخ محمد أكرمه الله بأنجال بررة، بعضهم في مجال القضاء، وبعضهم في التدريس بجامعة أم القرى، وكان من بينهم ذلك الرجل الذي لا ينسى فضله د. عمر السبيل - متعه الله بالجنة - وقد سعدت برؤية ابنه أنس، يوم تقديم العزاء. رحم الله الشيخ محمد السبيل، ومتعه بجنات النعيم، وربط على قلوب أهله ومحبيه.. وفي جنة الخلد إن شاء الله» .

(١٤)

دمعة حزن على الشيخ محمد السبيل

إمام وخطيب المسجد الحرام

الكاتب: حاتم بن حسن قاضي وكيل وزارة الحج لشؤون الحج.

« سبحانك ربنا لقد خلقت الموت لتقهر به عبادك، سبحانك ربنا تنزل بإرادتك السكينة والطمأنينة على من رزى بوفاة قريب أو غياب حبيب، نسألك اللهم الثبات في الأمر كله، ونستلهم منك وبك الصبر والسلوان .

غيب الموت عصر يوم الاثنين الماضي ٤ / ٢ / ١٤٣٤ هـ فضيلة الشيخ محمد بن عبدالله السبيل، الرئيس الأسبق للرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، وإمام وخطيب المسجد الحرام سابقاً، إثر معاناة مع المرض ألزمته السرير الأبيض طوال الأشهر الستة الماضية، وشيع جثمانه عصر يوم الثلاثاء الموافق ٥ / ٢ / ١٤٣٤ هـ في المسجد الحرام بالبلد الأمين .

والشيخ السبيل من مواليد مدينة البكيرية عام ١٣٤٥ هـ بمنطقة القصيم، وبدأ في طلب العلم منذ الصغر، فأخذ عن الشيخ محمد المقبل، كما أخذ عن أخيه الشيخ عبدالعزيز السبيل، وكذلك عن الشيخ العلامة عبدالله بن حميد، ثم تأهل للتدريس ودرس في المساجد والمدارس ودرس في المعهد العلمي في بريدة عام ١٣٧٣ هـ، وفي عام ١٣٨٥ هـ تم تعيينه إماماً وخطيباً في المسجد الحرام، ورئيساً للإشراف الديني والمدرسين في الحرم المكي الشريف، وزامله في الإمامة الرجل الصالح، الشيخ عبدالله الخليلي،

وفضيلة الشيخ عبدالله خياط - رحمهما الله - لنحو (٤٥) عامًا، وهذه نعمة من الله عليهم، وهكذا كان حال الشيخ الزغبى - رحمه الله تعالى - الذي تولى إمامة المسجد النبوي الشريف لنحو (٤٠) عامًا لم يغب فيها عن المسجد النبوي الشريف سوى ٨ أيام للحج، ثم جاء بعده فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن صالح - رحمه الله - واستمر في إمامة وخطابة المسجد النبوي نحو (٤٠) عامًا أخرى، وكانوا جميعًا مثلاً في الخلق الكريم والعلم الغزير، وفي عام ١٤١١هـ صدر الأمر السامي بتعيينه رئيسًا للرئاسة العامة لشؤون الحرمين .

والشيخ السبيل عضو سابق في هيئة كبار العلماء، وعضو في المجمع الفقهي، وأحد العلماء المفتين في برنامج نور على الدرب، في إذاعة القرآن الكريم السعودية سابقًا، وتلقى العلم على يديه الكثير من طلاب العلم والمدنيون له بالفضل - لقد أحبه الناس وأحب الناس لطيب معشره .

وقد قام بأكثر من مئة رحلة دعوية خارج المملكة، زار خلالها أكثر من خمسين دولة من دول العالم، وله مجموعة من المؤلفات، من أشهرها: ديوان خطب صدر منه جزآن وتحت الطبع جزآن، ورسالة في حد السرقة، ورسالة بعنوان: الأدلة الشرعية في بيان حق الراعي والرعية، ورسالة في القاديانية، وديوان شعر، وغيرها من المؤلفات .

والشيخ - رحمه الله - له أسهم محمودة في جهود اجتماعية، منها دعم الشباب الراغبين في الزواج، فجزاه من خير وأنزله منازل الصديقين، وله دروس مفيدة في المسجد الحرام منذ تعيينه، وأبناؤه من حملة العلم منهم

الشيخ د. عمر - رحمه الله - ود. عبدالرحمن في جامعة أم القرى،
وعبدالملك، كما أن ابنه د. عبدالعزيز مستشار وزير التربية والتعليم
ويوسف من العاملين في خدمة ضيوف الرحمن بكل صدق، وغيرهم بارك
الله في عقبه ونفع بهم .

اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده، واغفر لنا وله، واجمعنا معه في
جنات النعيم، يا رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين» .

المصدر: جريدة الرياض: ٨/٢/١٤٣٤هـ - ٢١/١٢/٢٠١٢م، العدد: ١٦٢٥١ .

(١٥)

الشيخ السبيل مثال ينبغي أن يتحذى

الكاتب: الدكتور عبدالله فدعق.

فقدنا الراحل واصل الناس جميعًا، كان حسن الاستماع، يناقش بأدب، ويجادل بالحسنى وبتواضع، ميزه الله بالفهم الكبير لمفاهيم الناس، المتعلقة بمعتقداتهم وآرائهم واجتهاداتهم.

يمثل انتقال فضيلة الشيخ محمد بن عبدالله السبيل إمام وخطيب المسجد الحرام، والرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، وعضو هيئة كبار العلماء، وعضو المجمع الفقهي الإسلامي إلى رحمة الله فقدًا كبيرًا، شعر به الجميع في هذه البلاد المباركة وخارجها.. الشيخ رحمه الله تميز فيما تميز بعدم الاهتمام بالإشكاليات الدينية، ولذا لم يضمنها خطبه الجمعية العامة أو أحاديثه الإذاعية؛ أما أبحاثه العلمية الخاصة فقد كان يطرح فيها مفاهيمه بكل تجرد، ومن ذلك كتاب (ثلاث رسائل فقهية) الذي ذكر فيه أولاً حكم التجنس بجنسية دولة غير إسلامية، وتطرق فيه عن الإقامة هناك، والمحبة والموالة، والهجرة إلى بلاد الإسلام.. وذكر ثانيًا حكم الاستعانة بغير المسلمين في الجهاد.. وأيد ثالثًا وضع خط يشير إلى الحجر الأسود في صحن المطاف، بديلاً عن الدائرتين اللتين كانتا في صحن المطاف، بمحاذاة الحجر الأسود والركن اليماني، مفتيًا بأن الخط وسيلة محدثة، وليس بعبادة، ولذا لا يدخل في حكم البدعة، الدراسات الخاصة بالطواف بعد ذلك رأت أن المصلحة في إزالته، فأزيل، واستعيض عنه

بكشافات خضراء، تدل على بدء الطواف، ومشريات مقصبة وضعت في أعلى كسوة الكعبة على ركن الحجر الأسود أو الأسعد - ومع هذا كله فالشيخ السبيل وفي حديث صحفي بتاريخ ١٩/٤/١٤٢٢ اعتبر أن الخلاف فيما بين العلماء أمر شرعي، قد حدث منذ صدر الإسلام، بل منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، ذاكراً أن "مبنى الخلاف إما وجود أحاديث يعتقد البعض صحتها، ويرى غيره ضعفها، أو أن يكون لدى أحد المختلفين نص لا يعلمه الآخر، وهذا من أسباب الخلاف المعروفة" .. مضيفاً أن "الخلاف لا يعنف عليه أحد ولا يخطأ، بل نقول من أصاب كان له أجران؛ أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، ومن أخطأ عن اجتهاد كان له أجر الاجتهاد، أما طالب العلم الذي لم يبلغ مرتبة الاجتهاد فعليه أن يرجع إلى من يثق به من أهل العلم، وعليه أن يتجنب الخلاف وكثرة النزاع" .. مؤكداً على أن "من كان مستندا إلى حديث أو نص فلا يجوز تبديعه أو تضليله، كما أنه ليس للفقيه أن يقول للناس إن الواجب اتباع قولي، بل يحترم العلماء اجتهادات إخوانهم دونها تضليل أو تبديع".

فقيدنا الراحل سكن مكة المكرمة منذ عام ١٣٨٥، وصار من أهلها، وواصل الناس جميعاً، فكان حسن الاستماع، يناقش بأدب، ويجادل بالحسنى وبتواضع، ميزه الله بالفهم الكبير لمفاهيم الناس المتعلقة بمعتقداتهم وآرائهم واجتهاداتهم .

ولضيق المساحة أختتم بقصتين وقعتا مع الشيخ محمد السبيل - تغمده الله بواسع رحمته ومغفرته، وأسكنه فسيح جناته - أوضح بهما عملياً من هو الشيخ السبيل، وما هو فكره، وما هي أخلاقه وسماته .. الأولى عندما انتقل

فضيلة الإمام السيد حسن فدعق أحد أئمة المسجد الحرام إلى الرفيق الأعلى في رمضان عام ١٤٠٠، وبعد أن صلى عليه الشيخ في الحرم تبع الجنازة إلى أن تم الدفن، والثانية عندما بادر في رمضان عام ١٤٢٥ للصلاة على جنازة فضيلة السيد الدكتور محمد بن علوي مالكي، أحد أبرز علماء المسجد الحرام؛ فعل كل ذلك وفاءً للعلم وأهله، وتعليماً للأجيال من بعده أن (العلم رحم بين أهله..) رحم الله الشيخ، وعزاؤنا فيه يا أبناء البررة مشترك» .

المصدر: جريدة الوطن: ٩/٢/١٤٣٤هـ - ٢٢/١٢/٢٠١٢م.

(١٦)

فضيلة الشيخ محمد بن عبدالله السبيل

إلى رحمة الله

الكاتب : عبد العزيز بن عبد الرحمن الخريف .

تبلى الحناجر تحت الأرض في جدث وصوتها يتلو الآيات والسور
 ما من شك أن فقد العلماء الأفاضل يحدث فراغاً وفجوة واسعة في
 الإسلام وبين أهله يتعذر ردمها، ولا سيما من تعلقت قلوب الناس بهم،
 والذين ترووا من حياض العلوم الصافية النافعة، ومن لهم باع طويل في
 نشر العلم، مع تلاوة القرآن الكريم مرتلاً ومجوداً، سواء حضورياً أو عبر
 الوسائل الحديثة؛ لينير أفئدة السامعين والمتلقين له، في مشارق الأرض
 ومغاربها، أمثال فضيلة الشيخ العلامة محمد بن عبدالله السبيل، إمام
 وخطيب المسجد الحرام، الذي انتقل إلى دار النعيم المقيم - إن شاء الله -
 عصر يوم الاثنين ٤-٢-١٤٣٤هـ، وصلي عليه بعد صلاة عصر يوم
 الثلاثاء ٥-٢ بالمسجد الحرام، ودفن بمقابر العدل مجاوراً للشيخين
 عبدالعزيز بن باز، ومحمد بن عثيمين:

مجاور قوم لا تراور بينهم ومن زارهم في دارهم زار همدا!

مأسوفاً على رحيله وغيباه عن أسرته ومحبيه، بعد عمر مديد نيف على
 التسعين سنة، حافلة بالعطاء في مجال العلم والدعوة وإمامة المسلمين، في
 أظهر بقعة من بلاد الله، وفي مدة تربو على أربعين عاماً، وكان قد لازم
 السرير الأبيض مدة طويلة بمستشفى الحرس الوطني بجدة، إلى أن استوفى

نصبيه من أيام الدنيا - تغمده الله بوسع رحمته - وقد ولد عام ١٣٤٥هـ بمحافظة البكيرية إحدى كبريات مدن القصيم، بلد العلماء وخطباء المساجد، الذين نالوا الشهرة في هذه الأزمان، وقد تعلم على يد والده وعلى يد الشيخ عبدالرحمن الكريديس، وحفظ القرآن الكريم وهو في سن الرابعة عشرة، وأتقن التجويد على يد المقرئ سعدي ياسين - رحم الله الجميع - ثم استمر في تلقي العلم على الشيخ محمد المقبل، كما أخذ عن أخيه الشيخ عبدالعزيز السبيل، كذلك لازم ساحة الشيخ عبدالله بن حميد رئيس محكمة بريدة فترة من الزمن، ثم تأهل للتدريس في المساجد، وبالمعهد العلمي في مدينة بريدة ١٣٧٣هـ، وكان تلقيه العلم على أيدي أولئك العلماء سببا قويا في ترسيخه في ذهنه، وحفظ القرآن الكريم في قلبه ساعد على تفوقه على أقرانه، وفي عام ١٣٨٥هـ عين إماما وخطيبا في المسجد الحرام، ورئيسا للإشراف الديني والمدرسين في الحرم المكي، وفي عام ١٤١١هـ صدر الأمر السامي بتعيينه رئيسا للرياسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، كما عمل في هيئة كبار العلماء، وعضو المجمع الفقهي الاسلامي في شؤون الحرمين، وكان صوته مؤثرا جدا حينما يتلو القرآن الكريم، مرتلا، ومستحضرا الخشوع عند آيات الوعد والوعيد، وكم رددت أصداؤه صوتته أروقة المسجد الحرام..، كما أن صوته أثناء إمامته بالمصلين، وفي صلوات التهجد عبر الإذاعة والوسائل الحديثة الأخرى شجيا، يسبق ضوء الشمس التي تشرق على الكون، وعلى أنحاء الدنيا وآفاقها، فيسمعه ملايين المسلمين في تلك البقاع النائية، ولسان حاله - يرحمه الله - يردد هذا البيت الذي فيه رائحة المعنى:

فإن كانت الأجسام منا تباعدت فإن المدى بين القلوب قريب
وقد بارك الله في علمه وعمره، فكله علم وأدب محترم أينما حل
وسار:

لا يأمن العجز والتقصير مادحه ولا يخاف على الاطناب تكذيبا!
فهو على جانب من الذكاء والفطنة وحضور البديهة، وعدم التردد
والتريث في إنجاز بعض الأمور التي قد تعترضه..، ولقد أجاد الشاعر
حيث يقول:

فربما فات قومًا جل أمرهم من التأني وكان الحزم لو عجلوا!
ولي معه - رحمه الله - بعض الذكريات التي لا تنسى، منها أثناء
استضافته في ثلوثية الدكتور الكريم محمد بن عبدالله المشوح في مدينة
الرياض مساء يوم الثلاثاء ٤-١١-١٤٢٣هـ الذي يُحسن انتقاء واختيار
ضيوف أمسيته في صالونه الأدبي كثير الحضور من العلماء والأدباء
والوجهاء؛ لما يطرح فيه من موضوعات شيقة، وتكريم للمتميزين علمًا
وأدبًا وبذلاً في أوجه البر والإحسان، وهذا من نعم الله على صاحب
المنتدى، وقد أحيا فضيلة الشيخ محمد بن عبدالله السبيل - رحمه الله - تلك
الأمسية بالحديث عن بعض ذكرياته، وعن الأعمال المنوطة به في خدمة
المسجد الحرام والكعبة المشرفة، وعن عناية ولاة أمر هذا البلد، والسهر على
راحة الحجاج والمعتمرين، وعن التوسعات الهائلة للحرمين الشريفين، كما
أني أسعد بزيارته عند حضوري إلى مكة المكرمة في مكتبه برئاسة شؤون
الحرمين، وزيارة الصديقين الكريمين الدكتور محمد بن ناصر الخزيم نائب

الرئيس، والأستاذ الفاضل محمد بن عبد الكريم القويﻓلي المستشار الخاص
بالرئاسة، فأجد منهم حسن الاستقبال والحفاوة التامة، فالذكریات معه
تتكرر سنوياً وبعض العاملين معه، وقبل ختام هذه الكلمة الوجيزة أكرر
هذا البيت داخل نفسي:

سلام على القبر الذي ضم أعظما تحوم المعالي حولها فتسلم

جزاه الله عن المسلمين خير الجزاء، وأسكنه فسيح جناته، وأهم ذويه
وأبناءه وبناته وزوجاته ومحبيه الصبر والسلوان».

المصدر: جريدة الجزيرة، يوم السبت ٩/٢/١٤٣٤هـ العدد: ١٤٦٩٥.

(١٧)

في وداع عاشق الحرم

الكاتب: أ.د. عبدالله محمد حريري عضو هيئة التدريس بجامعة أم
القرى .

« نشأنا وتعلقنا بحب الحرمين الشريفين؛ لتربية والدينا رحمهم الله لنا
على ذلك، فجزاهم الله خيرًا .

فكان الحرم المكي يؤمه علماء أفاضل رحمهم الله جميعا، ومن أولئك
صاحب السباحة والفضيلة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل رحمه الله، حيث
كان إماما، عالما منذ الثمانينات الهجرية، يؤم المصلين صلاتي الفجر،
والعشاء لأكثر من أربعة عقود، بعد ذلك أصبح إماما لصلاة العشاء حتى
كبر سنه .

فكانت صلاته وقراءته ليس فيها تكلف، يراعي ظروف المصلين،
وهذا الأمر اعتاد عليه طوال العام .

أما إمامته في شهر رمضان المبارك خاصة في صلاة القيام، فكان يؤم
المصلين لصلاة العشاء مع إمامته لخمس تكبيرات لصلاة القيام، ويستمر
ذلك لثلاثي رمضان، أما الثلث الأخير فكان بعد انتهاء الشيخ عبد الله
الخليفة رحمه الله من إمامته للخمس التكبيرات الثانية، يعود الشيخ السبيل
للإمامة لصلاة الوتر، فكان دعاؤه جامعا شاملا .

هذا الإمام العالم، الفاضل، الورع، التقى، الذي تربى، وربى أبنائه،
ومن حوله على التواضع، وحب الخير، وإسداء المعروف، وخدمة الناس،

وعدم التواني في ذلك، لا يراوغ ولا يسوف، ولا يماطل، ولا يتذرع بحجج عن خدمة الناس، إن استطاع ذلك .

هذا الإمام العالم كان محبا للعلماء، ويقدرهم، فعند وفاة فضيلة الشيخ عبدالرحمن الشعلان، جاء لصلاة الفجر، وتقدم للإمامة لصلاة الميت على فضيلته، وسار مع جموع المشيعين .

كما أمّ المصلين لصلاة الميت على فضيلة السيد محمد علوي المالكي، وشيع جنازة فضيلة الشيخ طه البركاتي إلى مثواه الأخير .

إمام عالم أحب مكة وأهلها حباً جمّاً، فأحبه، يواسي فقراءهم، ويلبي الدعوات ويحضر أحزان، وأفراح أهل هذه المدينة المباركة .

له المكانة العليا لدى القيادة في إسداء النصح، وتقبلهم منه ذلك، والمقام لا يسمح في سرد تلك المواقف العظيمة .

هذا الإمام العالم منذ ارتبطت به كإمام للمسجد الحرام، وأسندت إليه المناصب التي يراها تكليفا لا تشريفاً، لم تغير في تواضعه أو سلوكه أو معاملته، بل يقبل ما فيه خير قاصدي الحرمين، قبل وبعد وإبان رئاسته لخدمة الحرمين الشريفين .

فأتيته مساء الخامس والعشرين من رمضان لأخبره بأن الليلة القادمة هي ليلة السابع والعشرين، وكان الإجراء المتبع منع النساء من الطواف ما قبل صلاة العشاء وحتى انتهاء صلاة القيام، وكانت الإمامة بالمصلين في صحن المطاف، فأشرت عليه لو كانت الإمامة تكون تحت المكبرية،

والسماح للنساء بالطواف وعدم منعهن، وإفساح صحن المطاف للطائفين،
فتقبل الأمر برحابة صدر، ووجد أن في ذلك فائدة، وأعطى تعليماته بذلك .
هذا الإمام العالم لا يتناول في خطب الجمع الجامعة الشاملة القصيرة
ما يسيء إلى أحد في أي شأن من شؤون العبادات .

إن المواقف لهذا الإمام العالم الجليل كثيرة جدا، والدليل تلك الجموع
التي جاءت إلى المسجد الحرام للصلاة عليه، وتشيعه إلى مثواه الأخير، بل
قيادة هذه البلاد، وعلمائها، وأمرائها كانوا في مقدمة المواسين لأبناء
وأسرة الفقيد، فاللهم ارحمه رحمة الأبرار واجعله ووالدينا في أعلى عليين،
وبارك في خلفه، وطلابه، ومن أحبه.. والله من وراء القصد،،،» .

المصدر: جريدة الرياض: ١٢/٢/١٤٣٤هـ - ٢٥/١٢/٢٠١٢م، العدد: ١٦٢٥٥٩.

(١٦)

الشيخ السبيل في ذمة الله

الكاتب: د. عبد المجيد محمد الجلال.

«حين يُؤرخ لسير أئمة الحرم المكي منذ دخول منطقة الحجاز في حوزة الحكم السعودي في عام ١٣٤٣هـ، فإن من الأعلام البارزة في هذه السير سماحة الإمام الشيخ محمد بن عبد الله السبيل النجدي الحنبلي رحمه الله .

هذا الإمام الجليل ارتبطت مسيرته الفكرية والعلمية والمهنية بالحرم المكي لعقود خلت، وأثمرت صفحات بيضاء ناصعة من الأعمال الجليلة، والجهود الكبيرة لهذا الإمام، لعل من أبرزها إمامة الحرم المكي، وإلقاء الدروس الشرعية فيه، فضلاً عن جهوده العلمية في مجال التأليف والتأصيل الشرعي .

لقد ارتكز منهج الإمام الشيخ السبيل الفقهي والدعوي في خطبه ودروسه العلمية على تبيان أحكام الشريعة الإسلامية وتعاليمها في كل مناحي الحياة، وعرض مسائلها وتحريرها على الوجه الصحيح دون لبسٍ أو غموض، وبعبارات مبسطة تتجنب التعقيدات اللغوية والفقهيّة. وكان رحمه الله يحرص كل الحرص على دعوة المسلمين، خاصة الشباب منهم، إلى التروي والبصيرة، وأخذ العلم الشرعي من مصادره الصحيحة، ومناهجه المعتبرة، وأدواته المقررة. وتبني قيم الوسطية، والمحبة والتسامح والأخوة، وإبراز المعاني والقيم النبيلة لرسالة الإسلام الخالدة، الداعية للسلام

والأمن لكل الخلق .

إلى جانب هذه المكانة العلمية والشرعية الرفيعة، فقد منَّ الله العليُّ القدير على سماحته رحمه الله قدرًا عاليًا من السمات والخصائص الشخصية النبيلة، امتلك بها حضورًا فعَّالًا، وتأثيرًا قويًا، وإمتاعًا جليًا، استشعره كل من حضر واستمع إلى خطبه المنبرية، وأحاديثه، ودروسه العلمية . مثل ما كان رحمه الله في مجلسه، وبمعية تلاميذه، وجلسائه، يتَّحلى بالتواضع الجِّم، واللطف والبشاشة والخلق الكريم، ورحابة الصدر إزاء كل رأي وفكرة، وسؤال وفتوى . إضافة إلى الزهد بالماديات، وبريق الإعلام، وأحاديث القنوات، إذ أنَّه كان يُفضِّل العمل بهدوء وروية وسكينة، ومجالسة الكتب والمؤلفات، ومتابعة النشاط العلمي والمعرفي .

وفي السنوات الأخيرة من حياة سماحته رحمه الله تفرَّغ تمامًا للتأليف والتدوين والتأصيل .

وبعد، فإنَّ رحيل العلماء، ثُلْمة لا تُسد، ومصيبةٌ لا تُحْد، فهم وريثة الأنبياء، وخلفاء الرسل، والأمناء على ميراث النبوة، هم الشموس الساطعة والكواكب اللامعة، ولكن هذه مشيئة الله وسُنَّه في خلقه وعباده، ولا رادَّ لهذه المشيئة الربانية، وستظلُّ سيرهم ومناهجهم وإرثهم الدعوي والعلمي جداول وأنهارًا تروي ظمأ العطشى إلى العلم الشرعي الصحيح .

رِجَمَ اللهُ سِاحَةَ الإِمَامِ الرَّبَّانِيِّ الشَّيْخِ السَّبِيْلِ رَحْمَةً وَاسِعَةً، وَأَسْكَنَهُ فِسِيحَ جَنَاتِهِ، بِصَحْبَةِ الصِّدِّيقِينَ وَالنَّبِيِّينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا .

كلمة أخيرة: إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا شيخنا وإمامنا لمحزونون .

وإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» .

المصدر: جريدة الرياض: ٩/٢/١٤٣٤هـ - ٢٢/١٢/٢٠١٢م، العدد: ١٦٢٥٢.

(١٩)

رثاء إنسان .. الشيخ محمد السبيل

الكاتب: أ.د. عاصم حمدان.

« هذه كلمات عن إنسان أكرمه الله مع آخرين بترتيل القرآن وتجويده، إماماً للمسجد الحرام وخطيباً في منبره، وراعياً لشؤونه وأحواله، ذلكم هو الفقيه والشيخ الجليل محمد السبيل.. عليه من الله سبحانه رحمته وعفوه ورضوانه، ويحسب للفقيه - رحمه الله - شمائل وفضائل عديدة أكرمه الله بها، منها مواساته للآخرين عرفهم أو لم يعرفهم، بأذلاً جاهه لهم متى قصدوه وتوجهوا إليه، وكان سمته المتواضع الذي يصدر فيه عن طبع وسجية، مما لا تخطئه العيون، وتتفق حوله المشارب والمنازع، وفيما يمكن لكاتب هذه السطور روايته والحديث عنه دون تلجلج، أنني شاهدته يسير خلف جنازة الوالد المرحوم عبدالله البصنوي - أحد أشهر مؤذني المسجد الحرام في الحقبة الماضية، ومن أكثرهم حضوراً ودراية، حتى إذا ما أدخلناه القبر في حجون المعلاة لمحتة - رحمه الله - يفترش عباءته على الثرى، فاقتربت منه سائلاً إياه أن يتخذ مجلسه بين كبار السن من الحاضرين، فرد بكثير من اللطف والوداعة بأنه يجد راحته فيما اختاره من مجلس، وكأنه يستحضر في نفسه الممتلئة صفاء ونصاعة نهاية هذه الحياة، التي كتب الله فيها على عباده ومخلوقاته الفناء وتفرد وحده - عز وجل - بالديمومة والبقاء والأزلية.

وقصدت داره بعد أن رحل ابنه عمر - رحمه الله - معزياً، وقدمني له ابنه المهذب زميلنا الدكتور عبدالعزيز، فوجدته - رحمه الله - وقد طوى

نفسه حزناً وكمداً على فلذة كبده وقرّة عينه، وجدته راضياً محتسباً، وتلك حال النفوس المؤمنة الراضية بقضاء الله وقدره، وحدثني -عندئذ- عن لقائه بشيخ القراء وأستاذ الأئمة في الحرم النبوي الشريف الشيخ حسن الشاعر - رحمه الله - وكيف أنه قدم ملكة المكرمة في مطلع التسعينيات الهجرية، وكان برفقته الشيخ صالح قزاز - الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي - آنذاك - واقترّب من الشيخ السبيل الذي فرغ لتوه من صلاة جهرية قائلاً له: لقد أجدت في قراءتك وترتيلك، فإذا بالشيخ القزاز وهو حافظ أيضاً لكتاب الله - يؤمن على ما أفضى به الشيخ الشاعر صادقاً عن مكنون نفسه، ويمكنني القول: إننا برحيل الشيخ الوقور والخطيب المفوه - محمد السبيل - فقدنا أحد المرجعيات الدينية الهامة والمعتدلة، ولقد اتسمت حياته بحب الآخرين، والحدب عليهم، والتصرف بحكمة وتعقل في أصعب المواقف».

(٢٠)

الشيخ محمد بن عبد الله السبيل " رحمه الله "

الكاتب: محمد بن عبد الله المشوح.

« حينما نعى الديوان الملكي معالي الشيخ محمد بن عبد الله السبيل تداعت لي ذكريات عديدة مع هذا العلم الأصيل رحمه الله. ففي أيام دراستي الثانوية والجامعية، وفي أثناء قدومنا للحرم الشريف لأداء العمرة خصوصا في شهر رمضان، كان صوته المميز وتلاوته غير المتكلفة تهز جنبات الحرم المكي. وكانت صلاة العشاء تحديداً التي أسندت إليه منذ سنوات طويلة، يترقب الناس فيها تلاوة أدائه الرخيم. جمعتني بالشيخ رحمه الله مجالس عديدة منذ سنوات، حيث كنت لا أتردد بلقاء فضيلته إبان إمامته للحرم وورثاسته لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي. وأذكر أنه في سنة ١٤١٩ هـ كنت أقدم برنامجاً إذاعياً معروفاً في إذاعة القرآن الكريم «في موكب الدعوة» وزرته في مكة، وطلبت منه رحمه الله لقاء مطولاً عن حياته وسيرته، بعد أن انصرفنا سوياً من صلاة العشاء في المسجد الحرام. فاحتفى بي كثيراً كعادته مع الآخرين بما وهبه الله من خلق كريم وسجايا حميدة، أجمع الناس عليها، وابتسم لي ابتسامة الوالد لابنه، معتذراً بأن ليس لديه ما يحسن قوله وبيانه. وقال عليك بالعلماء الكبار الذين يستفيد الناس منهم، مع أنه عضو في هيئة كبار العلماء وغيرها من المجالس الفقهية الكبرى، لكنه التواضع الذي طالما التحف به في حياته رحمه الله. وكانت علاقته مع العم الشيخ حمد المشوح، وكلاهما من تلاميذ ساحة العلامة الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله علاقة متميزة، فقد عملا مدة طويلة ناهزت

ثلاثين عاماً، كما كانت طريقاً لي لود كبير جمعني به. لقد غادر الشيخ محمد السبيل رحمه الله بريدة إلى مكة بترشيح خاص من شيخه الشيخ عبدالله بن حميد؛ ليكون إماماً للحرم المكي الشريف سنة ١٣٨٥هـ. وقد سبقه الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله تعينا سنة ١٣٨٤هـ، وقد أقام الشيخ محمد بن سبيل سنوات عديدة في بريدة مدرّساً وإماماً. فقد أم في عدد من مساجد بريدة وهما مسجد الدبيب، حيث أم فيه من ١٣٧٧هـ حتى ١٣٨٢هـ، ثم انتقل إلى جامع الأمير عبدالله الفيصل «الجردان» سنة ١٣٨٢هـ حتى عام ١٣٨٥هـ. ومن اللطائف في ذلك أن كلا من المسجدين توليت الإمامة فيهما أيضاً، ولكن بعد ذلك بأكثر من خمسة وثلاثين عاماً. كما أنه قام بالتدريس في معهد بريدة العلمي عدة سنوات، إبان إدارة شيخنا العلامة محمد العبودي للمعهد. كما شرفت بدعوته إلى الثلوثية يوم الثلاثاء ١٤٢٣/١١/٤هـ وتحدث في تلك الليلة بما يفيد الناس وينفعهم. كما أشار إلى عدد من محطات حياته في إمامته للحرم المكي الشريف التي ناهزت أربعين عاماً، وبعض المواقف التي تعرض لها، والتي كان من أبرزها فتنة جهيمان سنة ١٤٠٠هـ، حيث كان هو الإمام في صلاة الفجر في ذلك اليوم. لقد وهب الله الشيخ محمد السبيل أخلاقاً عالية، استطاع من خلالها أن يدلّف إلى قلوب الجميع خاصة أهل مكة كبيرهم وصغيرهم. وكان قريباً من الجميع في مناسباتهم وأفراحهم وأحزانهم، وكانت ابتسامته التي لا تفارقه معبرة بوضوح عن تفاؤله وصفاء سريرته. وقد شرفت أيضاً بالتقديم لمحاضرة لمعالیه في داره الملك عبدالعزيز سنة ١٤٢٣هـ وإدارة الحوار بينه وبين الحضور. وكانت المحاضرة في قصر المربع الشهير. ثم

شرفت لاحقاً بالجلوس مع فضيلته مجالس عديدة في حضرة شيخنا العلامة محمد العبودي، حيث ارتبطا بصداقة قديمة جميلة خالصة. وكان كلما قدم إلى الرياض قام بزيارة للشيخ محمد العبودي، ويتذاكران أخبار العلماء والأقران وبعض المسائل العلمية والتاريخية، وكان ثالثهم الذي يأنسون به كثيراً الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل رحمه الله. وأذكر أنه في يوم الجمعة: ٦/١١/١٤٢٢هـ دعا شيخنا محمد العبودي حفظه الله صديقه فضيلة الشيخ محمد السبيل رحمه الله بحضرة الشيخ عبدالله بن عقيل رحمه الله، وكانت ليلة حافلة بالمناقشة والمطارحات العلمية والتاريخية، استمرت أكثر من خمس ساعات متواصلة. كان يظهر بين الثلاثة ود عجيب، وألفة قديمة، وود صادق، وقد أسهب شيخنا محمد العبودي في ذكر الكثير من ذكرياته مع الشيخ محمد السبيل وصداقته معه في كتابه المخطوط «معجم أسر البكيرية».

لقد عاش رحمه الله في نفع عظيم للناس، مشاركاً في كل محفل أو جمعية أو منشط فيه نفع للناس، مثل جمعية تحفيظ القرآن وجمعية الراغبين في الزواج. وكان لوجوده أثر في ثقة الناس وتدفق الدعم لهم؛ لما يحظى به من تقدير بالغ لدى الجميع. وكانت آخر صلاة له في المسجد الحرام إماماً هي صلاة العشاء في ١١ ربيع الأول سنة ١٤٢٨هـ. ومن أبرز وجوه ومعالم شخصيته رحمه الله ذوقه وحسه الأدبي، وهو ما يلحظه من يقرأ خطبه ويستمع إلى أحاديثه، فهو متقن للغة، درّس مدداً وأزمنة طويلة ألفتها ابن مالك وغيرها من متون النحو والعربية. كما أنه يحمل ذائقة شعرية بل إنه شاعر متميز، له ديوان سبق طبعه، إضافة إلى قصائد ومراث عديدة.

أشهرها مرثيته المؤثرة في والده عبدالله السبيل وشقيقه وشيخه الشيخ عبدالعزيز السبيل - رحمهم الله - وغيرهما كثير.

رحم الله الشيخ محمد السبيل، وأسكنه فسيح جناته، وبارك في عقبه وأنجاله، إنه سميع مجيب» .

المصدر : جريدة عكاظ : ٨ / ٢ / ١٤٣٤ هـ - ٢١ / ١٢ / ٢٠١٢ م، العدد : ٤٢٠٥ .

(٢١)

معالي الشيخ محمد السبيل

صاحب المواقف المشرفة

الكاتب: ماجد مسعود محمد سليم رحمت الله.

فقد العالم الإسلامي على وجه العموم والمملكة العربية السعودية على وجه الخصوص علماً بارزاً، مشهوراً، معروفاً، من أعلام التربية والتثقيف والتهديب والسلوك المحمود والسيرة الحسنة، وعالماً من علماء الدين والقرآن الشريف والعلم والدعوة والإصلاح والحكمة والتبليغ والوسطية والإتلاف والترابط، ألا وهو العالم العلامة الفهامة الحبر البحر الصالح الناصح الإمام الخطيب معالي الشيخ محمد عبدالله السبيل - تغمده الله برحمته الواسعة ورضوانه الشامل، وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة، وجزاه الله خيراً على ما قدم للإسلام والمسلمين عامة، والحرمين الشريفين خاصة من جهود وخدمات ونشاطات وتضحيات - وعوض المسلمين خيراً منه آمين .

والحديث عن معاليه وآدابه وسلوكه وأعماله وسيرته ونشاطاته حديث طويل متشعب. كيف لا وهو إمام الملايين من المسلمين والمسلمات، الذين أدوا وأقاموا الصلاة خلفه خاصة في المسجد الحرام في مكة المكرمة، وفي بعض مساجد العالم التي زارها - وتلك مزية عظيمة وخصلة خاصة ورتبة عالية ودرجة متميزة، خصها الله تعالى أئمة وخطباء الحرمين الشريفين، الذين حظى ويحظى كل واحد منهم أن يصلى خلفه ملايين البشر

من المسلمين كل يوم وليلة وأسبوع وشهر وعام، حيث يكتظ الحرمان الشريفان والمسجدان المعظمان بالملايين، خاصة في المواسم المزدحمة وصلوات الجمعة والعيدين، فهؤلاء الملايين يتذكرون هذا الإمام الجليل، والخطيب العظيم، بالذكر الحسن، والثناء العطر، والدعاء له بالمغفرة والرحمة والرضوان، وما ترك من آثار عظيمة خاصة في زيارته للعديد من الدول، وعلى رأسها الهند وباكستان.

حينما جرى نقل معاليه من بريدة إلى مكة المكرمة في عام ١٣٨٥ هـ ليكون رئيسًا للمراقبين والمدرسين بالمسجد الحرام وإمامًا وخطيبًا، كان المسجد يكتظ بحلقات الدروس الكثيرة في أرجاء المسجد الحرام، باللغات العربية والأردية والإندونيسية والمليارية وغيرها وكذلك بالمواعظ.

وكان المدرسون في الحرم الشريف من علماء ومتخرجي المدرسة الصولتية بمكة المكرمة وهم: العلامة الشيخ حسن محمد المشاط، والشيخ علي سعيد اليماني، والشيخ عبدالله سعيد اللحجي، والشيخ محمد عوض منقش الزبيدي، والشيخ إسماعيل عثمان الزين، والشيخ عبدالفتاح راوه، والشيخ عثمان محمد سعيد تنكل، والشيخ زكريا عبدالله بيلا، والشيخ محمد ياسين الفاداني وغيرهم، والشيخ محمد نور سيف، والسيد محمد أمين كتبي، والسيد علوي عباس المالكي، والشيخ عبدالله دردوم وغيرهم من مدرسة الفلاح، والشيخ عبدالقادر منديلي، والشيخ طه البركاتي، والشيخ خير محمد الباكستاني، والشيخ عبدالحق الهاشمي، والشيخ محمد أمين مرداد، والشيخ محمد علي الصابوني، محمد محمود الصواف، والشيخ محمد المنتصر

الكتاني الفاسي، وغيرهم كثيرون رحمه الله جميعاً- فكان معالي الشيخ محمد السبيل على اتصال واجتماع ولقاء دائم بهم؛ لما لهم من مكانة وعلم وفضل ورتبة. وكانت حلقات الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة أيضاً في المسجد الحرام، وكان رئيس الجماعة معالي الشيخ محمد صالح القزاز ومعه كثيرون من المكين المساندين، كما أن من مدرسي وطلاب التحفيظ مدرسون في المدرسة الصولتية وطلابها، وأذكر مرة من المرات أن العلامة المحدث الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي شيخ الحديث بمدرسة مظاهر العلوم في سهارن بور في الهند ومؤلف الكتب الكثيرة خاصة في علم الحديث الشريف - (اللامع الدراري شرح صحيح البخاري، وبذل المجهود على سنن أبي داود، وشرح الترمذي وحجة وعمرات النبي وغيرها) - قدم إلى مكة المكرمة لأداء مناسك العمرة والحج، وأقام بالمدرسة الصولتية على عادته القديمة - فقام معالي الشيخ محمد السبيل بزيارة للمدرسة الصولتية، حيث تجول في فصولها، والتقى بعلمائها، وبمدرسيها، واطلع على المناهج والمقررات التي كانت تدرس بالمدرسة الصولتية - وقد سبق لمعاليه الاتصال بوالدي وجدي والالتقاء ببعض المدرسين؛ لمعرفة تاريخ المدرسة وما يدرس فيها من علوم ومقررات، حيث إن سماحة الشيخ عبدالله بن حميد - رحمه الله - قد سبق له الاطلاع على مناهج ومقررات وكتب المدرسة الصولتية للاستفادة في مقررات ومناهج معهد الحرم المكي الشريف، حيث افتتح فيه القسم العالي أسوة بالقسم العالي في المدرسة الصولتية.

وكان معالي الشيخ محمد السبيل - يرحمه الله - دائماً يسأل عن المدرسة

وأساتذتها وطلابها، وكلما زاره أو لقيه أحد منسوبي الصولتية يسأل عنها وعن أحوالها. ومن مواقفه الشريفة التي لا تنسى تقديم التبرعات والمساعدات لطلاب المدرسة المحتاجين في شهر رمضان من كل عام، حيث كانت التبرعات تصله من قبل المحسنين لتوزيعها في مكة المكرمة، خاصة على طلاب العلم، ويشهد بذلك الشيخ محمد السيلاني أحد منسوبي معهد الحرم الشريف.

وكانت له يرحمه الله خلوة في المسجد الحرام على يسار الداخل من باب الملك عبدالعزيز، ويقصده كثير من الزوار وأهل العلم ومجالسته، وكان لي شرف الحضور في هذه الخلوة المباركة بعد المغرب إلى العشاء عدة مرات والحمد لله، فرأيت العلماء والأعيان والأعلام والمشاهير .

ومما أتذكره في هذه المجالس قدوم بعض الناس بجوالين وقوارير ماء زمزم، فكان الشيخ يقرأ عليها وينفث وينفخ فيها، ويستفتيه بعض الناس فيفتي لهم بالتيسير والتسهيل والتسامح واللين، ومنهم من يسلم عليه ويخرج، ومنهم من يطيل الجلوس معه إلى ما قبل صلاة العشاء، للاستماع إلى مواعظه ونصائحه وإرشاداته - بجانب مسؤوليات ومهمات الحرم الشريف وقدوم الموظفين والعاملين إليه للإخبار والإعلام والاستشارة.

وكانت له - يرحه الله - مواقف مشهودة في مكة المكرمة ومع أهلها وسكانها ومقيمها وجمعياتها ومؤسساتها ومدارسها المختلفة، فكان يتعامل معهم بكل رفق وحب وود واعتدال وعطف وتسامح وتيسير وتسهيل . فكسب بسبب ذلك مقامًا عظيمًا ومرجعية كبيرة في مختلف الأمور

والمعاملات والوساطات لدى مختلف الجهات المختصة.

أما أخوه الشيخ عبدالرحمن السبيل فقد كان مفتشاً في إدارة التعليم بمكة المكرمة، وكان يزور المدرسة الصولتية لتفقد فصولها ودروسها وحلقاتها ومدرسيها، فكان يجلس مجلساً طويلاً في المدرسة ويستمتع بمشاهدة المدرسة مع والدي وجدي للتباحث في أمور المدرسة، وما يتعلق بها - وكان يبلغ أخاه معالي الشيخ بما رآه وشاهده بالمدرسة -.

ومن مواقفه المشرفة تجاه المدرسة الصولتية اجتهاده وسعيه بعد صدور قرار مجلس الوزراء في عام ١٤١٤هـ بضم جميع المدارس الأهلية للبنين والبنات إلى ملاك وزارة المعارف ورئاسة تعليم البنات؛ حيث تفضل معاليه بالكتابة إلى مقام خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود - يرحمه الله - في عام ١٤١٥هـ والتوسط باستثناء ضم المدرسة الصولتية إلى ملاك وزارة المعارف - ونوه رحمه الله في خطابه بمكانة المدرسة وعطائها وتاريخها ودورها - وقد سبق للمقام السامي أن تكرم بالموافقة على استثناء مدراس الفلاح، ومدرسة دار الفائزين، ودار الحديث الخيرية، ومدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة من ضمها إلى ملاك وزارة المعارف - فصدرت موافقة نائب رئيس مجلس الوزراء آنذاك حضرة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز بتوقيع حضرة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز باستثناء المدرسة الصولتية من ضمها للوزارة؛ تقديرًا لوضعها الخاص؛ أسوة بالمدارس الأخرى المستثناة. ولا تنسى في هذا الشأن مساعي وجهود أصحاب المعالي الشيخ محمد عبده يمانى والشيخ أحمد يوسف زليل والشيخ إسحاق عزوز رحم الله الأموات منهم

وحفظ الأحياء.

وإذا كان معالي الشيخ محمد السبيل يذكر بهذه المواقف المشرفة له فإن شيخه العلامة سماحة الشيخ عبد الله بن حميد - رحمه الله و غفر له وأعلى درجاته - أيضاً لا ينسى، وهو الذي كان رئيساً للإشراف الديني بالمسجد الحرام، ويلقي دروساً في الحرم الشريف، وكان فقيهاً مشهوراً يفتي على المذاهب الأربعة، ويدعو إلى التعاطف و التآلف و التعاون و التسامح والاعتدال، وينهى عن التشدد والعنف والقسوة والاختلاف والتنازع؛ لما في ذلك من حسن السمعة لعلماء مكة المكرمة والحكومة الرشيدة. وبابه مفتوح للجميع في العمل والمنزل لاستقبال الجميع بدون استثناء، ومثله أيضاً العلامة عبد الله البسام المدرس بالمسجد الحرام، والذي كان يفتي على المذاهب الأربعة في حلقات ودروس المسجد الحرام .

وهذه المواقف المشرفة إن دلت على شيء فإنما تدل على حب معالي الشيخ محمد السبيل العميق لجميع المسلمين، وفتاتهم وجماعاتهم و جمعياتهم و علمائهم والذين كان يفتح لهم جميعاً أبوابه في العمل و المنزل و الخلوّة في المسجد الحرام، فأحبه و بادلوه الحب و التقدير والإكرام. وبوفاته افتقدوا عالماً مخلصاً متواضعاً متقياً داعياً زاهداً صالحاً ناصحاً جامعاً لقلوب المسلمين وأفئدتهم وأجسادهم .

وكانت جامعة دار العلوم ندوة العلماء في لکنو بالهند قد أقامت مؤتمراً عالمياً عن الفئات الضالة، وعلى رأسها القاديانية الأحمدية، ودعى إلى هذا المؤتمر سماحة الداعية العلامة السيد أبو الحسن علي حسني الندوي الأمين العام لندوة العلماء - يرحمه الله - وكان على رأس المدعوين والضيوف

معالي الشيخ محمد السبيل ورافقه في سفره هذا معالي الشيخ محمد بن ناصر الخزيم، وخصص لهما جناح خاص في فندق، كما تشرفت بالحضور في هذا المؤتمر، وكان سكني في غرفة مستقلة بجانب هذا الجناح، وحظيت بمجالسة معاليه وزيارته ومرافقته إلى جلسات المؤتمر في ندوة العلماء في مواكب رسمية، وكان يأتي إليه العلماء والزوار من كافة الطوائف والجماعات والجمعيات لزيارته في الجناح الفندقية، وتقام الصلوات فيكون هو الإمام - وحينما توفي سماحة العلامة السيد أبو الحسن علي الحسيني الندوي في شهر رمضان أعلن في المسجد الحرام عن إقامة صلاة الغائب على سماحته، وكان معاليه هو الإمام - و لا نملك بعد رحيله عن هذه الدنيا الفانية إلا أن نذكر محاسنه ومكارمه وفضائله ومواقفه التي لا تنسى، وما ترك بعده وخلفه من ذكر حسن وثناء جم وتقدير عظيم - ولم يبق لنا إلا أن نتذكره بالدعاء له بالمغفرة العامة والرحمة التامة والرضوان الأعم والفردوس الأعلى من الجنات - وهي فرصة لغيره ولأمثاله أن يقتدوا ويتأسوا به في معاملاته واعتداله و تسامحه ووسطيته وقربه من جميع فئات وطبقات الناس، خاصة العلماء وأهل العلم وفتح أبوابه ومجالسه لهم - وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وختاماً يسرني أن أطلب من أبناء معاليه الأفاضل الكرام ترتيب وجمع مقالات وقصائد وخطابات الرثاء في كتاب خاص لتبقى محاسنه وجمائله وآثاره وذكره الحسن معروفاً ومشهوداً عند جميع الناس - والحمد لله رب العالمين على قضائه وقدره ومشيئته» .

ربيع الأول ١٤٣٤ هـ .

(٢٢)

حكاية .. اسمها الرحيل

الكاتب: د. سعد بن عبد القادر القويعي.

سيقف القلم حائراً في رثاء -الشيخ- محمد بن عبد الله السبيل،
وسننام الليلة على نصل ذكرى، حين نستيقن معادلة الفراق حتى اليقين،
بعد أن كان ملء العين على صفحات الزمن، وبمثابة النسبات التي ترطب
علينا جفوة الحياة.

صوته الرخيم، لا يزال يسري في آذان محبيه على إثر سنوات قد
مضت، وامتدت روحانياتها على مداد مواسم رمضانة قد خلت؛ ليشاركنا
عبادة الصلاة، والقيام، والقرآن، والإيمان؛ وليبقى رسمه، واسمه محفورا في
ذاكرة المكان المقدس، عندما يكون عنوان صحيفته ثناء الناس عليه، بعد أن
خلف نبأ وفاته حزنا عميقا في قلوب محبيه.

لم يكن يوما متعاليا، فمن عرفه عرف قيمة الإنسان، حين علمهم
أبجدية الحياة، وتهجئة أقدارها. ويكفيه فخراً، أن كان عظيم الاهتمام
بأوضاع المسلمين، الحامل لقضيتهم، المؤمن برسالتهم.

عندما لازم السرير، وصارع ألم السنين، اختبأت بين قطرات دموع
محبية، التي نهلت كسكب الغيث. ومع هذا فقد كان قليل التشكي، كثيرا ما
يظهر التفاؤل، والأمل؛ لتتسع مساحات الحزن حيث لا نهاية لها، ويقضي
الدهر بغيابه.

تتشابك الذكريات، ولا يبقى -حينئذ- إلا اقتضاء حسن الأثر؛
لنبتهل إلى الله بدعوات الرحمة، التي ستصعد إلى سلم السماء، وقد فارقت
عالمنا بهدوء، وتأوي روحك حيث شاء ربنا، ترقد في مثواك الأخير؛
لنناجي الرحمن بأن يسكنك فسيح الجنان، وينعم عليك بالرحمة، والغفران،
وإننا على فراقك أيها الشيخ لمحزونون» .

المصدر: جريدة الجزيرة: ١٦/٢/١٤٣٤هـ - ٢٩/١٢/٢٠١٢م، العدد: ١٤٧٠٢ .

(٢٣)

فضيلة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل رحمه الله

إمام وخطيب المسجد الحرام ورئيس شؤون الحرمين سابقاً

الكاتب : نور عالم خليل الأميني رئيس تحرير مجلة الداعي .

« بعد معاناة مع المرض وعوارض ناشئة عن كبر السن ألزمته السرير الأبيض طوالَ الشهور الستة الماضية، انتقل إلى رحمة الله تعالى العالم الصالح الداعية الإسلامي السعودي، فضيلة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل إمام وخطيب المسجد الحرام، ورئيس شؤون الحرمين الشريفين سابقاً، عن عمر يناهز ٨٨ عاماً بالنسبة إلى السنوات الميلادية، و٩٢ عاماً بالقياس إلى السنوات الهجرية، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

وذلك عصر يوم الاثنين: ٣/ صفر ١٤٣٤هـ (بالنسبة إلى التقويم الهندي) الموافق ١٧/ ديسمبر ٢٠١٢م بمدينة الملك عبد العزيز الطبية للحرس الوطني بمدينة جدة. وقد نقلت سيارة إسعاف جثمانَ الفقيد صباحَ الثلاثاء: ٤/ صفر = ١٨/ ديسمبر منها إلى مغسلة المهاجرين بمكة المكرمة؛ حيث تمَّ غسل وتكفين الشيخ رحمه الله بحضور أبنائه وأقاربه وحشد كبير من طلابه وزملائه ومحبيه ومعارفه؛ فيما أُدِّيت الصلاةُ عليه في المسجد الحرام عقب صلاة عصر يوم الثلاثاء ٤/ صفر ١٤٣٤هـ.

ووصل جثمانُ الفقيد الكبير مقبرة العدل بمكة المكرمة الساعة الرابعة والربع مساءً، في موكب مهيب حزين وجموع غفيرة، حيث

حاصرت السيارة التي نقلت جثمانه جموعٌ حاشدةٌ من المشيعين، وقد أُديت عليه صلاةٌ الميت للمرة الثانية داخل مقبرة العدل.

وحسبها أفادت الأنباء من مكة المكرمة تقدم جموع المشيعين معالي الدكتور صالح بن حميد المستشار في الديوان الملكي، ومعالي الدكتور عبد الرحمن عبد العزيز السديس الرئيس العام لرئاسة شؤون الحرمين، وجمع كبير من أصحاب الفضيلة العلماء أئمة الحرم المكي والمدرسين في المسجد الحرام. وقد ساهمت عدة جهات حكومية في مباشرة مهمة تشييع جثمان الفقيد منذ وقت مبكر من يوم الثلاثاء المذكور؛ حيث نشرت إدارة المرور والشرطة رجال الأمن لتنظيم حركة المرور.

* * *

هذا، وتبعد مقبرة العدل عن الحرم المكي بأقل من ٤ كم على طريق الطائف - الشرائع، مجاورة لمقر إمارة مكة المكرمة من الجهة الشرقية، وتتكون من قسمين، الأول لأبناء الأسرة المالكة حيث مقابر عدد كبير من الأمراء الراحلين، والقسم الآخر يضم قبور كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، منهم سماحة مفتي عام المملكة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، والشيخ عبد الله خليفني، والشيخ عبد الله البسام، والشيخ عبد الله خياط إمام الحرم المكي، والدكتور عمر محمد عبد الله السبيل، والعالم الأديب الكبير الشهير علي الطنطاوي السوري ثم السعودي المكي، وحشد كبير من كبار العلماء والصلحاء والدعاة.

وتقع المقبرة على مساحة ٦٠ ألف م ٢ تقريباً، وتتوسط المنطقة

الواسعة بين حديقة العدل ومستشفى الملك فيصل وإمارة منطقة مكة المكرمة، وتقع بوابتها الرئيسة من الجهة الغربية على شارع يلتف حول مبنى الإمارة. وتشير مصادر تاريخية أن المقبرة سُمِّيَتْ بـ«العدل» نسبة لمنطقة الحبي التي تحتضن المقبرة. وشهدت المقبرة في السنوات العشر الأخيرة حزمة مشاريع بإشراف أمانة العاصمة، منها مشاريع تسوير وبناء مظلات وصالة انتظار.

* * *

كان الشيخ محمد السبيل رحمه الله من كبار العلماء المتقنين لعلوم الشريعة إلى جانب ما كان يمتاز به من الصلاح وتقوى الله، والحلم والكرم، والتواضع والخلق الرفيع الذي حَبَّبَهُ إلى الناس جميعًا وجَعَلَهُ شامًا بين ذوي العلم والفضل في ربوع الحرمين، وعُدَّ من أبرز أئمة الحرم المكي، واختير عضوًا في هيئة كبار العلماء، وعضوًا في المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ورئيس لجنة أعلام الحرم بالمملكة العربية السعودية.

وكان رحمه الله كثير السفرات في سبيل الدعوة وحضور الحفلات والمناسبات الدينية والدعوية والمؤتمرات والندوات الإسلامية في شتى أقطار العالم، فقام بأكثر من مئة رحلة خارج المملكة، زار خلالها أكثر من خمسين دولة في العالم. وكان رحمه الله يُؤثِّرُ قوله في القلوب؛ لأنه كان يصدر عن اللسان الذي كان صاحبه يطابق قوله فعله وفعله قوله، والقول لا يأتي مؤثِّرًا إلا عندما يكون صادرًا عن رصيد العمل. وكان خطيبًا مَفُوهًا يقدر

على إقناع الحضور وإشباعهم؛ لأن خطاباته كانت تكون مزوجةً بالسلاسة والعدوبة، ونور الإيمان، وإشراقه الصلاح، وبلاغة البيان، وروعة الطرح، ولباقة الأداء، وحسن التصنيف للمواد والأفكار، التي كان يريد تقديمها إلى مستمعيه. وكان يُعِينه على ذلك كله انتماءه إلى الحرم، وكونه إمامًا وخطيبًا فيه إلى جانب امتلاكه للموضوعات التي كان يودُّ أن يتحدث حولها، وتمكُّنه من علوم الكتابة والسنة، ومن أساليب الخطاب والبيان، وتضلعه من اللغة العربية وتشبُّعه بالحسِّ الأدبي والتذوق اللغوي، وكان يتذوق النثر والشعر، ويقول الشعر، فقد خَلَفَ ديوانًا يُطَبَعُ وَيُتَدَاوَلُ.

وكان كثير الاستشهاد بالآيات القرآنيَّة والأحاديث النبويَّة، إلى جانب الأمثال والحكم والأقوال العربيَّة المأثورة عن علمائها وأئمتها والآيات العربيَّة المثيرة المُؤثِّرة، التي كانت تضيفي على خطاباته مسحةً من السحر والتأثير القوي.



وقد سمعنا خطابًا له ألقاه في حفلة حاشدة، عقدتها الجامعة الإسلاميَّة دارالعلوم/ ديوبند في رحابها ترحيبًا به واستقبالًا له، لدى زيارته لها يوم الإثنين: ١٦/ ربيع الأوَّل ١٤٠٨هـ الموافق ٩/ نوفمبر ١٩٨٧م في الفترة ما بين الظهر والعصر. ولا زال الخطاب كأنه يشنف آذاننا لدى كتابة هذه السطور.

وكنا قد نشرنا الخطاب في العدد ٧-٨، السنة ١١ من «الداعي» الصادر في ١٩/ ربيع الثاني - ٥/ جمادى الأولى ١٤٠٨هـ الموافق ١٠- ٢٥/ ديسمبر ١٩٨٧م، وكانت تصدر عندها نصف شهرية. وقد نشرنا في

العدد نفسه تقريرًا مفصلاً عن زيارته - رحمه الله - للجامعة قادماً من دهلي العاصمة بالسيارة التي سعد فيها بصحبته، عبر الطريق بين دهلي وديوبند كاتب هذه السطور نور عالم خليل الأميني رئيس تحرير مجلة «الداعي» الشهرية.

والخطابُ يدلُّ على مقدرته البيانية، وقوته الخطابية، وكيفيته الإيانية في جانب، وعلى حبه للجامعة وإعجابه بها، واعترافه بفضلها، وإشادته بإنجازها في جانب آخر، كما يُؤكِّد ما كان يَتَمَتَّع به من النظرة المتزة إلى جميع المذاهب الفقهية والمدارس الفكرية للمسلمين، ويُؤكِّد ما كان يتصف به من روح العدل والإنصاف، والتجرد من العصبيَّة العمياء المُتَّبِئَة التي ربَّما يصدر عنها كثيرٌ من العلماء والمُتَقَفِّين لدى الحكم على مذهبٍ من المذاهب أو مدرسة من مدارس الفكر الإسلاميَّة.

وقد أعلن - رحمه الله - في خطابه صارخاً «أنَّ دارالعلوم ديوبند كالشمس في رابعة النهار، وأنه علم شامخ بين المدارس والجامعات الإسلامية في العالم؛ وأن علماءها أعلام شامخة بين العلماء». وقال: «لقد شُرحَ صدرى وازددتُ سروراً على سروري ومعرفة على معرفتي بهذه الجامعة. ومن لا يعرفها؟ وهل عالم لا يعرف هذه الجامعة الإسلامية في ديوبند، كلُّ النَّاسِ يعرفونها، فهي ل اتحفى على أحد، لا تحفى على أحد مكانتها المرموقة، والمُتَخَرِّجون من العلماء منها علماء مشهورون، خدموا العلم، خدموا تفسير كتاب الله، خدموا حديث رسول الله، خدموا الفقه الإسلامي، خدموا اللغة العربية، خدموا الأدب العربي، خدموا كلَّ العلوم

الإسلامية. هذا شيء لا يُنكر، وشيء يعرفه كل أحد:

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَذْهَانِ شَيْءٌ إِذَا احتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ

وقال: «شاهدتُ في العالم ما شاهدت من المدارس كُلُّها ناشئة عن هذه الجامعة، أو هي من فروعها، التي أنشأها رجالٌ تخرَّجوا منها، رجالٌ تعلَّموا ههنا، وذهبوا يحملون مشاعلَ النور إلى تلك البلاد، فهذه دارالعلوم في بنغلا ديش، عددتها دورًا كثيرةً، وهي ناتجة من ههنا، وفي باكستان دورُ العلم التي هي نابعة من ههنا، وفي ماليزيا وفي إندونيسيا وفي بريطانيا بلاد الكفر هناك جامعات ديوبندية حضرناها، وحضرنا مناسبات ختم صحيح البخاري فيها».

(جريدة الداعي، العدد ٧-٨، السنة ١١، ص ٥-٧، ١٩/ربيع

الثاني - ٥/ جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ الموافق ١٠-٢٥/ ديسمبر ١٩٨٧ م).

وبقي رحمه الله يُشيد بمكانة الجامعة، ويُعرِّف بها على ما هي عليه، ويذكرها بين العلماء وطلّاب العلم والدين في بلاد الحرمين، ويدافع عنها، وبتتقد من ينتقدها، ويتجاهل خدماتها ومكائنتها، ويُنكر ما قامت به في سبيل تصحيح العقيدة، ومكافحة البدع والخرافات، ونشر علوم الكتاب والسنة، وتخريج علماء أكفاء كانوا واسطةً مباشرةً للإبقاء على الإسلام والمسلمين في هذه الديار الواسعة، وحالوا دون تكرار قصّة الأندلس على أرض الهند، التي استعمرها الإنجليز، وانتزعوها من الملوك المسلمين.

وأذكر أني زرتُ الفقيدَ - رحمه الله - أكثر من مرة بعد زيارته

المذكورة للجامعة عام ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٧ م خلال سفراتي إلى المملكة

وسعادي بالعمرة. وذات مرة زرتُه في مكتبة لرئاسة شؤون الحرمين الذي كان يقع آنذاك مُتَّصِلاً بالمروة، فدعاني - رحمه الله - لتناول الغداء عنده في منزله في حي «العزيرية» وقد صحبته في سيارته ...

* * *

وقد أمضيتُ مع الشيخ - رحمه الله - لدى زيارته للجامعة في صباح يوم الاثنين ١٦ / ربيع الأول ١٤٠٨ هـ الموافق ٩ / نوفمبر ١٩٨٧ م في الطريق بين دهلي وديوبند، وتعمّقتُ في سيرته وخلقه وطبيعته من خلال الحديث، ومن خلال الرضا والكره اللذين أبداهما في هذه الفترة الطويلة الممتدة على أكثر من أربع ساعات، قضيناها معه في سيارته الناقلة له من دهلي إلى ديوبند، وعَرَّجنا به خلال الرحلة هذه على مطعم لمسلم ثري رجل أعمال، رائع جميل المبنى، لذيذ الأكلات، لبقٍ مُوظَّفوه في التعامل والأداء، وتلقّي الضيوف وإكرامهم، على نهر جارٍ، مُتَفَرِّعٍ من نهر «كنج» الشهير، بمدينة «كهاتولي» بمديرية «مظفرنجر».

والإنسانُ يُعَرِّفُ أكثر ما يُعَرِّفُ في الرحلات والأسفار، التي تُبدي ما فيه من خير وشرّ وعادات، وهل الأخلاق فيه طبيعةٌ أو تطبُّعٌ، وهل الحلم والكرم فيه مركزان معجونان مع طبيئته، أو هما صادران عن التكلف الذي تعامَلُ به؛ لِيُرِيَ رَفَاقَهُ في السفر منه ما ليس فيه أصلاً.

فوجدتُ الشيخ - رحمه الله - إنساناً بأسمى معاني الإنسانية. وأسجّل ذلك بعد وفاته؛ ليبقى دليلاً ساطعاً على إنسانيته وعظمته؛ وليعلم القارئ في كل مكان أني لا أقول ذلك مجاملةً، أو رجاءً في نفع منه؛ لأنه قد

مات، ولم يبق بيديه شيء من النفع والضرر، ولا أعرف أي واحد من ذوي قرباه حتى أوصل إليه هذه السطور ليطلع عليها ويسر بها، ويتسبب في تحقيق منفعة لي أو دفع مضرة عني. وقد علم الله - الذي يعلم السر وأخفى - أني لا أكتب اليوم ما أكتب إلا حباً للفقيد رَسَخَ في قلبي.

وكان صالحاً بكل معاني الكلمة، فكانت صحبته مؤثرة، وكانت أقواله نافعة، وكانت خطاباته تنفع العامة والخاصة، وتصلح الفاسد، وتُقوي الصالح من الأخلاق والسلوك. ومن ثم أحبه جميع أساتذة وطلاب الجامعة، وانجذبوا إليه عَفْوِيًّا، وحنوا إليه من أعماق قلوبهم، وبقي حبهم له طوال حياته، ما ذكِرَ في مجلس إلا تحدّثوا عن محاسنه وفضائله، وذكروه بالخير والإعجاب والدعاء الصالح.

كان يأنس به كلُّ غريب، ويشعر كأنه يتعامل مع قريب له، تربطه به القرابة القريبة، والآصرة المتشابهة، كما كان يأنس هو به، كأنه على معرفة به قديمة.

* * *

وكان يحترم معارفه وضيوفه لآخر الحدود، ذات مرة سلّمت عليه بعد انتهائه من إمامة إحدى الصلوات في المساحة بين الكعبة الشريفة والمئذنة التي فيها كان يؤم الصلوات لدى كل نوبة كانت تصيبه، وكانت الصلاة صلاة العشاء - كما أذكر - فأخذ بيميني، وجاء بي معه إلى الغرفة الكائنة على مدخل بوابة الملك عبد العزيز في المسجد الحرام على يمين الداخل إلى المسجد من البوابة، وكانت مُخَصَّصَةً لأئمة الحرم؛ حيث كانوا يَسْتَجِمُّونَ فيها في الفرصة التي كانوا يجدونها فيما بين الصلوات، وقُدِّمَتْ لي

القهوة من قبل الموظفين الموكّلين بخدمة الضيوف والزوّار للأئمة الكرام، وبعد ما انتهيت من القهوة أمسك شرطي بمنكبي الأيمن بقوة ظناً منه أنني أجنبي طفيلي، اقتحمت الغرفة دونما سماح من المسؤولين، أو ظناً منه أنني أطلت الجلوس أكثر من اللازم، فزجره الشيخ بشدة ولامه على فعلته، وعرفه والحضور من الأئمة والزوّار قائلاً: هذا ضيفي الموقر: الأخ الفاضل الشيخ نور عالم خليل الأمين، أحد أفاضل العلماء الهنود، وأشار إليّ أن امكثوا ما شئتم، وأمر المأمورين بالخدمة بتقديم فنجان آخر من القهوة.

* * *

في عمره المبكر، في ٤٥ عامًا من عمره تُوفّي نجله العالم الفاضل الشيخ الدكتور عمر السبيل - رحمه الله - إمام وخطيب المسجد الحرام، بمدينة الطائف عصر يوم الجمعة غرة محرم ١٤٢٣هـ (بالتقويم السعودي) و٣٠/ ذوالحجة ١٤٢٢هـ بالتقويم الهندي الموافق ١٥/ مارس ٢٠٠٢م، وصُلّي عليه بعد عصر يوم السبت ٢/ محرم ١٤٢٣هـ بالمسجد الحرام ودفن بمقبرة العدل بمكة المكرمة. وكان الشيخ عمر - رحمه الله - تعرّض لحادث مروري عنيف يوم السبت ١٨/ ذوالحجة ١٤٢٢هـ الموافق ١/ مارس ٢٠٠٢م على طريق الطائف - الرياض ومعه عائلته وأطفاله، قادمًا من الرياض إلى مكة المكرمة، وأمضى الفترة بين التعرض للحادث وبين الوفاة في غيبوبة كاملة تحت العناية المركزة في كل من مستشفى الأمير سلطان بالحوية ومستشفى الهدا.

وكان لوفاة الابن الفاضل في العمر المبكر أثر الحزن العميق في قلب

الشيخ محمد بن عبد الله السبيل، الذي حطّمه من الداخل، وظلّ يعيش حزيناً كئيباً رغم إيمانه القوي بحكمة الله ومشيتته وتمسّكه بالصبر الجميل. وقد كتبتُ إلى فضيلته خطابَ تسليّة إثر الحادث المروري الذي تعرض له الشيخ عمر، وخطاب تعزية إثر وفاته - رحمه الله - . فردّ عليّ خطابي إليه بما دلّ على سعة قلبه وسماحة نفسه.

وكتبتُ ترجمةً موجزةً لحياة الشيخ عمر إثر وفاته نشرتها في ص ٥١-٥٤ في العدد ٣-٤ من السنة ٢٦ من مجلة «الداعي» الصادر في ربيع الأول - ربيع الثاني ١٤٢٣هـ = مايو - يوليو ٢٠٠٢م.

* * *

ومثّل الشيخ محمد بن عبد الله السبيل لايموت مهما مات بجسمه، فإنه سيظلّ حيّاً في قلوبنا وقلوب ملايين الملايين من المسلمين الذين صلّوا خلفه، وأعجبوا بتلاوته العذبة ... التي كانت تشحذ الإيثار وتشغف الآذان، وتُلدّد الأسماع - أو استمعوا إلى كلماته المؤمنة، أو تكيّفوا مع خلقه الرفيع، وسيرته الحسنة، أو التقوّه في مكان من أمكنة العالم فتكهرّبوا من حرارته الإيمانية، وغيرته الإسلاميّة، وحماسه الدعوية، واقتبسوا منه جذوة الإيثار، وجدّدوا معه العهدَ للعودة إلى الحرم، وماء زمزم، والطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفة، وذكر الله عند المشعر الحرام، والمشى على بطحاء مكة، والتجول في سكك المدينة، والصلاة في المسجد النبوي، والسلام على الرسول العربي وحيب الله محمد ﷺ، وزيارة مسجد قباء وهذه الأمكنة الحبيبة المقدسة في المدينة التي اختلف إليها جبرئيل، وعاش فيها أبوبكر وعمر وعثمان وعليّ وجميع الصحابة أحلى

أيامهم مع نبيهم المصطفى ﷺ الذي حَرَّكَ منها الجنودَ إلى بدرٍ وأحدٍ وحنينٍ وتبوكٍ وإلى تلك المعارك الحاسمة الفاصلة بين الجاهلية والإسلام، التي وضعت للأبد الخطَّ الفاصلَ بين الحقِّ والباطل. رحمه الله رحمةً واسعةً، وشمله بلطفه، وتغمده بواسعِ غفرانه ورضوانه، وأسكنه فسيح جناته، وألهم أهله وذويه وجميعَ من أحبَّه في الله ودعا له، الصبرَ والسلوانَ. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بمقدار، ولكل أجل عنده كتاب، وكلُّ ما هو كائن فكأن قد.

المصدر : مجلة الداعي الصادرة من جامعة دار العلوم ديوبند، ربيع الأول ١٤٣٤.

(٢٤)

لأن صوته يبرق في الذاكرة

الكاتب: يوسف المحيميد .

«قد يدهش من يعرف أن هذه المدينة الصغيرة، التي جفت على أطرافها دماء المحاربين مطلع القرن الماضي، قبيل توحيد المملكة تحت راية واحدة، تلك المدينة التي كانت بوابة للنزاع بين الجيوش، والتي كان أهلها يمنحون غلاهم للمحاربين، رغبًا عنهم، بحثًا عن البقاء والحياة، هي مدينة تمنح الحياة بعد ذلك، بأصوات أئمتها التي لم تعد تحلق فوق رؤوس النخيل العالية فحسب، بل ضجّت مصحوبة بالسكينة في أودية مكة وشعابها، وفوق رؤوس جبالها .

هكذا داهمني تاريخ «البكيرية»، تلك المدينة التي جاء من بيوتها الطينية الوداعة أئمة الحرم المكي، الشيخ عبدالله الخليلي، والشيخ محمد السبيل، والشيخ عمر بن محمد السبيل رحمهم الله، والشيخ عبدالرحمن السديس، هؤلاء الذين توارثوا إمامة الحرم، وقادوا ملايين المصلين على مدى عقود، فقد جاء أولهم الشيخ الخليلي من المسجد التحتي في مدينته البكيرية، وهو أول مسجد فيها، متنقلًا بين الطائف والمدينة المنورة، حتى أعجب به مفتي المملكة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ في أواخر الستينيات الهجرية، وطلب منه أن يصبح مساعدًا لإمام الحرم الشيخ عبدالظاهر أبو السمح، ثم أصبح إمامًا رسميًا للحرم المكي بعد وفاة أبو السمح عام ١٣٧٣هـ، واستمرت إمامة الحرم المكي لأجيال متتالية من أئمة هذه المدينة الصغيرة المحفوفة بالسكينة والطمأنينة.

تذكرت كل ذلك، قبل أمس، وقت الصلاة على إمام الحرم الشيخ السبيل، رحمه الله، وهو والد الشيخ عمر السبيل رحمه الله، ووالد الدكتور عبدالعزيز السبيل وكيل وزارة الثقافة والإعلام سابقاً، ومستشار وزير التربية والتعليم حالياً، وقد استبدت بي لحظات طفولة بعيدة جداً، في حي الشميسي، حينما كنا نصلي خلف إمام مسجدنا هناك، وقد كنا نلقبه بالمطوع، وهو محمد السليمان الضالع رحمه الله، زوج خالتي، بينما صوته وطريقة ترتيله تتقاطع كثيراً مع طريقة ترتيل الشيخ السبيل، وكم كانت اللحظات رائعة وقت صلاة العشاء حينما يطيل القراءة، بينما نحن في سراحة المسجد تهب فوق رؤوسنا نسائم الخريف الرائعة.

وهل لي أن أنسى الفجر الأبيض البارد في مسجد مزرعتنا في البطين، حينما كان صوت عمي يرحمه الله، يتلو سورة الطارق، بصوت ثقيل لا يخلو من نبرة ترتيل السبيل أيضاً، وكأننا أثر تلاوة الشيخ قد عمّت في أبناء جيله، حتى كدنا نظن أنه لا يمكن لنا قراءة القرآن دونها هذه النبرة من التلاوة الناعمة المناسبة بخشوع ويقين .

كنت أمشي عائداً إلى المنزل، نعساً، والفجر يتنفس ببطء، ومع صخب الطيور المبهجة بالبياض، كانت الآيات لا تبرح أذني، حتى أجلس متدثراً قرب النار في مجلس أبي .

هكذا رحل هذا الصوت الخاشع الوقور، وذهب إلى مثواه محمولاً على الأعناق، لكن صوته ونبرته الحانية لم تزل تضيء ليلنا ونهارنا، وحينما أقول تضيء فأعني ذلك تماماً، لأن صوته يبرق في الذاكرة.

(٢٥)

٤٤ عاماً من الصيام... قضاها

محمد السبيل في كنف (الحرم المكي)

الكاتب : سلطان بندر .

على رغم أن آخر رمضان عاشه العلامة محمد السبيل على الفراش الأبيض في العام ١٤٣٣ هـ، إلا أنه يكون العام الوحيد الذي تغيب فيه عن أداء مناسك الصوم والإفطار في كنف المسجد الحرام منذ ٤٤ عاماً أمضاها، إماماً، خطيباً، ومدرساً في المسجد الحرام.

وقال أحد المقربين من العلامة السبيل لـ«الحياة»: إن ملازمته للحرم المكي في رمضان الذي كان لا يفارقه إلا للنوم في منزله، دفعت أفراد عائلته للإفطار معه في الحرم المكي طيلة أعوام عمله فيه، متنقلاً بين ساحة الحرم المكي، ومكتبته في رئاسة شؤون الحرمين.

وأوضح أن السبب الرئيس في ذلك يعود إلى رئاسته لشؤون الحرم المكي والمسجد النبوي، التي قضى فيها نحو ١٠ أعوام، قبل أن يترجل عنها في العام ١٤٢١ هـ، بعد أن أمضى ٢٦ عاماً إماماً وخطيباً للحرم المكي، إذ جاء تعيينه إماماً للحرم المكي في عام ١٣٨٥ هـ، شهد خلالها حادثة اقتحام الحرم المكي على أيدي جهيمان وأتباعه في عام ١٤٠٠ هـ.

محمد بن عبدالله بن محمد السبيل المولود في مدينة البكيرية التابعة لمنطقة القصيم قبل ٨٩ عاماً، حفظ القرآن وعلومه، وأحسن تجويده وهو في الـ ١٤ من عمره على يد والده، إضافة إلى سعدي ياسين، فيما أكمل بقية

علومه الشرعية على يد أخيه عبدالعزيز السبيل، ومحمد المقبل وعبدالله بن حميد ليعمل مدرسًا في أول مدرسة أنشئت في البكيرية بين عامي ١٣٦٧ و١٣٧٣هـ وأستاذًا في المعهد العلمي في بريدة منذ افتتاحه عام ١٣٧٣هـ ولمدة ١٢ عامًا.

وعين السبيل عضوًا في المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي في دورته الأولى في عام ١٣٩٧هـ، إضافة إلى عبدالعزيز بن باز وصالح بن عثيمين، واستمر عضوًا في المجمع الفقهي حتى العام الماضي ليكمل قرابة الـ ٣٧ عامًا فيه، بينما لم تقتصر فتاوى السبيل على مجمع الفقه الإسلامي ومشاركاته في برنامج «نور على الدرب» الذي شارك فيه بدعوة من عبدالعزيز بن باز في عام ١٤٢٠ لسبعة أعوام فحسب، إنما كان عضوًا في هيئة كبار العلماء السعودية لنحو ٢٤ عامًا منذ عام ١٤١٣ و حتى عام ١٤٢٧هـ.

وطاف السبيل حوالي ٥٠ دولة في رحلات دعوية منذ عام ١٣٩٥هـ، إذ كانت غينيا هي المحطة الأولى لنحو ١٠٠ رحلة دعوية نشر من خلالها الدين الإسلامي في ٥٠ دولة، لتنتهي رحلته الدعوية في اليابان؛ لتكون هي المحطة الأخيرة في عام ١٤٢٤هـ.

وكان للسبيل الكثير من المؤلفات في الدين والعقيدة، ومن أبرزها ديوان خطب المسجد الحرام، رسالة حد السرقة، والخط المشير إلى الحجر الأسود في صحن المطاف ومدى مشروعيته، إضافة إلى عدد من مؤلفاته في شرح أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي بلغت نحو ٢٧ مؤلفًا من

الكتب والرسائل العلمية.

ولعل إصابة السبيل بالتهاب رئوي وضعف في عضلة القلب أدت إلى ملازمته الفراش الأبيض في منتصف عام ١٤٣٣هـ حتى وافته المنية في صفر من عام ١٤٣٤هـ.

المصدر: جريدة الحياة، الأربعاء: ٢٦/٩/١٤٣٤هـ، ٣/٨/٢٠١٣م، العدد: لا يوجد.

(٢٦)

محمد السبيل.. رجل المنابر والمحافل

الكاتب: طالب بن محفوظ .

شخصية لها مكانتها؛ داخلها في بلاده المملكة العربية السعودية، وخارجها على مستوى العالم الإسلامي، رجل يملك علاقات حميمة واسعة مع العامة والخاصة، عالم صاحب ذاكرة قوية طليقة متنقلة، إمام وخطيب شهد له محراب ومنبر الحرم المكي بأنه رجل المنابر والمحافل، ذلك هو الشيخ محمد بن عبد الله آل عثمان الملقب بـ «السبيل»، من قبيلة بني زيد المشهورة، وبني زيد من قضاة، وقضاة من قحطان، ولد في «البكيرية» في منطقة القصيم عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٥م).

عرف عن الشيخ السبيل الصدق، الإخلاص، الأريحية، التواضع، الدفء عند التوجيه والوعظ والإرشاد، الاهتمام بشؤون العامة، العناية بمصالح الناس، والنصح لولاة الأمر.

حفظ القرآن الكريم على يدي والده والشيخ عبدالرحمن الكريديس، وقرأ التجويد على الشيخ سعدي ياسين، وتعلم القراءة والكتابة في الكتاتيب، وألحقه والده بحلقات الدرس لمشايخ العلم في القصيم آنذاك، ليدرس على أيديهم النحو والقواعد العربية والفرائض والحديث والتوحيد والفقه والتاريخ، أشهرهم: القاضي الشيخ محمد المقبل، وأخوه الشيخ عبدالعزيز السبيل، والشيخ محمد بن عبدالرحمن الخزيم، والشيخ محمد بن صالح الخزيم، والشيخ عبدالله بن محمد بن حميد.

وتزيد فترة إمامته وخطابته وتدرسه في المسجد الحرام على أربعين عاما (١٣٨٥هـ)، وفي تلك الفترة كان رئيسًا للمدرسين والمراقبين في رئاسة الإشراف الديني على المسجد الحرام للشؤون الدينية (حالياً يسمى الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي) (التي أصبح رئيسها (١٤١١هـ)، ومن قبل نائباً لرئيسها عندما كانت بالمسمى القديم « رئاسة الإشراف الديني على المسجد الحرام » (١٣٩٣هـ)، ثم أحيل إلى التقاعد حسب رغبته عام ١٤٢٢هـ .

وكان الشيخ السبيل قد بدأ حياته العملية ١٣٦٧هـ مدرسا للفقهِ والتوحيد والنحو وجزء من الحساب في أول مدرسة في بلدته البكيرية ... ثم في أول معهد علمي في بريدة (عاصمة القصيم).

يقول الشيخ السبيل عن فترة تلقيه العلم منذ الصغر: « في فترة الصغر لم أتلُق سوى القرآن الكريم وتعلم فنون الخط فقط، وبعد أن انتهيت من حفظ القرآن بحمد الله عندما بلغت الرابعة عشرة، وبعد ذلك درست عند المشايخ بالمساجد التي يعقدها المشايخ لتدريس النحو والقواعد العربية والفرائض والحديث والتوحيد والفقهِ والتاريخ، ومن المشايخ الذين أخذنا عنهم العلم فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن سبيل وهو شقيقي وكان قاضي البلد في ذلك الوقت، وكنت أتعلم على يديه أنا ومجموعة من الإخوان، وكذلك فضيلة الشيخ محمد المقبل رحمه الله ... وفي ١٣٦٧هـ عملت مدرسا في أول مدرسة ابتدائية بالبكيرية عندما طلبني الشيخ المانع الذي كان مديرا للمعارف في ذلك الوقت رحمه الله، وقد توليت تدريس الفقهِ والتوحيد والنحو وجزء من الحساب». (عكاظ

٢١/٢/١٤٠٢هـ) وحين تذكره لتلك الأيام التي كان الصغار يشغلون أوقاتهم بطلب العلم، قال الشيخ السبيل: «من حسن الحظ أنه كان الفراغ كبيراً، ولم يكن هناك شيء يشغل الإنسان، فكنا ندرس بعد صلاة الفجر القراءة في العقائد، وبعد طلوع الشمس نبدأ في قراءة الكتب المطولة كالفقه والحديث والتاريخ، وبعد صلاة المغرب كنت أدرس النحو والفرائض، الفراغ الموجود في حياة المدرس والتلميذ كان حافزاً على المزيد من تلقي العلم عند الطالب، والمزيد من العطاء لهم من المدرس، فكان الوقت تقريباً تستغرقه الدراسة والله الحمد، خاصة أن وسائل الحياة والرفاهية الموجودة الآن لم تكن متوفرة في أيامنا حينذاك إلا في الندرة، وكذلك لم تكن هناك صحف أو وسائل استماع كالراديو والتلفزيون، فكان مجتمعنا هو المسجد والبيت. (عكاظ: ٢١/٢/١٤٠٢هـ).

وحين يسافر الشيخ السبيل إلى خارج المملكة العربية السعودية فإنه يحظى بترحاب كافة أطراف المسلمين في الدول التي يزورها، ومعظم تلك السفريات كانت بناء على تكليف له للقيام بواجب الدعوة الإسلامية. وعن أول رحلة للشيخ السبيل خارج المملكة قال: «كانت أول رحلة خارج المملكة عام ١٣٩٥هـ إلى غينيا بناء على طلب رئيس غينيا لأحد أئمة الحرم لإمامة صلاة العيد ويقوم بالوعظ والإرشاد في الجمهورية، وقد وقع الاختيار علي، وسافرت في أواخر رمضان، وزرنا جميع المدن، وكان المرافق لنا هو فخامة الرئيس أحمد سيكوتوري، وقضينا هناك حوالي ١٢ يوماً .. أما الرحلات التي تلتها فيقول عنها: « كانت رحلة عمل لحضور مؤتمر السيرة النبوية، وكانت المدة ٢١ يوماً، وكان ذلك عام ١٣٩٦هـ، وبعد

ذلك سافرت إلى باكستان خمس مرات، والهند وغينيا والسنغال مرتين، وزامبيا ومالي ونيجيريا والكاميرون مرة واحدة، وقد التقيت بجميع رؤساء هذه الدول أثناء تلك الزيارات». (عكاظ: ٢١/٢/١٤٠٢هـ).

ومع كثرة رحلات الشيخ السبيل الدعوية المتعددة، إلا أنه لا يرى قضاء الإجازة خارج بلده، فيقول عن ذلك: «المملكة والله الحمد بها ما يسمح بقضاء إجازة مريحة نافعة وبعيدة عن المشكلات، فالمملكة يوجد بها من الأجواء المختلفة التي تسمح بقضاء إجازة في أي وقت، فإذا كان الشخص يريد يعيش في بلدة باردة ففي المملكة أماكن باردة، أما الذين يحرصون على قضاء إجازاتهم في الخارج فقد يكون لهم نظرات أخرى ليس مجرد الابتعاد عن المشكلات وراحة النفس، وقد تكون الإجازة في الخارج للاطلاع على ما وصلت إليه تلك البلاد من مدنية حديثة وتطور وعمران هذا من ناحية، أما إذا كانوا يرغبون حقا في الهدوء والطمأنينة فهذا لا يتوفر إلا في المملكة بالإضافة إلى الأجواء المناسبة التي تتفق مع كافة الرغبات». (عكاظ: ٢١/٢/١٤٠٢هـ).

ويعد الشيخ السبيل من أبرز فقهاء الأمة، حيث تميز بالرسوخ في العلم وقوته، فكان بتلك الخلفية العلمية مرجعا شرعيا لمسلمي العالم، وكان محل اهتمام العلماء والمؤسسات الشرعية؛ فعلى المستوى المحلي هو عضو في هيئة كبار العلماء، وعضو في مجلس الدعوة والإرشاد، وعضو في لجنة التوعية الإسلامية في الحج، وعلى المستوى الدولي كان عضوا في المجمع الفقهي الإسلامي في رابطة العالم الإسلامي، وفي العديد من الهيئات الإسلامية في مختلف أنحاء العالم، وذلك الذي جعله يقدم الكثير

من الأبحاث الفقهية العلمية للمجمع الفقهي ويقدم العديد من الرسائل العلمية العملية، مثل: مشاركة المسلم في الانتخابات مع غير المسلمين.. شروطها وضوابطها الشرعية، حكم التجنس بجنسية دولة غير إسلامية، حكم الاستعانة بغير المسلمين في القتال، الرد على القاديانية، إضافة إلى ديوان الخطب ومؤلفات حول الفرائض والنحو والصرف، وفتاوى وأجوبة على بعض المسائل الدينية منها التي كان يفتي بها في برنامج «نور على الدرب» في إذاعة القرآن الكريم.

وفي فتاواه لأبناء الأقليات المسلمة، كان يراعي فيها اختلاف ظروف المجتمعات الإسلامية في الغرب سواء في إجاباته على أسئلتهم عبر الإذاعة أو عبر الرسائل التي تصله من المسلمين في أنحاء العالم، فكان يجعل يوم الخميس من كل أسبوع للرد على المسائل التي تصله من خارج المملكة العربية السعودية، خاصة أنه يعتبر أن بعضها يحتاج لمراجعة بعض كتب العلم والحدث والفقهاء.

لم يكن الشيخ السبيل مؤمناً باختلاف العلماء، ولكنه يعتبر أن الخلاف فيما بينهم أمر شرعي حدث منذ صدر الإسلام بل منذ عصر الرسول ﷺ، ففي حديث صحافي قال الشيخ السبيل: «مبنى الخلاف إما وجود أحاديث يعتقد البعض صحتها، ويرى غيره ضعفها، أو أن يكون لدى أحد المختلفين نص لا يعلمه الآخر، وهذا من أسباب الخلاف المعروفة»، وأضاف: «الخلاف لا يعنف عليه أحد ولا يخطأ، بل نقول من أصاب كان له أجران؛ أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، ومن أخطأ عن اجتهاد كان له أجر

الاجتهاد، أما طالب العلم الذي لم يبلغ مرتبة الاجتهاد فعليه أن يرجع إلى من يثق به من أهل العلم، وعليه أن يتجنب الخلاف وكثرة النزاع»، ويؤكد أيضا أن «من كان مستندا إلى حديث أو نص فلا يجوز تبديعه أو تضليله، كما أنه ليس للفقهاء أن يقول للناس إن الواجب اتباع قولي، بل يحترم العلماء اجتهادات إخوانهم دونما تضليل أو تبديع». (الوطن ١٩/٤/١٤٢٢هـ).

وقال حول النصح لولاية أمر المسلمين في كتابه «الأدلة الشرعية في بيان حق الراعي والرعية»: «مما يجب على الولاية العدل بين الناس والمساواة بينهم في الحقوق، تحقيقا للعدل لقوله سبحانه وتعالى: (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)، فإن العدل بين الناس من أسباب استقامة أحوال الرعية وثبات الدولة ودوامها»، مضيفا: إن «مما يجب على الولاية رعاية مصالح الناس، والاهتمام بشؤونهم، والتفقد لأحوالهم، والرفق بهم، وتولية الأعمال للأمناء الأكفاء العدول الأخيار دون محاباة لقريب أو مجاملة لصديق». ثم تطرق لحقوق الراعي؛ موضحا أن من أهمها: «حق السمع والطاعة لولاية الأمور، وتحريم الخروج عليهم»، مبينا أن «الطاعة من أعظم الأسس والدعائم لانتظام أمور الدول والجماعات، وتطبيق أهدافها الدينية والدينية؛ لأن الولاية لا بد لهم من أمر ونهي، ولا يتحقق المقصود من الأمر والنهي إلا بالسمع والطاعة من الرعية».

وكان الشيخ السبيل في خطبه في المسجد الحرام أو أحاديثه الصحافية يعرض القضايا الاجتماعية كداء، ثم يضع لها الدواء، مثل العلاقة بين الزوجين، حيث يقول في إحدى خطبه: «البيت هو عماد الحياة، وقيام السعادة، واطمئنان النفوس واستقرارها، ولا يصلح إلا إذا قام الرجل

بواجبه، وأصلح أمر أهله، وأحسن عشرتهم وكذا الحال في حق الزوجة، فعلى المرأة المسلمة أن تساهم بما يجب عليها لأولادها وزوجها، فالمنزل هو المدرسة الأولى للحياة، وهو الأساس الذي يصلح النشء بإذن الله، ويربيهم التربية الإسلامية الصالحة التي تقودهم إلى الحياة الطيبة، والسعادة في الدارين».

المصدر: جريدة عكاظ: ١٦/٢/١٤٣٤هـ - ٢٩/١٢/٢٠١٢م، العدد: ٤١٨٤.

(٢٨)

الإمام الراحل قدوة لشباب أئمة الحرمين

خير ممثل للوسطية

الكاتب: د. سعيد أحمد عناية الله المدرس بالمدرسة الصولتية بمكة

المكرمة .

فقدت الأمة الإسلامية العالم الجليل والفقير البارز، علماً من أعلام أمتنا المجيدة، نموذج السلف وقدوة للخلف، خصوصاً لأئمة الحرمين الشريفين، وهو سماحة الشيخ محمد بن عبد الله السبيل رحمه الله، كان سماحة الشيخ غزير العلم وفير الحلم وسبع الاطلاع خبيراً بأحوال الأمة مهتماً بشؤونها حريصاً في حل قضاياها، كما كان خير ممثل للمنهج الوسط الذي يمتاز به علماء خير أمة أخرجت للناس أمة وسط وأمة رحمة للعالمين .

تعرفت على هذا الإمام الجليل أثناء عملي في شؤون التدريس بالمسجد الحرام، كمترجم ومراقب، مع عملي في التدريس بالمدرسة الصولتية، ولا أزال أحفظ من وصاياه للعاملين في شؤون رقابة التدريس من طلبة العلم، ومنها التحلي بأخلاق العلماء، مع التزين بأدب الخلاف في ما يساغ فيه الخلاف والاحترام للرأي، والرأي الآخر لأئمة الهدى أهل الاجتهاد، مع عدم إثارة الخلافات التي تسبب النزاعات والشقاق في الأمة، ليكون المسجد الحرام منبراً لنشر الثقافة العلمية المعروفة لدى علماء الأمة سلفاً وخلفاً، فإن الأمة لا تتوحد بتوحيد الرأي الاجتهادي فيما يسع فيه التعددية، لكنها توحدت في الماضي منذ خير القرون، وتتوحد الآن وفي

المستقبل بتوحيدها في الأصول مع الاحترام بالرأي، والرأي الآخر في الفروع، و تذكرت حديث معاليه وحديث ابنه العزيز فضيلة الشيخ عمر السبيل رحمه الله في منزله أثناء مناقشتنا قضية الاختلاف الفرعي، والجهل الذي يسبب الضيق الفكري الموصل إلى النزاعات، حينما كان رئيساً لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، والشيخ عمر كان إماماً بالمسجد الحرام، وكنا نتحدث حول معالجة هذه القضية، حيث قال رحمه الله: إن الشقاق بين قلبي الثقافة رغم تحمسهم بالتدين، سببه عدم الاطلاع على أسباب الخلاف في الفروع، ثم أجاد ابنه العزيز فضيلة الشيخ الدكتور عمر السبيل فقال: وهو يخاطبني يا شيخ سعيد "إنّ الناس أعداء لما جهلوا" وزاد قائلاً: إنّ بعض الناس غير مطلّعين على مسالك أهل الحق من أصحاب الاستنباط ومذاهب أهل الاجتهاد، فلا يعرفون سعة شريعتنا، وسماحة ديننا، ووسطية إسلامنا، ويسيء مثل هؤلاء إلى الآخرين في الكلمة بسبب عدم تحليهم بأداب الخلاف، عندما تعددت الآراء الاجتهادية في فروع الدين، ويجهل البعض أساليب التعايش مع الآخرين .

كما شكر الشيخ عمر رحمه الله حسن تربية والده سماحة الشيخ محمد السبيل وقال: لأن سماحة الوالد عالم فقيه مطلع على آراء الفقهاء المجتهدين في مسائل اجتهادية، وعلى طرق استنباطهم، عارف بأداب الخلاف، فتربّي على ذلك، وربّانا نحن أولاده وطلابه وجميع ملازميه في حلقات دروسه ومجال تدريسه. ولا شك أنّ هذه السمة محل تقدير وإعجاب من قبل الجميع، هذه هي الوسطية، وفيها خيرية الأمة، وهو الطريق الوحيد لتوحيد صف الأمة ولم الشمل، ومثل هذا الإمام الجليل قدوة للآخرين،

الذين وفقهم الله للرقى إلى مثل هذه المناصب و البلوغ إلى مقام المسؤولية .

كان الشيخ محمد بن عبد الله السبيل مستأنسا بأهالي أم القرى، ومحبيًا لديهم، حينما عينَ إمامًا بالمسجد الحرام، و كان صوته الرنآن منذ ذلك الوقت يعشق إليه أسماعهم، و قد حلي سماحة الشيخ بخصائل حميدة، منها أنه كواجب الإمام المثالي في هذا المقام العالي و المصلى العظيم كان يستفسر أحوال المأمومين، و عند لقاء أحد كان يسأل دائمًا عن أحوال الآخرين، و إنى كلما زرته كان يسأل عن احوال المدرسة والمدرسين، و قد ورث سماحته هذا الخلق من سلفه سماحة الشيخ عبد الله بن حميد رئيس الإشراف الديني بالمسجد الحرام، و من خصائله الحميدة أنه كان دائم الاتصال مع الأحبة من طلبة العلم، و كان يرد على اتصالاتهم عاجلاً أو آجلاً بكل اهتمام، و من تواضع سماحة الشيخ السبيل أنه حينما يأتي إلى الحرم لإمامة الصلوات كان يجلس مع عامة المصلين في الصفوف الأول، فنجده وهو يرد على المستفسرين أو يكون مشغولاً في صلاته و أذكاره وأوراده في حجر اسماعيل أو في الحصوة، و هذا قبل التوسعة الجديدة في المطاف، و بعد تعيينه كرئيس لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف كان مرجعاً في مكتبه في الرئاسة للزوار والشخصيات الدينية، و كان سهل الوصول إليه، أما في المساء فيجلس في مكتبه في باب الملك عبد العزيز أو في حجرته في باب الفتح، فيستقبل جميع المراجعين وطلبة العلم والضيوف الوافدين من خارج المملكة، من شتى أنحاء العالم، و قد تشرفت سواء من قبل الضيوف أو من قبل سماحة الشيخ بالتوسط بين الضيف والمضيف ك مترجم، فما وجدت أحدًا على مثل هذه المسؤولية صاحب سعة الصدر، مثل هذا الإمام الراحل

الجليل .

وفي أيام العطلة أو بعد أوقات الدوام الرسمي كان مرجعًا للزوار والوافدين، سواء في بيته في العزيزية أو في العوالي، وخصوصًا في مجلسه يوم الاثنين بعد العصر حين إقامته بمكة المكرمة .

فكان رحمه الله تعالى أول أئمة المسجدين المنيفين من سافر خارج بلاد الحرمين الشريفين، كخير ممثل للإسلام، وعالمية هذا الدين، وخير قائم بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالحسنى، سافر إلى شرق العالم وغربه وإلى شماله وجنوبه وإلى البلاد الإسلامية في آسيا وفي أفريقيا، وزار الأقليات المسلمة في أوروبا وأمريكا، حيث تقيم فيها الجاليات المسلمة المهاجرة من شبه القارة الهندية باكستان والهند وبنجلاديش، ومن البلاد العربية .

فكان سياحته في رحلاته خير نديم لرفقائه، وأفضل خطيب لمستمعيه، مطلع على أحوال من يخاطبهم، فتكون كلمته أنسب مقال للحال والمخاطبين، فإذا سافر إلى باكستان وكان كثير السفر إليها يحسبه أهله كأنه إمامهم، ومنهم ومرشدهم وخطيبهم وعظيمهم الروحي، وإذا سافر إلى الهند كان حديثه يناسب حالهم وما يعالج قضاياهم، سافر الشيخ محمد السبيل إلى كشمير، فلم ينس قضيتهم ونصرتهم بالدعوة والدعاء إلى آخر خطابه وخطبته، وإذا سافر إلى بلاد الغرب لزيارة الأقليات المهاجرات من إخوانه المسلمين، فكان خير ناصح وواعظ لهم، يحثهم على الثبات بدينهم والتمسك بتقاليدهم .

وكان يشارك في المؤتمرات والندوات العالمية، وشارك عدة مرات معنا في مؤتمراتنا حول عقيدة ختم النبوة، والرد على مدّعى النبوة كذبًا، وألف في موضوع ختم النبوة تصنيفًا لطيفًا، وكان كثير الاهتمام بهذه القضية .

وكان سماحة الشيخ السبيل رحمه الله تعالى يقدر جهود علماء الإسلام، الذين خدموا عقيدة ختم النبوة، وكان الشيخ منظور رحمه الله من كبار هؤلاء العلماء، ومن المقربين لدي سماحة الشيخ السبيل، وفي إحدى زيارتنا لسماحته في مكتبه هو سأل الشيخ منظور، وكان معنا فضيلة الشيخ عبد الحفيظ ما هو أحسن كتاب من تأليفات العلامة منظور أحمد الذي يقوم الشيخ سعيد عنايت الله بتعريبه ليستفيد منه العرب؟ فأشار الشيخ منظور إلى كتابه الأصول الذهبية في الرد على القاديانية، فأمرني الشيخ السبيل بتعريبه، قائلًا عَرَبْ أنت، وإني سأقوم بطباعته على نفقتي الخاصة، وحينما أكملت التعريب سرّ بذلك كثيرًا، وكان هو أول من رصّعه بتقديمه القيم، وهو دون شك مفخرة لي، وقد طبع الكتاب باللغة العربية عدة مرات باسم «الأصول الذهبية في الرد على القاديانية»، ولا شك أنه مسجل في ميزان حسناته إن شاء الله تعالى !

كان سماحة الشيخ محمد السبيل شخصية فذة، فكان رجلًا يلقي ويتلقى، ويعطي ما عنده من الخيرات، ويتلقى من تعرفه على أحوال الناس فكرة معالجتها وهمّ حلولها، وكان يكرم ويحترم الأشخاص والجماعات والحركات التي كانت قائمة بعمل الدعوة إلى الله، فيزورهم في مساجدهم ومراكزهم في بلادهم، كما كان يرحب بهم في هذا البلد الحرام، حينما يأتون إليها بكل ترحاب وسعة صدر، حتى ويضيف معظمهم في منزله، أمّا

الإدارات والمراكز والمساجد التي زارها هذا الراحل المرتحل العظيم أو كبار رجال العلم والدين الذين زاروه في مكتبه في الرئاسة أو داخل الحرم المكي الشريف أو في بيته، فهذا أمر إن لم يكن مستحيلاً فإنه لتعزيز يحتاج إلى جهد كبير، وإنني أرجو من ابنه العزيز سعادة الدكتور عبد العزيز وهو كثير الصحبة معه في أسفاره، كما أرجو من سعادة الدكتور عبد المجيد وكان يلزمه أثناء إقامته وأبناءه البررة الآخرين، أن يبذلوا جهدهم لجمع أمجاده رحمه الله، ولعل هذا الإرث القيم لساحة الوالد يثبت خير ثروة لمن وليه من شباب أئمة الحرمين الشريفين .

فنعم الرجل، ونعم الإمام، ونعم المربي، ونعم المرشد، ونعم القائد والقدوة، أنت يا سماحة الوالد محمد بن عبد الله السبيل، وأنت في أمان الله، فرحمك الله رحمة الأبرار، وجعل مثواك أعلى العليين، وجعل عاقبتك خيراً من الأولى. آمين يا رب العالمين.

(٢٩)

محمد السبيل.. عالم من جيل كبار الفقهاء

يعد واحداً من أبرز علماء الأمة ويؤمن باختلاف العلماء

الكاتب: قراءة: طالب بن محفوظ .

«يعد الراحل الشيخ محمد بن عبدالله السبيل، واحداً من أبرز فقهاء الأمة، حيث تميز بالرسوخ في العلم وقوته، فكان بتلك الخلفية العلمية مرجعاً شرعياً لمسلمي العالم، وكان محل اهتمام العلماء والمؤسسات الشرعية؛ فعلى المستوى المحلي عضواً في هيئة كبار العلماء، وعضواً في مجلس الدعوة والإرشاد، وعضواً في لجنة التوعية الإسلامية في الحج، وعلى المستوى الدولي كان عضواً في المجمع الفقهي الإسلامي في رابطة العالم الإسلامي، وفي العديد من الهيئات الإسلامية في مختلف أنحاء العالم.

وذلك الذي جعله يقدم الكثير من الأبحاث الفقهية العلمية للمجمع الفقهي، ويقدم العديد من الرسائل العملية، مثل: مشاركة المسلم في الانتخابات مع غير المسلمين.. شروطها وضوابطها الشرعية، حكم التجنس بجنسية دولة غير إسلامية، حكم الاستعانة بغير المسلمين في القتال، الرد على القاديانية، إضافة لديوان الخطب والمؤلفات حول الفرائض والنحو والصرف، وفتاوى وأجوبة على بعض المسائل الدينية منها التي كان يفتي بها في برنامج «نور على الدرب» في إذاعة القرآن الكريم.

وكان الشيخ السبيل في خطبه في المسجد الحرام أو أحاديثه الصحفية

أو الإعلامية بحكم أنه كان عضواً في هيئة كبار العلماء، يعرض القضايا الاجتماعية كداء ثم يضع لها الدواء، مثل العلاقة بين الزوجين، حيث يقول في إحدى خطبه: «البيت هو عماد الحياة، وقيام السعادة، واطمئنان النفوس واستقرارها، ولا يصلح إلا إذا قام الرجل بواجبه، وأصلح أمر أهله، وأحسن عشرتهم وكذا الحال في حق الزوجة، فعلى المرأة المسلمة أن تساهم بما يجب عليها لأولادها وزوجها، فالمنزل هو المدرسة الأولى للحياة، وهو الأساس الذي يصلح النشء بإذن الله، ويربيهم التربية الإسلامية الصالحة التي تقودهم إلى الحياة الطيبة، والسعادة في الدارين...»

وعن أول رحلة للشيخ السبيل خارج المملكة قال: «كانت أول رحلة خارج المملكة عام ١٣٩٥ هـ إلى غينيا بناء على طلب رئيس غينيا لأحد أئمة الحرم لإمامة صلاة العيد، ويقوم بالوعظ والإرشاد في الجمهورية، وقد وقع الاختيار علي، وسافرت في أواخر رمضان، وزرنا جميع المدن، وكان المرافق لنا هو فخامة الرئيس أحمد سيكوتوري، وقضينا هناك حوالي ١٢ يوماً»، أما الرحلات التي تلتها يقول عنها: «كانت رحلة عمل لحضور مؤتمر السيرة النبوية، وكانت المدة ٢١ يوماً، وكان ذلك عام ١٣٩٦ هـ، وبعد ذلك سافرت إلى باكستان خمس مرات، والهند وغينيا والسنغال مرتين، وزامبيا ومالي ونيجيريا والكاميرون مرة واحدة، وقد التقيت بجميع رؤساء هذه الدول أثناء تلك الزيارات». عرف عن الشيخ السبيل الصدق، الإخلاص، الأريحية، التواضع، الدفء عند التوجيه والوعظ والإرشاد، الاهتمام بشؤون العامة، العناية بمصالح الناس، والنصح لولاة الأمر...

يقول الشيخ السبيل عن فترة تلقيه العلم منذ الصغر: «في فترة الصغر لم أتلق سوى القرآن الكريم وتعلم فنون الخط فقط، وبعد أن انتهيت من حفظ القرآن بحمد الله عندما بلغت الرابعة عشرة، وبعد ذلك درست عند المشايخ بالمساجد التي يعقدها المشايخ لتدريس النحو والقواعد العربية والفرائض والحديث والتوحيد والفقہ والتاريخ، ومن المشايخ الذين أخذنا عنهم العلم فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن سبيل وهو شقيقي، وكان قاضيا في ذلك الوقت، وفي ١٣٦٧هـ عملت مدرسا في أول مدرسة ابتدائية بالبكيرية عندما طلبني الشيخ المانع، الذي كان مديرا للمعارف في ذلك الوقت رحمه الله، وقد توليت تدريس الفقه والتوحيد والنحو وجزء من الحساب .

وحين تذكره لتلك الأيام التي كان الصغار يشغلون أوقاتهم بطلب العلم، قال الشيخ السبيل: «من حسن الحظ أن كان الفراغ كبيرا، ولم يكن هناك شيء يشغل الإنسان، فكنا ندرس بعد صلاة الفجر بالقراءة في العقائد، وبعد طلوع الشمس نبدأ في قراءة الكتب المطولة كالفقه والحديث والتاريخ، وبعد صلاة المغرب كنت أدرس النحو والفرائض، الفراغ الموجود في حياة المدرس والتلميذ كان حافزا على المزيد من تلقي العلم عند الطالب، ومزيدا من العطاء لهم من المدرس، فكان الوقت تقريبا تستغرقه الدراسة والله الحمد، خاصة وأن وسائل الحياة والرفاهية الموجودة الآن لم تكن متوفرة في أيامنا حينذاك إلا في الندرة، وكذلك لم تكن هناك صحف أو وسائل استماع كالراديو والتلفزيون، فكان مجتمعنا هو المسجد والبيت».

(٣٠)

اليوم .. الدخول الأخير للشيخ السبيل في الحرم

الكاتب : وجدي القرشي .

« ٤٠ خريفا وهو يدلف من أبواب الحرم، ومع الباب المقابل لحي أجياد تحديدا، ليسارع الخطى ليؤم المسلمين، في أغلبية الصلوات، اليوم وفي صلاة العصر يعود إلى الحرم، لكن المشهد هنا تتغير ملامحه، فهو يدخله للمرة الأخيرة، محمولا على الأكتاف، تلهج السنة حامليه بالدعاء له، إنه الموت الذي لا مناص منه أيها السادة الذي خطف منا الشيخ محمد بن عبد الله السبيل .

أهل مكة، والذين جاوروه في حي العزيزية التي قضى فيها جل عمره، وحي العوالي الذي انتقل إليه قبل سنوات عدة، سيكونون أكثر الناس فقدا له، فالكثير منهم عاصر الشيخ، وتسم من صفاته الكثيرة الخيرة، فقد كان داعيا للخير بأوجهه كله، وفي ذلك القمص والعبرة الشيء الكثير .

طوال الـ ٤٠ عاما، عاصر فيها الشيخ السبيل الملوك الأربعة بدءا من الملك فيصل، والملك خالد، والملك فهد، -رحمهم الله- وهذا العهد بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز أمد الله في عمره، مرت على الشيخ الكثير من الأحداث التاريخية، ولا سيما أحداث الحرم الشهيرة في عهد الملك خالد، التي تعامل فيها الشيخ بكل حنكة وروية في الخروج من الأزمة التي أنهاها رجال الأمن البواسل في ذلك الوقت .

ولد الشيخ في مدينة البكيرية عام ١٣٤٥هـ في منطقة القصيم، وبدأ تعليمه في الكتاتيب، وحفظ القرآن على يد والده وعلى يد الشيخ عبد الرحمن الكريديس -رحمهما الله- وأخذ إجازة في القرآن وتجويده من الشيخ سعدي ياسين وكان عمره ١٤ سنة .

بدأ في طلب العلم منذ الصغر، فأخذ عن الشيخ محمد المقبل، كما أخذ عن أخيه الشيخ عبد العزيز السبيل، وكذلك أخذ عن الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله .

ثم تأهل للتدريس، فدرّس في المساجد والمدارس جميع الفنون، ودرّس في المعهد العلمي في بريدة عام ١٣٧٣هـ. وفي عام ١٣٨٥هـ صدر الأمر بتعيينه إماماً وخطيباً في المسجد الحرام، ورئيساً للإشراف الديني والمدرسين في الحرم المكي، وفي عام ١٤١١هـ صدر الأمر السامي بتعيينه رئيساً للرئاسة العامة لشؤون الحرمين .

وهو عضو في هيئة كبار العلماء في المملكة، وعضو في المجمع الفقهي، وأحد العلماء المفتين في برنامج نور على الدرب في الإذاعة السعودية. درس على يديه الكثير من طلاب العلم والعلماء، لكن من أبرزهم فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان. من مؤلفاته ديوان خطب من منبر المسجد الحرام، ورسالة في بيان حق الراعي والرعية، ورسالة في حكم الاستعانة بغير المسلمين في الجهاد، ورسالة في حكم التجنس بجنسية دولة غير إسلامية، ورسالة في الرد على القاديانية .

يجدر بالعلم أن ابنه الشيخ عمر بن محمد السبيل كان إماماً وخطيباً في المسجد الحرام، وقد توفي -رحمه الله- عام ١٤٢١هـ في حادث مروري .
ومكث الشيخ أكثر من ٤٢ سنة يؤم المصلين في المسجد الحرام .

(٣١)

رياض الفكر

الشيخ محمد السبيل العالم المتواضع

الكاتب: سلمان بن محمد العمري .

« في الزيارة الأخيرة لمكة المكرمة في منتصف شهر محرم من هذا العام، وفي أيام الحج في مكة المكرمة سألت عددًا من أصحاب الفضيلة المشايخ عن صحة معالي الشيخ محمد بن عبد الله السبيل، إمام وخطيب المسجد الحرام، فتباينت الإجابات، ولكن الإجماع من قبلهم يختم الحديث بالدعاء له، والثناء عليه، والناس شهود الله في أرضه.

وحينما وردت بعض الأخبار عبر مواقع التواصل الاجتماعي، ثم تأكدها بخبر الديوان الملكي عن وفاة فضيلته - يرحمه الله - التزمنا بما أمرنا الله - سبحانه وتعالى - به في كتابه الكريم، من قول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ مع الدعاء والترحم عليه، والشيخ محمد بن عبد الله السبيل غني عن التعريف، فهو أحد أئمة المسجد الحرام، رأس شؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، وكان عضوًا في هيئة كبار العلماء، وعضوًا في المجمع الفقهي الإسلامي، ومن الأئمة المعمرين في الإمامة في الحرمين حيث كان إمامًا للمسجد الحرام طيلة أربعة وأربعين عامًا، وقد استفاد الشيخ محمد بن سبيل من علامة القصيم الشيخ عمر بن سليم - رحمه الله - رغم صغر سنه، ثم من الشيخ عبدالله بن حميد إبان إقامته في مدينة بريدة، وحينما تأسس المعهد العلمي بريدة عام ١٣٧٣هـ عمل به بترشيح من الشيخ

عبدالله بن حميد - رحمه الله - وبقي فيه حتى نقل للمسجد الحرام، ولم يثنه كبر السن أن يواصل الطلب، وخاصة في علم الحديث على بعض مدرسي المسجد الحرام.

وما سقته بعض من سيرته الفذة، وإن خفيت على البعض، فإن بعض المعزين والمواسين ربما ذكر تفصيلاً أكثر من ذلك عن شخصه وحياته.

ولعلي أقدم بعضاً مما علق في ذاكرتي من تعاملي مع الفقيه - رحمه الله - وأذكر بعض المواقف، وأنا متأثر مكلوم بغياب هذا الشيخ الجليل، وهذا العلم البارز، وحق لكل مسلم أن يتأثر بفقد الأخيار، ورحيل العلماء الأعلام، يضاف إلى ذلك معرفتي بفضيلته، وتواصلتي معه لسنوات عديدة، بدأت ببعض المناسبات التي كانت تقيمها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وتواصلت مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وكان - رحمه الله - حريصاً على تشجيع الناشئة من حفظة كتاب الله الكريم في مكة المكرمة، أو من يفتد إليها من المتسابقين المشاركين في مسابقة الملك عبدالعزيز الدولية لحفظ القرآن الكريم، وقد شرفت بالجلوس معه عدة مرات بحضور جمع من المشايخ وأصحاب الفضيلة، وقد عايش سنيّاً من رئاسة العم صالح العُمري - رحمه الله - لمعدنية المعارف بالقصيم، ورأى جهوده العملية، ثم العلمية بإظهار مؤلف: (علماء آل سليم وتلامذتهم من علماء القصيم)، وكان له ولأخيه نصيب من التراجم في هذا الكتاب، بالإضافة إلى تراجم مشايخها، وكان - رحمه الله - هاشماً باشاً بمن يقابله صغيراً كان أو كبيراً، عرفه أو لم يعرفه، ويجل أهل القرآن، ويحتفي بهم، ويثني عليهم، ويشجعهم بدعوات صادقة من القلب،

وكان له - رحمه الله - نشاط إنساني اجتماعي في مكة المكرمة بالدعم والرعاية والمساندة لعدد من الجمعيات الخيرية في العاصمة المقدسة، وكانت له وجهة لصالحهم عند ذوي المال والجاه، وكانت مقبولة لمحبة الناس جميعاً له.

وقد سن الشيخ السبيل - رحمه الله - سنة حسنة كان لها صدى واسع في العالم الإسلامي، ألا وهي زيارة أئمة الحرمين الشريفين لبلدان العالم الإسلامي، وللأقليات الإسلامية في الخارج، وكان لها تأثير كبير في تأليف القلوب، وجمع الكلمة، وإصلاح ذات البين بين المسلمين، وكانت له جولات مشهورة، أثمرت عن نتائج طيبة في وحدة الصف، وتصحيح المعتقد، وتصحيح الصورة المغلوطة لدى البعض، وقد سررت كما ذكرت بالتواصل معه ومشاركته في عدد من المناسبات الإعلامية والاستكتابية، وأنست بحديثه ورحابته وسعة صدره وتواضعه الجم ووفائه مع مشايخه وزملائه وحفظه للجميل.

فنسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يغفر له ويرحمه، ويجبر مصاب الجميع بفقده، وأن يجعل قبره روضة من رياض الجنة، ومنزله في عليين، إنه أرحم الراحمين».

(٣٢)

مآثر ومناقب الشيخ « السبيل »

الكاتب : الشيخ / عبد الله بن سعيد السويهي.

« الحمد لله المتفرد بالجلال والبقاء، الذي خلق الخلق وقدر الأقدار وحدد الآجال، وجعل لكل أجل كتاب، والصلاة والسلام على البشير النذير، والسراج المنير، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال الله تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾ إن الله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى . قبل عدة أيام فقدت المملكة العربية السعودية بل العالم الإسلامي بأسره رمزاً وعلماً من علمائها الأجلاء البارزين، ألا وهو ساحة الوالد الشيخ العلامة / محمد بن عبدالله السبيل - الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الأسبق، وإمام وخطيب المسجد الحرام، وعضو هيئة كبار العلماء، وعضو المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي . وكان لوفاته وفقده يرحمه الله وقع في نفسي ولدى محبيه . وقد شُرفت بمعرفة سماحته منذ خمس وثلاثين عاماً حينما كنت طالباً في الجامعة، ثم توطدت علاقتي وصلتي بسماحته عند تعييني موظفاً بالرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، وقد كان لي الشرف في العمل بالقرب من سماحته، وإن ما أود الإشارة إليه في هذا الصدد هو اعتراف بفضلته، وإشادة بأثره، وحفاظاً على حقه، فقد مر بخاطري، وجال بفكري طيف سماحته يرحمه الله، فوددت أن أعبر عن ما يكنه القلب ويحويه الفؤاد ويعتلج في الصدر نحو هذا الرمز الديني الجليل، وقد بدأت الكلمات

تتزاحم أمام ناظري كالأليء العقد المنثور، بل قل كنجوم السماء المتلألئة التي تحيط بالبدر في تمامه، فأخذت أعيد الذاكرة إلى الوراء قليلاً؛ لعلني أستذكر بعضاً من مآثر وأعمال هذا العالم الرباني الجليل، حيث شرفه رب العزة والجلال بالإمامة والخطابة والتدريس ببيته الحرام لعدة عقود، وكان لسماحته رؤية ثاقبة، وبصيرة نيرة، وقد نذر حياته للعلم والبذل والعطاء وخدمة الدين والوطن، وكان يدعو الله لولادة أمر هذه البلاد المباركة ويثني على جهودهم وأعمالهم الخيرة، لخدمة الإسلام والمسلمين، وبخاصة ما يتعلق بأمور الحرمين الشريفين وشؤونهما، وكان لدى سماحته ثبات في الحق وجهداً مشهوداً في الدعوة السلفية الحقة، والعمل على توعية وإرشاد المسلمين لأموال دينهم، والذب عن الإسلام وأهله، وقد حمل سماحته هموم الأمة والدعوة إلى الله وشرعه، في كثير من مؤلفاته ورسائله وخطبه المنبرية، وفي رحلاته الدعوية داخل المملكة وخارجها، وشارك في العديد من المنتديات والمؤتمرات والندوات العلمية التي كانت لها كبير الأثر في نفوس المسلمين عامة، وكان يتصف سماحته بسلامة العقيدة، وحسن السيرة، وصفاء السريرة، ونبيل السجايا، ودمائة الخلق، وسعة الصدر، وجمال المنطق، وكريم الخصال، وطيب المعشر، وحسن السمات، لطيف في المعاملة، لين الخطاب، ذو بسملة رائقة تظهر دائماً على محياه، وكلمة طيبة عند أي لقاء، وكان عطوفاً كريماً سخياً، لا يرد طالب حاجة أو مساعدة وخاصة طلبة العلم والمحتاجين، وهذه حلل منسوجة ارتداها وتوشح بها سماحته طيلة حياته غفر الله له وأسكنه فسيح جناته، وهي بحق صفات المؤمن، فالله عز وجل يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وإنه من حسن

الطالع أن أكون قريباً من سماحته لعدة سنوات، فمن قدر له معرفة سماحته فإن أعناقهم تشرب لقدمه، وتشخص أبصارهم لمحياه، وتصافحه القلوب قبل الأيدي؛ لأنه محبوب في كلامه، وأخذه وعطائه، وفي لقائه ووداعه، ومن كانت هذه بعض صفاته وسجاياه التي جُبل عليها فرجو أن يكون ممن قال فيه الصادق المصدوق عليه أفضل الصلاة والسلام: (إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

أدعو البارئ جل في علاه أن ينال الفقيه هذا الشرف العظيم والمكانة الرفيعة بجوار سيد ولد آدم عليه أزكى الصلاة وأتم التسليم . كما أسأله جل شأنه أن يتغمده بوسع رحمته، ويسكنه أعلى الجنان، ومنازل الرضوان، وأن يتقبله في عباده الصالحين، وأن ينزله منازل الأبرار المتقين، وأن يلهم الجميع بفقده الصبر والاحتساب، والحمد لله على قضائه وقدره ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ .

(٣٣)

مواقف وذكريات

داعية خير

قال الشيخ محمد بن أحمد المنصوري نائب الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام سابقا : زاملت سماحة الشيخ محمد بن عبدالله السبيل قرابة أربعين عاما في مختلف المواقع الإدارية بجهاز الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، كان خلالها نعم الموجه والإداري الحكيم، ولمست منه دوماً وأبداً التواضع ولين الجانب مع الجميع بدون استثناء. وكان يوصينا بالصبر والاحتساب، ويعالج القضايا والأمور بكل حكمة وروية، ويحث الجميع على الإخلاص في العمل وبذل الجهد في مساعدة كل محتاج. ولسماحته جهود كبيرة ومباركة في دعم المشروعات الخيرية وتشجيع القائمين عليها، وبناء المساجد، ومساعدة المحتاجين من طلاب العلم وغيرهم . نسأل الله عز وجل أن يجزيه خير الجزاء على ما قدم، وبذل من جهد وإخلاص، ويجعله ثقيلا في ميزان حسناته.

الحكمة في التصرف

ويقول مدير مصنع كسوة الكعبة الدكتور محمد باجودة : للفقيد مواقف عديدة كنت شاهديها، ولعل منها ما كنت شاهداً عليه، وهي تخص أحد الموظفين بالرئاسة، حيث قررنا مع عدد من المسؤولين اتخاذ إجراء صارم بحق الموظف، وهو طوي قيده للمخالفات والمشاغبات والتجاوزات التي كان يحدثها داخل الإدارة وخارجها، مع كثرة في الغياب والتأخر،

حيث رفع لفضيلته خطاب القيد بحق الموظف، فما كان منه إلا أن رفض رفضا باتا، معترضا على قطع أرزاق الناس، مقترحا تحويل الموظف إلى إدارة أخرى، مما كان لقراره أثر بالغ، ونقطة تحول في مسار حياة الموظف العملية، حيث يترعب هذا الموظف الآن مركزًا مرموقًا داخل الرئاسة.

محسن للمحتاجين

ويقول الشيخ محمد ريال السيلاني رئيس إدارة المصاحف: إن فضيلته كان يحسن للمحتاجين دون تفریق بين جنسية وأخرى، خصوصا طلبة العلم، وكبار السن منهم، وحين يتقدم محتاج للشيخ ونطلب منه التأكد والبحث عن حال المتقدم يرفض، ويقول رحمه الله: (لم يتقدم شخص بطلب إلا وهو محتاج، وهو مسلم محل ثقة)، وكان يوصينا بالوقوف مع المحتاجين، والأرامل، والأيتام، وأصحاب الحق الخاص، كما كان يخصص أوقاتا في دروسه في الحرم، أو في مسجده للمحتاجين من طلبة العلم في مواسم رمضان والحج .

يهتم بالفقراء

من جانبه أكد مدير عام المتابعة بالمسجد الحرام الشريف مشهور محسن المنعمي على جانب الخير، وفعله الذي كان يبذله، ومشاهدته لذلك بحكم قربه منه لأكثر من ثلاثين عاما، مشيرا الى أن الشيخ بنى بإسهامات أهل الخير وثقتهم به أكثر من (٣٠) مسجداً وجامعا في مكة، وكان يرفض أن يكتب عليها اسمه، مؤكدا أنه مؤتمن على أموال الناس، لا يحق له التصرف فيها، موضحا أنه كان يعتني بآل البيت، ويذهب معه إلى بعض أماكنهم في وادي فاطمة، ويتحمل مؤونتهم، طالبا مني أن أبحث له دوما

عن فقراء آل البيت، معتبراً محبتهم واجباً عليه، ومن المواقف ثقته الكبيرة بمولاه، حيث تبرع أحد المحسنين لجامع السباح بحي دغش وقدم مبلغ (٥٠٠) ألف ريال، وحين انتهائنا من أساسيات المسجد توفي الرجل المتبرع، ورفض أبناؤه إكمال المبلغ، والذي يصل تكاليفه إلى (٢) مليون ونصف، فما كان من الشيخ إلا طلب منا إكمال بناء المسجد، ويردد لعل الله يهئ له من يكمله، ولم تمض أيام حتى جاء أحد المتبرعين وأكمل بناء المسجد بتقديم (٢) مليون ريال .

ناصر أمين

وقال وكيل الدراسات القضائية بجامعة أم القرى الدكتور علي بن يوسف الزهراني في حديثه ومواقفه عن شيخه : إن الشيخ عرف بالديانة، والنصيحة لولاية الأمر، وله جهود دعوية، وفتاوى في نور على الدرب، وله مؤلفات عديدة ورسائل بحثية متنوعة، والإمامة والخطابة في المسجد الحرام، وكان مدرسا بالتعليم العالي، وعضوا في العديد من اللجان منها هيئة كبار العلماء والمجمع الفقهي، والحضور في عدد من المؤتمرات والجامع، وله عناية فائقة بالشعر ونظمه، وإسهامات في هذا الجانب منها النظم في المجال العلمي وغيره، وكان زاهدا بعيدا عن المظاهر، معروفا بالصبر وسعة البال والحلم والورع والتقوى والصدق في القول والعمل، والنصح الصادق للولاية وعموما للمسلمين، كما يظهر ذلك من خلال خطبه ومؤلفاته وأعماله وصفاته، وعنده فراسة في النظر في الناس، ومعرفتهم، وله عناية بالتاريخ واللغة» .

المصدر: جريدة المدينة: ١٣/٢/١٤٣٤هـ - ٢٦/١٢/٢٠١٢م، العدد: ١٨١٤٤.

(٣٤)

السبيل كان يحب ستر أمور الناس

وهو زاهد مقتصد، مورده عذب والمورود العذب كثير الزحام

« عدد فضيلة الشيخ رويح السلمى مستشار الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوى، وأحد الذين لازموا الشيخ محمد السبيل مزايا ومحاسن وخصال فقيده الأمة. وقال: إنه كان كثيرًا ما يوصي العاملين معه بالستر وعدم كشف أمور الناس، فستر الأمور الخاصة، خاصة فيما يحتاج الإنسان إليه من أمور الأخلاقيات وغيرها، يقول: استروا ما استطعتم، أو ما كان الأمر يقتضى ستره، وكان يحب حفظ هذه الأمور وسريتها، ولا أذكر أنه في يوم من الأيام غضب علينا أو تكلم، وكان إذا طال الجدال نرى منه كثرة الاستغفار وكثرة التسييح، وكلمات تدل على أن الشيخ لا يريد هذا الأمر، وما تظهر منه إلا كلمة حسنة، ولا أذكر طوال فترة عملنا معه أن غضب، أو ثار على الآخرين.

وقال الشيخ السلمى: نسأل الله جل وعلا أن يغفر للشيخ السبيل ويسكنه فسيح جناته وأن يجازيه خير الجزاء على ما قدمه لدينه ووطنه، وأما بالنسبة للشيخ رحمه الله فكان دمث الأخلاق إذا ذكر الشيخ محمد السبيل كأنها يتبادر إلى الأذهان حسن الخلق، حسن الأدب، وسمته وقوله ومجالسته توحى إلى حسن الخلق الذى يتأدب به، والذى يدعو إليه، ويدعو للأخلاق بالسمت والقول، وكان رحمه الله والدًا للجميع من حين المقابلة، ولو لأول

وهلة، وكأنه يعرفك، ولا ينزع يده من يدك، وتلك من أخلاق النبوة التي أتصف بها معالي الشيخ محمد السبيل، وكان هيناً قريباً سهلاً وقريباً من الناس يقف مع الصغير والكبير، سواءً كان موظفاً وفي مجال العمل أو كان محتاجاً، أو كان صاحب مسألة، يستفسر ويسأل عنها في مجال العلم وطلابه ورواده من العلماء، فكان مورده عذباً والمورد العذب كثير الزحام، علاوة على ما كان ينصح به من يعرفه ومن لا يعرفه، بأن يرفق بهذه الأمة، وأن يرفق بالمحتاج، وأن يكون صابراً محتسباً، نصب عينيه مساعدة الشخص وقضاء حاجته ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، بعيداً عن التكلف، كما هو معروف عنه، زاهدٌ مقتصدٌ عاملٌ مدرسٌ معلمٌ مربىٌ أجيال عالم، ووالدٌ لعلماء.

وعن المواقف أثناء العمل مع الشيخ السبيل قال: كل مواقف الشيخ إيجابية، ما نحفظ عنه موقفاً سليماً، علاوة على أنه كان يفتح بيته وعزائمه الخفيفة ومناسباته التي يحرص عليها المشايخ وطلاب العلم، وهو السهل الهين فيها، حتى زواجه سهل فيها، وما لنا إلا الاقتداء بهذا العالم الجليل الصابر المحتسب، فرحم الله الشيخ، وأسكنه فسيح جناته، وألهم الأمة الصبر والسلوان في فقدانه، ونسأل الله جل وعلا أن يجعل في أبنائه الخير والبركة، ونحمد الله ونشكره كذلك نحسبهم، والله أعلم.

(٣٥)

محمد السبيل شيخ العلماء والعالم الرياني المري

الكاتب: عبدالله الشيعاني (١٤٣٣ هـ).

« ظروفه الصحية قطعتة عن المسجد الحرام بعد ٤٢ عامًا إمامًا وخطيبًا

انقطع صوت الشيخ محمد عبدالله السبيل منذ فترة زمنية عن منبر الجمعة وإمامة المصلين؛ لظروفه الصحية. حيث مكث يؤم المصلين في الحرم المكي ما يزيد عن ٤٢ عامًا.

الشيخ محمد السبيل. أحد أعلام المملكة، ومن رجال الدولة الكبار، أفنى عمره في خدمة دينه، ووطنه، وحظي بثقة ولاية الأمر في إمامة وخطابة المسجد الحرام، ثم في الإشراف على شؤون المسجدين الشريفين، وغير ذلك مما أسند وكلف به، فقد قام بما أوكل له من أعمال من ولاية أمر بصدق وإخلاص، وسعى جاهدًا ومثابرًا لتحقيق تطلعات ولاية الأمر، وتنفيذ توجيهاتهم في خدمة المسجدين الشريفين وتطويرهما، والعمل بجد وإخلاص في خدمة ضيوف الرحمن وزوار المسجدين الشريفين في الحقبة الماضية...

درس على يديه الكثير من طلاب العلم الذين أصبحوا من كبار علماء المملكة أمثال الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان.

وقد تجسدت في خطبه للجمعة في المسجد، سلامة اللغة وسهولتها، والبلاغة، والإيجاز، وحسن العرض والتوجيه، والعلم، والفقهاء، والتربية،

والأخلاق، وحسن العرض والتوجيه، ومتابعة السنة شكلاً وموضوعاً، وموافقتها لهدي النبي أسلوباً ومضموناً.

وكل من يعرف الشيخ السبيل وتعامل معه، أو زاره وتردد عليه، يلمس مدى ما يتمتع به من تواضع محمود، ولين جانب ملحوظ، واحترام للآخرين ممدوح، ولو اختلف الشيخ معهم؛ فتراه ينزل الناس منازلهم، يوقر الكبير، ويحنو على الصغير، ويعطف على الفقير، لا يرد أحداً قصده وطلبه، يصغي للمتحدث، ويستمع للمتكلم، يستوقفه السائل في جنبات المسجد الحرام أو أثناء ذهابه للمسجد المجاور لبيته أو في إيابه، فيقف ويقضي حاجته، ويحيب عن مسألته، ويرشده لحل مشكلته، وهكذا قد تستوقفه المرأة في ممرات المسجد الحرام لتسأل عن دينها، أو تطلب من الشيخ معونة، أو يرقى ماء زمزم في قارورة، فيقف ويقضي حاجتها، وهكذا تراه في مكتبه وخلوته بالمسجد الحرام يتردد عليه العلماء، والأمراء، والوزراء، والوجهاء، والأغنياء، والفقراء، لا يرد أحداً، ويحتفي بالجميع ويضفي عليه من خلقه وكرمه.

أما وسطيته وحكمته، فأمر ملاحظ في سمته وتعامله، وفتاويه، ومن مظاهر وسطيته وحكمته؛ مواقفه الراسخة وثباته في كثير من الأزمت والملمات التي عاصرها، وتحذيره من الغلو، وإدخاله في تطوير خدمات المسجدين الشريفين كثيراً من التقنيات الحديثة رغم اعتراض بعض المشايخ عليها، ومن مظاهر سداد إرشاداته وتيسير توجيهاته للناس في الأحكام الشرعية كمسائل الصلاة، والصيام، والحج والعمرة، والطلاق، وآراؤه

مبنية على فقه التيسير المتفق مع روح الشريعة، وقواعدها، ومقاصدها، مع مراعاة حال السائل.

وقد وصفه الدكتور سامي بن أحمد الزمزمي في مقال له بعنوان الشيخ محمد السبيل يستحق التكريم قائلاً: "الحق أن أهل العلم الكبار والحدائق من طلاب العلم المعتدلين يعرفون قدر الشيخ، ويعلمون أن معاليه علامة فقيه، ولغوي، ومفسر، ملم إماماً دقيقاً بعلوم الشريعة الإسلامية وقواعدها، وأصولها، ومقاصدها، وسياستها، متبع للدليل، معظم للسنة في حاله ومقاله، والمعاصر للشيخ والمتردد عليه، والمطالع لما حرره من بحوث، والمتابع لخطبه يدرك ذلك، ومع علو كعب الشيخ في العلم والفقه، نلاحظ أنه تميز كذلك بالجانب الروحي والسلوكي والتربوي في تعامله وتوجيهاته للعموم، مع الرفق واللين، والشفقة والرحمة، فيصدق أن ينعت الشيخ بالعالم الرباني المرابي".

المصدر: جريدة المدينة: ١٨/٢/١٤٣٤هـ - ٣١/١٢/٢٠١٢م، العدد: ١٨١٤٩.

(٣٦)

العساف: الشيخ السبيل إداري محنك

ويدعو بالهداية لمخالفه في الرأي

قال فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن حمد العساف مستشار الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي : إن الشيخ السبيل كانت له مكانة في قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وكان عندما يزور البلدان الإسلامية يخرج أهالي المناطق عن بكرة أبيهم؛ ليشاهدوا طلة الشيخ الورع الزاهد، وأتذكر في ليلة إحالته للتقاعد كنا معه، وكان يقول: الحمد لله أني أُلحْتُ للتقاعد وخدمت سنين طويلة، ولم يشتك مني أحد.

وقال العساف: لقد صحبتُ سماحة الشيخ محمد بن عبدالله السبيل رحمه الله رحمة واسعة، وحشره في زمرة الصالحين والأنبياء والصدّيقين وحسن أولئك رفيقا، صحبتته سنوات عديدة، ورأيت منه الخلق الحسن، وطيب الكلام، وطيب المعشر، والنصح والتوجيه لنا نحن منسوبي هذه الرئاسة، وقد كان رئيسًا عامًّا علينا ينصحننا ويوجهنا أحسن توجيه، ويشجع من يعمل، ويوصينا بالوصايا الحسنة، فجزاه الله عنا خير الجزاء . وكان عندما يوجّه العاملين معه يكون حسنًا في التوجيه، ولما يرفض طلبًا يخرج من يرفض طلبه وهو راضٍ عن هذا الرفض، فجزاه الله عنا خير الجزاء.

وكان أيضًا يلقي الدروس في المسجد الحرام بعد صلاة الظهر وهو على إعياء وتعب من الدوام الوظيفي، لكن ذلك لم يفت من عضده في إلقاء

الدروس، ويرجع إلى دوامه، ويكمل إجراءات التوقيع على المعاملات ومراجعة ما يحتاج للمراجعة.

وعن أبرز المواقف مع الشيخ السبيل قال العساف: عندما تعيّنت في الرئاسة عام ١٤١٩ هـ جئت أطلب منه النصيحة والتوجيه، فكان جزاه الله خيرًا جلس معي جلسة مناصحة، ليبين لي أسلوب العمل الحقيقي الذي لازلت أستفيد منه إلى يومنا هذا وحتى ألقى الله تعالى.

وعن زيارته الخارجية قال العساف: كان عندما يزور بعض البلدان كان له في قلوب المسلمين حب وتقدير كبير، وكان الناس يشعرون أن سباحة وورع العلماء وصل إليهم في بلادهم، ويحدثني من رافقه في إحدى زيارته لإحدى الدول أن المدينة التي وصل إليها - وهي مدينة كبيرة - خرجت عن بكرة أبيها تستقبل الشيخ، وتريد أن ترى طلة الشيخ، فرحمه الله، وجمعنا به في جنات النعيم، وجزاه الله خيرًا، وجعل الله قبره روضة من رياض الجنة، ورحمه وجزاه الله عنا خير الجزاء، وجمعنا وإياه في جنات النعيم.

المصدر: جريدة المدينة: ٦/٢/١٤٣٤ هـ - ١٩/١٢/٢٠١٢ م، العدد: ١٨١٣٧.

انتهى

* * *

فهرس الموضوعات

٥ المقدمة
٩ المبحث الأول: اسمه ونسبه ومولده
١٠ المبحث الثاني: نشأته وأسرته
١٣ المبحث الثالث: حياته العلمية
١٣ طلبه للعلم
١٤ شيوخه
١٥	- أشهر مشايخه في القصيم
١٥ شقيقه الشيخ العلامة عبد العزيز السبيل
١٥ رثاء في وفاة شقيقه العلامة عبد العزيز السبيل
١٧ فضيلة الشيخ محمد بن مقبل المقبل
١٩ سماحة الشيخ العلامة عبد الله بن حميد
٢٣ رثاء في وفاة الشيخ العلامة عبد الله بن حميد
٢٥ فضيلة الشيخ محمد بن صالح الخزيم
٢٥ فضيلة الشيخ سليمان بن صالح الخزيم
٢٥	- أشهر مشايخه في مكة
٢٦ فضيلة الشيخ سعدي ياسين السلفي
٢٦ فضيلة الشيخ أبو محمد عبد الحق بن عبد الواحد
٢٦ فضيلة الشيخ أبو سعيد محمد بن عبد الله نور إلهي
٢٧ مصنفاته
٢٩ الإجازات العلمية
٢٩	١ - إجازة القرآن الكريم
٣٣	٢ - الإجازة بأسانيد الرواية
٣٥	٣ - إجازة المد النبوي
٣٦ تلاميذه

- أشهر تلاميذه في القصيم ٣٦
- معالي الشيخ صالح بن محمد اللحيدان ٣٦
- معالي الشيخ صالح الفوزان ٣٦
- معالي الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله العجلان ٣٦
- أشهر تلاميذه في مكة ٣٨
- الشيخ الدكتور عمر السبيل ٣٨
- فضيلة الشيخ المحدث مقبل بن هادي الوادعي ٣٨
- فضيلة الشيخ الدكتور سعود بن مسعد الثبيتي ٣٨
- المبحث الرابع: صفاته وأخلاقه ٤١
- كلام معالي الشيخ صالح بن حميد ٤١
- كلام معالي الشيخ الدكتور عبد الرحمن السديس ٤١
- كلام فضيلة الشيخ الدكتور أسامة خياط ٤٢
- كلام فضيلة الشيخ الدكتور سامي خياط ٤٢
- كلام فضيلة الدكتور إبراهيم البشر ٤٣
- كلام معالي الشيخ الدكتور محمد الخزيم ٤٤
- كلام الشيخ محمد بن عبد الرحمن آل إسماعيل ٤٥
- كلام الأستاذ محمد المشوح ٤٦
- كلام الدكتور عبد الله حريري ٤٨
- المبحث الخامس: حياته العملية، وفيه مطالب ٥٠
- المطلب الأول: الإمامة والخطابة بالمسجد الحرام ٥٠
- إمامته في البكيرية ٥٠
- إمامته في بريدة ٥٠
- إمامته في المسجد الحرام ٥١
- فقهه في الإمامة ٥٦
- فقهه في الخطابة ٥٦
- نماذج من خطبه ٥٩

- ٥٩ خطبته في غزو الكويت
- ٦١ خطبته عن حادثة مسجد بابري
- ٦٣ خطبة عيد الفطر ١٤١٦هـ
- ٦٤ خطبة عيد الفطر ١٤٢٣هـ
- ٦٥ خطبته بعد وفاة الملك خالد
- ٦٦ خطبته وصلاته على الشيخ ابن باز
- ٦٧ آخر خطبة ألقاها في المسجد الحرام ٧ / ٥ / ١٤٢٥هـ
- ٦٩ - أخباره ومواقفه في المسجد الحرام
- ٦٩ حادثة جهيمان
- ٧٦ السيل العظيم
- ٧٧ صلاة الجنازة
- ٧٧ فضل الصحابة
- ٧٧ سؤال نحوي
- ٨١ المطلب الثاني: التدريس
- ٨٢ المعهد العلمي ببريدة
- ٨٣ قصيدته في الملك سعود لما زار المعهد العلمي ببريدة
- ٨٤ قصيدته في مجلة راية الإسلام
- ٨٦ - من أخباره مع تلاميذه
- ٨٧ قصيدة عند انتهاء العام الدراسي سنة ١٣٧٣هـ
- ٨٨ قصيدة عند انتقاله إلى مكة المكرمة سنة ١٣٨٥هـ
- ٨٨ - التدريس في المسجد الحرام
- ٨٩ - دروسه في بيته
- ٩١ المطلب الثالث: العمل في الرئاسة العامة لشؤون الحرمين
- ٩٢ تعيينه إمامًا وخطيبًا للمسجد الحرام
- ٩٣ إدارته لمعهد الحرم المكي ووضع المناهج له
- ٩٤ تعيينه نائبًا لرئيس الإشراف الديني
- ٩٤ تعيينه نائبًا للرئيس العام لشؤون الحرمين الشريفين

- ٩٤ تعيينه رئيسًا لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي
- ٩٥ مرثية في الملك فيصل
- ٩٦ - إنجازاته فيما يتعلق بالشؤون الدينية في المسجد الحرام
- ٩٩ - إنجازاته فيما يتعلق بالإنشاءات والمشاريع
- المطلب الرابع : رئاسته وعضويته لعدد من الهيئات العلمية
- ١٠٢ والدعوة
- ١٠٢ أولاً : عضويته في هيئة كبار العلماء
- ١٠٢ قصته مع الأمير متعب
- ١٠٣ ثانيًا : عضويته في المجمع الفقهي الإسلامي
- ١٠٦ زيارته لإيران
- ١٠٧ ثالثًا : رئاسته للجنة أعلام الحرم المكي الشريف
- ١١٦ رابعًا : رئاسته للجمعية الخيرية للمساعدة على الزواج بمكة
- ١١٧ خامسًا : رئاسته للجنة الشرعية للمشاعر المقدسة بمكة
- ١١٧ سادسًا : عضويته في جمعية تحفيظ القرآن الكريم بمكة
- ١١٧ سابعًا : عضويته في هيئة التوعية الإسلامية في الحج
- ١١٨ ثامنًا : عضويته في مجلس الدعوة والإرشاد
- ١١٨ تاسعًا : عضويته في المجلس الأعلى لدار الحديث الخيرية بمكة
- ١١٨ عاشرًا : عضويته في الجمعية العامة لهيئة الإغاثة الإسلامية
- ١١٩ المبحث السادس : جهوده الدعوية والخيرية
- ١١٩ أولاً : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ١١٩ ثانيًا : جهوده الخيرية
- ١٢١ ثالثًا : المشاركة في البرامج الإذاعية
- ١٢٤ رابعًا : الرحلات الدعوية والمحاضرات في الداخل والخارج
- ١٣٤ بعض الأهداف والمقاصد لزياراته الدعوية
- ١٣٥ أخباره وذكرياته في الزيارات الدعوية
- ١٣٩ ثمرات الزيارات الدعوية

- المبحث السابع: وفاته وثناء العلماء عليه ١٤٦
- ما قاله أمير منطقة مكة المكرمة سمو الأمير خالد الفيصل ١٤٨
- ما قاله ساحة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ مفتي عام المملكة ١٤٩
- ما قاله ساحة الشيخ صالح اللحيدان ١٤٩
- ما قاله معالي الشيخ صالح بن حميد ١٥٠
- ما قاله فضيلة الشيخ عبد الله بن منيع ١٥١
- ما قاله معالي الشيخ عبد الرحمن السديس ١٥٢
- ما قاله الشيخ محمد بن ناصر العبودي ١٥٣
- الملحقات : ١٦٣
- قصائد مختارة من الديوان الشعري للشيخ محمد السبيل ١٦٥
- قصيدة بمناسبة صدور مجلة راية الإسلام ١٦٩
- قصيدة عند زيارة الشيخ محمد بن مانع للبكيرية ١٧٢
- قصيدة في حضرة الملك سعود عند افتتاح المبنى الجديد لمعهد
بريدة ١٣٧٧ هـ ١٧٥
- قصيدة أهداها للشيخ سعدي ياسين عند إجازته في القرآن ١٧٨
- مشاركة في مسامرة أدبية لمعهد بريدة العلمي ١٨٠
- المراثي ١٨٣
- مرثية في الملك فيصل عام ١٣٩٥ هـ ١٨٥
- مرثية في الشيخ عبد الله بن حميد عام ١٤٠٢ هـ ١٨٨
- مرثية في شقيقه الشيخ عبد العزيز عام ١٤١٢ هـ ١٩١
- أبيات علمية حاصرة ١٩٤
- أبيات في شروط لا إله إلا الله ١٩٤
- أبيات في الروايات الواردة عن الإمام أحمد في الشركة ١٩٤
- أبيات في الروايات عن الإمام أحمد فيما يقطع الصلاة ١٩٤
- أبيات في شروط البيع ١٩٥
- أبيات في أنواع الخيار التي ذكرها الحجاوي في كتاب البيع ١٩٥
- أبيات فيما يشترط له القبض ١٩٥

- أبيات في الفرق بين الكوع والكرسوع ١٩٥
- أبيات في الإجابة عن مسألة فقهية ١٩٦
- أبيات في أجزاء كتاب الإنصاف ١٩٦
- أبيات في أوائل أجزاء القاموس المحيط ١٩٦
- أبيات في متى يجوز أن تقلب السين صاءً ١٩٦
- أبيات في أنواع تحيات الناس ١٩٧
- مقتطفات شعرية ١٩٨
- أبيات في وصف كتاب روضة العقلاء ١٩٨
- أبيات عندنا زارهم الشيخ صالح القرزاز في البكيرية ١٩٨
- أبيات في وصف الربيع ١٩٩
- أبيات في تحية لأحد الأساتذة ١٩٩
- أبيات لطلابه مودعاً عند انتقاله لمكة المكرمة عام ١٣٨٥ هـ ١٩٩
- أبيات قالها في النادي الثقافي بمعهد بريدة ١٩٩
- الغاز شعرية ٢٠٠
- محاضرة (ذكريات في المسجد الحرام) ٢٠٣
- المقالات والتصرّيات ٢١٩
- معالي الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد ٢٢٢
- معالي الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد ٢٢٢
- معالي الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد ٢٣٢
- معالي أ.د. الشيخ عبدالرحمن بن عبد العزيز السديس ٢٣٥
- معالي الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس ٢٤٣
- فضيلة الشيخ الدكتور أسامة بن عبد الله خياط ٢٤٦
- معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي ٢٤٨
- معالي الدكتور د. محمد بن ناصر الخزيم ٢٥٤
- محمد بن عبدالرحمن آل إسماعيل ٢٥٨
- د. محمد بن فهد بن عبدالعزيز الفريح ٢٦٠

- ٢٦٥ الدكتور عبد الرحمن عمر المدخلي
- ٢٧٢ د. سامي أحمد الخياط
- ٢٧٩ د. عبد الرحمن عثمان المرشد
- ٢٨٢ معالي الدكتور سهيل بن حسن قاضي
- ٢٨٥ حاتم بن حسن قاضي
- ٢٨٨ الدكتور عبد الله فدعق
- ٢٩١ عبد العزيز بن عبد الرحمن الخريف
- ٢٩٥ أ.د. عبد الله محمد حريري
- ٢٩٨ د. عبد المجيد محمد الجلال
- ٣٠١ أ.د. عاصم حمدان
- ٣٠٣ محمد بن عبد الله المشوح
- ٣٠٧ ماجد مسعود محمد سليم رحمت الله
- ٣١٤ د. سعد بن عبد القادر القويعي
- ٣١٦ نور عالم خليل الأميني
- ٣٢٧ يوسف المحيميد
- ٣٢٩ سلطان بندر
- ٣٣٢ طالب بن محفوظ
- ٣٣٩ د. سعيد أحمد عناية الله
- ٣٤٥ طالب بن محفوظ
- ٣٤٨ وجدي القرشي
- ٣٥٠ سلمان بن محمد العُمري
- ٣٥٣ عبد الله بن سعيد السويهي
- ٣٥٦ محمد بن أحمد المنصوري
- ٣٥٦ الدكتور محمد باجودة
- ٣٥٧ محمد ريال السيلاني
- ٣٥٧ مشهور محسن المنعمي
- ٣٥٨ الدكتور علي بن يوسف الزهراني

٣٥٩	روبيح السلمي
٣٦١	عبد الله الشيعاني
٣٦٤	محمد بن حمد العساف
٣٦٧	فهرس الموضوعات

* * *

التنفيذ الطباعي



دار
التربية الإسلامية
الهادفة

طباعة - نشر - توزيع

هاتف: 00961 3 81 42 70

E-mail: dartarbiya@gmail.com

Dr.Husain.A@gmail.com

بيروت - لبنان

